

شروءنجر

شرو و دنجر

روایت

أكمل الصاوي

اسم الكاتب: أكمل الصاوي
 اسم الكتاب: شرودنجر
 تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
 تصميم الغلاف: فارس حسن
 الإخراج الفني: جمال عبدالرحيم
 الطبعة / الأولى - يناير ٢٠٢٠ م
 رقم الإيداع: 27843 / 2019



Arabiclibrary2017@gmail.com
 Facebook.com/arabiclibrary2017

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كلياً أو جزئياً، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أم آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

مقدمة لا بد منها

لا أدري من أين البدء، لَعَمْرُؤُ، الكلمات تهول هاربة، يقولون إن الانطباع الأول يدوم، ومن هنا تأتي أهمية المقدمة لكن هيهات فالقدر دائماً ما يسخر منا، كنت قد أقسمت بيني وبين نفسي ألا أكتب مقدمة للرواية التي بين أيديكم كنوع من الاختلاف وتفويت الفرصة عليكم أن تكونوا عني انطباعاً يجعل أحدكم يطوحها من النافذة التي بجواره، وهأنذا أحث بقسمي؛ فالقائمون على النشر طاردوني وحدثوني أكثر من مرة طالبين مقدمة للعمل، (أخشى أن يكتبوا أننا لم نطالبه بشيء) وللعلم فهم أصدق..

لم أكن يوماً أتوقع أن أكتب عملاً روائياً طويلاً، كان ردِّي دائماً عندما كان أحدهم يحادثني عن ضرورة البدء في الكتابة أنني لست بمجنون حتى أخوض تلك التجربة، إلا أنني ولسبب ما بدأت، كنت أعلم حجم ما أنا مقبل عليه وظننت أنني مهياً له، لكنني كالعادة أخطأت التقدير، عام وشهران عشت فيهم كما المندوه، مجذوب عصاه عقله ورفض أن يكمل معه المسير فقبض على عصاه أكثر كما الكسيح علماً تكن له مخرجا مما هو فيه، تحادثني شخوص روايتي في اليقظة قبل الأحلام، أراهم أمامي، أمم فاق أمم المخاض عانيته يومياً، قرار التوقف كثيراً ما أتاني فيأتي من يثنيني عنه إما في دائرتي وإما في شخصيات الرواية، عانيت وعانى

كل من حولي حتَّى أصل لنهايتها، كنت دائم القول: كيف لكم أن تعطوني قلمًا وتطلبون مني أن أهدم جبلًا، أنتم لا تعرفون شيئًا، أنتم لا تشعرون بشيء، الجنون يدق أبواب عقلي فيأتيني ردهم: بدأت برغبتك وصرت مطالبًا مرغمًا أن تكمل حتَّى النهاية..

وأكملتها وأقسمتُ بكل غالٍ وعزيز أن لا أعيد التجربة (لا داعي أن أذكركم أني دائم الحنث بما أقسم) فما أن وصلت لكلمة النهاية حتَّى وجدت نفسي شارحًا في عمل جديد، تجهيزات واستعدادات أخرى. لا أعلم إن كان هذا رغبة في ألم أو اعتياد عليه، كل ما أعرفه أني وجدت نفسي أبدأ في عمل آخر رغماً عني.. صارت الرواية بين يدي، عمل أظن أني أنتهيت به راضيًا عنه، وجاء السؤال الأهم: وماذا بعد، ماذا أنا بفاعل، راسلتهم جميعًا، منهم من رآها دون المستوى، ومنهم من قال: إنها لا تناسب توجهات الدار وكأن روايتي تشجع فريقًا كرويًا على غير هوى أهل الدار، ومنهم من طلب مني ألوفًا ودولارات وذهبًا وياقوتا ومرجانًا حتَّى ينشر لي، وآخرون وافقوا لكن بشرط أن تكتب على هواهم وكما يتصورون. إلى أن راسلتنني المكتبة العربية للنشر والتوزيع.. أستاذ فلان.. أيوه.. مبروك أنت فزت معانا في المسابقة وعملك إحنا هنطبعه بإذن الله.. طب في تعديلات انتو طالبينها؟.. مش من حقنا نطلب تعديلات، نحن لا نتدخل في العمل..

لم أصدق أن الموضوع سهل وبسيط إلى هذا الحد وانتظرت ما سيعرّج الصفو، والذي أتى في هيئة طلب منهم أني مطالب بتجهيز العمل كغلاف وكمراجعة لغوية، بضع مئات لا تغني ولا تسمن من جوع إلا أني لم أكن أملكها في ذلك الوقت أو أني لم أكن واثقًا فيما كتبت فخفت أن أدفع فيه؛ فراسلتهم أني لن أنشر روايتي، وعندما عرفوا السبب ابتسم كبيرهم قائلاً: وهو حد طلب منك فلوس؟ أنت معنا وروايتك نريدها.

مصاعب كثيرة وعوائق أكثر كانت كافية حتى لا يظهر ذلك العمل للنور، وعند كل عائق وعند كل مطب كنت أجد إرادتهم وإصرارهم في إزالة أي حاجز يحجب النور عما بين أيديكم الآن..

صفحة انتهت والدار خصّصت للمقدمة صفحتين، صفحة انتهت ولم أتكلم عن الرواية كما هو متّبع، صفحة انتهت ولم أشكر أناسًا لم يبخلوا بجهد أو اهتمام أو تشجيع حتى أنتهي من الرواية فتظهر للنور، لكن ما ينصفني أني لو أردت التحدث عن فضلهم فكل ورقات الرواية لن تكفي؛ لذا لن أزيد عن كلمة شكرًا..

شكرًا لكم جميعًا ويكفيكم أن ما تعبت من أجله الآن صار بين أيدي الناس كما تمنيت وأردتم..
الآن أترككم معه..
الآن أترككم مع شرودنجر..

إلى أناس لا أستطيع ذكر أسمائهم
حتى لا يتوه مني اسم أحدهم.
إليهم أهدي شروذنجر..

أكمل الصاوي ،،

الفصل الأول

لا تُصَدِّقْهُمْ، سيقولون أشياء كثيرة فلا تصدقهم. سَتُنْصَبُ حلقات الذكر، ستشتعل القنوات والبرامج واللقاءات. سيأتي معدّو البرامج بضيفين فيُفَرِّقُ المذيع عليهم الأدوار، هذا مع، هذا ضد، هذا أيضًا بعد أن يُمَنِّيهم بالشيكات التي تتلأأ فيها الثلاثة أصفار أو حتى الأربعة فيعلو الرقم أو ينخفض كل حسب قدره وقباحتة وصوته العالي...

سيأتون بأطباء ودكاترة ليطحروا نظرياتهم ويتناقشوا ويتباحثوا، كلامهم ستجده مثل ملابسهم مُنَمَّقًا أنيقًا مختارًا بعناية كما رابطة العنق التي تتدلَّى على صدر كل منهم. لا تسلّمهم عقلك، لا تأخذ كلامهم على محمل الجد. ما أسهل أن أقول لك حالًا أن كل النشرات والمجلات الطبية والأبحاث وعلى رأسها مجلة "هيومان جرين" أجمعت أن الإنسان أصله كلب بحر، مع العلم أنه لا توجد من الأصل مجلة بهذا الاسم، كما أن علاقتي بالإنجليزية فُسِخَتْ وتوقفت عند المرحلة الثانوية. لذا أرجوك.. لا تُصَدِّقْهُمْ...

الأحداث سِيَّان، بقرات حلوب، ينسال كل دقيقة خبرًا. لا أُصَدِّقُ ما أراه أمامي علي شاشة التلفاز. من يقول أن ذلك الأصلع ذا المقام الرفيع سيقف ثابتًا جامدًا دون ملامح أو شعور ليتلوا علينا خطاب تنحّي رئيس الجمهورية، لا أدري لم أره كما الروبوت، أحاول تمييز أي خلجة في صدره تَرِدُّ علي وجهه شكل

شعور فلا أجد، إنسان آلي تلوا عليه عددًا من كلمات حتى حفظها فوضعه أمام ميكروفون في مواجهة الكاميرا فتلاها علينا. لا أستكثر عليه تأثير الصدمة، فمن يُصدّق أن بضع مئات من شباب نفخوا في الصور نفخة واحدة فبثوا الروح في شعب ليُهَبَّ عن بكرة أبيه فيكسر الصنم ويقضي علي عبادة الأوثان فيسري في البلاد دَيْنُ جديد عقيدته الحرية ومذهبه الثورة...

حدث جلل، تمرّ أجيال تأتي وتروح دون أن تُدركه، محظوظون من يعيشون الآن، فقد صار لديهم حكايات وأقاصيص عن بطولات زائفة سيُعيرون بها الجيل الذي يليهم. لكن هذا لا يشغلني الآن، ما يشغلني بحق ذلك الاكتشاف الذي أتاني في أسمي لحظات التجلي والذي حُرِمَت منه البشرية وبخَلَّت به علي نفسها، فما أكله الآن من لحم لم أجد في حياتي ألدُّ منه طعمًا وأشهى منه حلاوة. لا تُردّد كما البغغاء وتقل لي لحم الضأن و لحم الغزال وما شابه، فأنت لم تتذوق قط قطعة من صدر زوجتك. أتاني الموضوع مصادفة وأنا أختنقها، أصابعي كانت في تلك اللحظة مبيسة على عنقها، تستقوي علي رقبتها راغبة في قطع الهواء الواصل إلى رتبتها حتى خبط كوعي في ثديها، لا أدري لماذا شعرته غصًا رطبًا مكتنزًا وكأني أتعرف عليه لأول مرة، عافرت، حاوَلْتُ النجاة والتملص من يدي، فطلَّ نهديا من قميصها فرأيت حلمتين ورديتين نافرتين تنادي القطف...

أزخيتُ يداي، فلانت أصابعي إلا أنها غابت عن الدنيا بإغماءة لتستيقظ بعدها فتعرف أني كَبَلْتُها عاقداً وثاقها على أحد المقاعد. صرَّحتُ كثيراً وتوسَّلتُ أكثر، لكنني لم أعْرِها انتباهاً، كان صدرها يشاغلني، يهتُّزُّ مع كل صرخة، يَرْتَجُّ، يصرخ منادياً عليّ، هدأتُ من رَوْعِها مُرَبَّتًا عليها بنظرة حانية طابعا علي جبهتها قبلة أرذتُها زاخمة بالحب...

مؤمن أنا بالخيال الرحب الفسيح، ذاك الخيال الذي يجعلك تنتقل من عالمك لعوالم أخرى وأنت جليس مكانك، الخيال الذي يجعلك تكتشف في نفسك أبعاداً جديدة لشخصيتك، قوى لم تكن تتخيل أنها كانت بمقدورك، أفعال ما كنت أبداً تتصور أنك فاعلها. كل ما عليك فقط هو أن تتخيل، ولكم كنتُ ما أتخيله في تلك اللحظة بديع بحق. فكرة أن تقتل مثل الآخرين مخزية جداً ومهينة، لست بمجرم حتَّى تتساوي بهم، كم رجل يقتل في اليوم الواحد، جميعهم متشابهون، نمطيون يفتقرون إلى الروح، ضمنَّ عليهم الخيال بالإبداع، لذا بدأتُ القطع. لا أنكر أن صراخها حال عني الكثير من المتعة، لكنه لم يفقدني أبداً تركيزي. لا أنصحك أن تقطع من أعلى من عند التواء النهدي بالجلسد، فذلك مضبعة للوقت. أظفُف من فوق الحلمة بقليل، وإن كنتَ على معدة فارغة مثلي فاقطع النصف المتدلي كاملاً...

قَطَّع واحدة أو اثنتين من الطماطم علي هيئة شرائح مع قِطْع صغيرة من الفلفل الأخضر، لا تنسى أن تفعل باللحم كما فعلتَ بالطماطم، وبقليل من

السمن على طريقة التشويح وإياك أن تغفل الملح والفلفل الأسود والتقليب الجيد...

ملحوظة: لا تُكثِّر من السمن ودع اللحم يَنْزُ دهنه، وإن كنت مثلي ممن يحافظون على صحتهم فلا ضير من زيت الذرة...

ملحوظة أخرى: بعد أن تنتهي من طعامك نظّف مكانك جيّدًا، إمسح الدم الذي صار بركة تحت مقعدها فالذباب سرعان ما سيستّمته فتجده يأتيك من كل فج، وإن لم تجد مكان للسكين الذي اجتزأت به اللحم فنصيحة لك ضعه في فرجها...

أراك ستصدّقهم، ستردد وراءهم أن روائياً مشهوراً قد جُنّ وذهب عقله، قتل زوجته بطريقة بشعة وحشية. لا يا صديقي لم أجنّ ولم يذهب عنى عقلي ولا داعي لإعطاء الأمور أكثر من نصابها، فكما أخبرتك أن ما حدث كان مصادفة. فلو لم يخبِط كوعي في ثديها ما كنتُ فاعلها، هذا غير أنه لم يكن هناك ضير من التجربة. أمّا بالنسبة للسكين ومكانه فلماذا تحسب ذلك وحشية وجنوناً، لماذا لا تعتبره رغبة مني في عدم تشتيت رجال البحث الجنائي عندما يأتون محققين، فقد وفّرت عليهم عناء البحث عن سلاح الجريمة، تلك هي الجئنة وذاك هو السكين في فرجها، ناهيك عن أن صراخها وكما قلت لك كان يُزعجني فلم يكن أمامي إلا أن أسكتها...

ألم أقل لك لا تُصدّقهم ولا تُعطي الأمور أكثر من نصابها!؟

لا تنسى الفلفل الأسود.. مهم جدًا هذا...

أستاذك وأستمحك عذرًا سأغلق التلفاز فرأسي لا يتحمل صراخهم
واحتفالاتهم البلهاء، كما أني لابدَّ أن أفتح باب الشقة فلا يصحَّ أن أتركهم أكثر
نعم، كما تَوَقَّعت، فلقد اتَّصلتُ بالشرطة وها هم قد أتوا...

إلى لقاء...

لا تنسى الفلفل الأسود... مهم جدًا هذا...

- يعني هو ساب الثورة والتنحي والآلاف اللي في الشوارع، ساب كل ده وقتل مراته..!؟

- ومش كده وبس، ده استموت عشان يبلّغ، وفين وفين لما حد عبّره. بس عارف يا حضرة الضباط، عادي يعني إنت يمكن عشان أول مرة تتحط في موقف شبه ده، أما إحنا كنيابة فمتعودين علي المواقف دي وياما شوفنا..

- أنا قصدي إن أول حاجة فُكّر فيها إنه يبلّغ، مفكرش مثلاً إنه يستغل حالة التسيب اللي البلد فيها ويحاول يهرب بعلمته..

- ما أنا لسه قايلك، إنت مستغرب بس عشان الموضوع جديد بالنسبالك لكن ده عادي، إصراره عادي، في النوع ده، وخصوصاً إن كانت جريمته مرتبطة بشرف أو بعرض..

- يعني هو قتل مراته عشان بتخونه..؟

- لسه هييان، متسبقش الأحداث.

كانا على السلم، هذا بعد فشلها في ركوب المصعد لتعطله مثل كل شيء في تلك الفترة. استدعوه من وحدته لتأمين وكيل نيابة سيحقق في جريمة قتل، هكذا قالوا له. لم يفهم في البداية، لكن بعد أن تأكد له ما كان يسمعه في وحدته من خلو البلاد من الشرطة وبعد أن رأى كثيرًا من الضباط والعساكر في الشوارع لتأمين المنشآت، عرف أن الجيش حاليًا يقوم بدور السلطة التنفيذية في البلاد.

لم يكن الأمر يستحق التأمين، فالبلاد كانت في طريقها للهدوء، وخصوصًا بعد خطاب التنحي لكنها التعليقات والحذر من أن يحدث شيء ليس في الحسبان. تقابلا وعرف كلا منهما نفسه للآخر.

- أحمد جاسر، معاون نيابة حديث الانضمام للسلك القضائي.

- أسامة رأفت ضابط جيش يحمل على كتفه ثلاث نجحات...

في الشقة مسرح الجريمة كان العمل يتم علي قدم وساق لمحو كل أثر للجريمة، عساكر شرطة وأمناء مبعثرون بأرجاء الشقة، ما من شيء إلا وطالته أيديهم للمسسه والعبث به، ضابط شرطة يجلس علي أحد المقاعد يدخن كقاطرة وواضح من مطفأة السجائر التي أمامه أنه في المكان منذ فترة طويلة...

صالة واسعة ملحق بها ريسييشن ومن شكل الأثاث ستعرف دون مجهود أن أصحابها ميسوري الحال لهم ذوق رفيع في إختيار قطع الأثاث وكذلك اللوحات المختلفة المثبتة على الجدران. صور كثيرة شخصية لمناسبات مختلفة تجمع الزوجين أو كل علي حدة. وفي كل الصور لا تستطيع إلا قول أن الزوجين لا يشغلها في الحياة غير الإستمتاع بها...

في منتصف الصالة تقريبا كانت الجثة علي أحد المقاعد مغطاة بملاءة..

عرفهم ضابط الشرطة فقد كان علي علم بمجيئها فقام من مكانه متقدما

نحوهما مُعرِّفا نفسه إليهما قائلا

- رائد شرطة ياسر شوقي

يبدأ معاون النيابة الحديث مشيراً علي الأمانة والعساكر المتجولين في الشقة
بمتمهي الأريحية قائلاً

- أهلا بيك يا سيادة الرائد، إيه اللي بيحصل ده..؟!!

يرتبك ضابط الشرطة ناظراً لأحد الأمانة المارين بتوعد قائلاً

- الموضوع مستحقش الحذر، القضية خلصانة، قتل مراته، ومعترف
وبصاته علي السكينة يا افندم..

يتلفت معاون النيابة حوله حتى يتيقن من عدم وجود القاتل فيسأل
مستفسراً

- وهو فين..؟

- في أوضة المكتب بيكتب..

- مش فاهم، بيكتب إزاي يعني..؟!!

- أيوه يا افندم بيكتب، هو فتحلنا باب الشقة ومن لحظتها وهو في أوضة
المكتب مش مبطل كتابة..

- وإيه إنطباعك عنه يا حضرة الرائد..؟

يصمت ياسر شوقي رائد الشرطة برهة محدّقا في الفراغ ليجيب

- إنطباعي؟، إنطباعي إنه مجنون، مش طبيعي، جريمته بشعة، قطع صدر

مراته وأكله وحط السكينة في.. بص كده معاليك..

قالها رافعا الملاءة عن الجثة لتظهر عارية منزوع عنها الثياب مقطوع منها
أجزاء من الثدي، مغروس بين فخذها سكين..

يشمئز ضابط الجيش فيتنحى جانبا مفرغا كل ما في معدته..

يلتفت كل من في الصالة إليه، يتسم كثير منهم في تهكم على ضابط الجيش
الذي لا يتحمل رؤية الجثث فيتقدم نحوه معاون النيابة معطيا له منديلا ورقيا
ليمسح به فمه قائلا له

- تقدر يا حضرة الضابط تخرج بره.

يضع أسامه يده علي معدته نافيا برأسه رغبته في الخروج قائلا

- أنا أصلا عندي برد في معدتي.

يعاود رائد الشرطة كلامه قائلا

- لمشكلة مش بس في بشاعة الجريمة، المشكلة في القاتل نفسه، هادي جدا،
عنيه بتلمع، مقر لكل حاجة عملها ومينكرهاش، هو غالبا حاول يخنقها وده
باين أوي علي رقبتها لكنه تراجع، وده باين برده علي وش القتيلة وملاحها، نقل
كرسي من كرسي السفرة لنص الصالة وكتفها عليه وإبتدى يقطع من جسمها
وهيا صاحية، زي ما معاليك شايف كده منظر الجثة بيقول إنها ماتت من أقل من
ساعة، جر تراييزة السفرة لغاية مكان القتيلة وكأنه بييجرها تقعد معاه علي
السفرة وتشاركه الأكل، هو كان قاعد هنا، وهيا هنا في مكانها قصاده. عن نفسي

معرفش هل هيا اللي كتبت الكلام ده علي إزاز السفارة بدمها ولا هو اللي مسك
إيديها وخلاها كتبت السطرين دول...

ينتقل معاون النيابة من مواجهة الجثة ليصبح جوارها حتى يستطيع قراءة ما
أشار إليه ضابط الشرطة، ينظر إلى القتيلة فيجد يديها اليسري محررة عكس
الأخري وإصبعها مغموس في الدم وكأنها كانت تكتب شيئاً..
" أرسم هذه العوالم وأعيش فيها كما أريد.. كل إختياراتي صحيحة لكنها
مع الأسف خاطئة "

ذلك ما مكان مكتوب علي الزجاج، كلمات متقطعة، مكتوبه ببطء، تعمّد
كاتبها غمس الإصبع أكثر من مرة لتظهر الكلمات واضحة...
يقطع رائد الشرطة تفكير معاون النيابة وتخيّله ليكمل
- كل ده وهو هادي جدا، مبينتقش أخره يبص ويتسم، رغم إني حاولت
كثير أنطقه. ده من شوية خرج من الأوضة، دخل المطبخ عمل لنفسه فنجان
قهوة، ده بيتعامل مع الموضوع عادى جدا وكأن مفيش حاجة حصلت..!!
يتقدم ضابط الجيش ليغلق التلفاز الذي كان علي أحد القنوات الإخبارية
الناقلة لأحداث الميدان والفرحة العارمة بالتنحي فيكمل رائد الشرطة حديثه
مشيرا إلي التلفاز قائلاً

- بالمناسبة كان مقفول وهو اللي فتحه وهو رايح علي أوضة
المكتب، فتحه وعلّي الصوت علي الآخر وموقفش حتى قدامه دقيقة..!!

يتقدم معاون النيابة إلى غرفة المكتب التي أشار إليها رائد الشرطة، فيتكلم
ضابط الجيش المكلف بالتأمين قائلاً بلهفة
- ممكن أدخل معاك..؟

يهز معاون النيابة كتفيه كناية عن تردده، فيحسم أمره مشيراً بيده بالموافقة
والترحيب..

يدخل الإثنان غرفة المكتب، فلا يلتفت إليهما القاتل ولا يرفع عينيه
عن الورق الذي يكتب فيه وكأنها لم يدخلها من الأصل، فيتلفت معاون
النيابة في الغرفة ليتبين ما فيها..

غرفة واسعة، تضم مكتبة ضخمة، على أرففها كتب في جميع المجالات،
تُعطيك إنطباعاً أن صاحبها مثقف مطلع. مكتب أنيق عليه أباجورة منارة رغم
إضاءة الغرفة الكافية، كثير من الأوراق المبعثرة على المكتب..

يأخذ معاون النيابة أحد الورقات مطالعاً على ما فيها فيرى أنها مرقّمة
مسلسلة تحوي بضع كلمات عرف من خلالها أن القاتل يكتب قصة ما..

ينظر معاون النيابة بتمعن إلى قاطن الغرفة الذي لا يعيرها إنتباهاً فيبدأ
بالكلام قائلاً

- بتتكلم عن إيه القصة اللي إنت بتكتبها دي..؟

يتوقف القاتل عن الكتابة ثابتاً دون أن يرفع رأسه وكأن الحياة قد فارقتة،
فيكمل معاون النيابة كلامه بسرعة لما تبين له أن الحديث عن القصة لفت إنتباهه

- أنا قرّيت صفحة، لقيتك بتتكلم عن واحد اسمه عليّ، ماشي في مسيرة رايحة الميدان، واضح إن القصة بتتكلم عن الثورة كده انا فهمت صح؟ ولا انا غلطان؟..

بيبء يضع القاتل القلم جانبا ليرفع رأسه ناظرا إلى معاون النيابة إلا أن وجود ضابط الجيش يجذب إنتباهه فيحدرق في الثلاث نجحات التي على كتفه. فيكمل معاون النيابة قائلاً:

- ده النقيب أسامة، طبعاً إنت عارف إن الشرطة سابت مكانها، وعشان كده هو معايا للتأمين..

يستمر المتهم في التحديق في ضابط الجيش وكأن الغرفة قد خلت من كل شيء إلا هو فيكمل معاون النيابة كلامه لما رأى الأهتمام باديا في وجه المتهم لضابط الجيش

- عن نفسي مش شايف إن الموضوع محتاج تأمين، خلاص البلد هديت والمجلس العسكري إستلمها، وكلها أيام والبلد هترجع زي ما كانت والبركة في الجيش. إنت قتلت مراتك ليه..؟

كان أحمد جاسر في تلك اللحظة يستدعي كل ما تعلّمه واكتسبه في كل الدورات التي أخذها عن كيفية التحقيق وسبر أغوار المتهم واستنطاقه. فلأول مرة يتم تكليفه بالعمل في قضية منفردا، لذلك كان مصرّا على استنطاق المتهم ومعرفة كل شيء.. مقولتليش ليه قتلت مراتك..؟ هي خانتك..؟

يحيد القاتل بنظره إلى معاون النيابة ناظرا إليه جليا على وجهه أمارات الغضب، قائلا بلهجة خفيضة بطيئة حازمة

- مراتي مش خاينة، عمرها ما كانت خاينة، ومتقولش كده تاني.

يتجاوز معاون النيابة عن لهجة المتهم الأمرة نظير عدم الرجوع لعالم صمته قائلا:

- خلاص مش هقول. أنا أسف. بس إنت برده لازم تقول ليه قتلتها؟، أي

حد هيسمع إنك قتلت مراتك، أول هاتف هيجيله أنها خانتك، ولآ أيه؟.

- إنت إسمك إيه..؟

كان السؤال مباغتا موجها من المتهم إلى ضابط الجيش الذي لم ينبس بكلمة

واحدة منذ لحظة دخوله..

ينظر ضابط الجيش لمعاون النيابة نظرة أن أشْر عليّ أأجيبه؟، فيشير إليه

معاون النيابة بالرد

- إسمي أسامة، أسامة رأفت..

- التلت نجمات الي علي كتفك بيقولوا إنك نقيب. كنت ملازم تاني، ملازم

أول ودلوقتي نقيب. وطبعا إنت لا حاربت ولا قتلت، إنت دخلت الجيش زيك

زي غيرك نفسك تحارب وتدافع عن بلدك، وتبقي بطل.. صح؟

- الدفاع عن البلد شرف، والموت في سبيل الوطن شهادة..

- كويس، حافظ كويس. بس إفرض إن بكره قامت الحرب ووقفت قدام

عسكري من العدو، أكيد طبعا هتقتله؟، صح..؟



- طبعاً هقتله، ده عدوا، ودي حرب، قاتل لمقتول.
 - شعورك هيبقي إيه بقي يا حضرة الضابط وانت شايفه قدامك بيطلع في الروح وخصوصاً لما محفظته تقع من جيبه مفتوحة فتشوف إنت وهو صورة بنته اللي مش هيشوفها تاني عشان انت قتلته..؟
 يصمت ضابط الجيش متوجها بنظره إلی معاون النيابة فيشجعه صمته على إستكمال النقاش قائلاً

- هو أنا لسه متجوزتش، بس إفرض إني متجوز وقابلت نفس العسكري اللي بتقول عليه وهو اللي قتلني، تفتكر بنتي مكنتش هتزعل عليا وهيا مش هتشوفني تاني..!؟
 - أنا مسألتكش ليه قتلت، وعارف إن نفس العسكري لو قابلته بره الحرب أكيد مش هتقتله، ومش هيبقي قانوني إنك تقتله كمان. أنا بسأل عن شعورك وانت بتقتل يا حضرة الضابط..
 - أكيد هبقي زعلان . في الأول والآخر دي روح..
 - كداب..

يتكهرب الموقف فيحاول معاون النيابة إنهاء النقاش بالتدخل إلا أن ضابط الجيش يشير إليه بعدم التدخل مكمل الكلام قائلاً
 - وليه هكذب..!؟

- لأنك بتقولي انك هتبقي زعلان، إزاي هتكون زعلان؟!، إنت هتبقي فرحان، وهتدور علي غيره عشان تقتله، وغيره، عشان تبني حائط بطولاتك وتعليه وانت واقف علي جثهم، هتحس بقوة غريبة، بنشوة وانت بتقتل، وانت بتشوف الدم خارج بقوة واندفاع هربان من عروق اللي بتقتلهم وهما بيترنحوا قدامك. ده إن مكتتش هتفرح لكل ده، فأكيد هتبقي فرحان لأنك نجيت من الموت، وده هيودينا لإحتمال تاني إنك كنت خايف تموت. خايف كنت تبقي إنت المقتول. يبقي ويأختصار شعورك ساعتها إما إنك تبقي فرحان إنك قتلت أو خايف إنك تتقتل، أما موضوع زعلان ده فمش حقيقي بالمره. عرفت ليه قوت إنك كداب..؟

- في النهاية سواء كنت زعلان أو فرحان فاللي هقتله ده إسمه عدو، أما مراتك مكتتش عدو ليه قتلتها..!؟

- أنا لسه قايلك، إنت لو قابلت نفس العسكري بره الحرب أكيد مش هتقتله، ومش هيبقي قانوني إنك تقتله، يعني عدو إمبارح اللي كان واجب قتله وتاخذ على قتله نيشان كان، النهاردة بقى صديق محرّم عليك قتله، وقتله بقي جريمة. الظروف هيا اللي بتحدد يا حضرة الضابط مش الرغبة..

- وإيه هيا الظروف اللي خلّتك تقتل مراتك بالشكل ده..؟

- دول سؤالين مش سؤال واحد وأراهنك إنك حاليا ميهمكش ليه قتلت

مراي، علي أد ما يهكم تعرف ليه قتلتها بالشكل ده..

- في النهاية الإجابة علي أي سؤال منهم كافية، أصل لو عرفنا الدوافع الي خلتك تقتل مراتك، هنعرف إيه الي خلاك تقتلها بالشكل ده..

- غلط.. الدوافع الي إنت عايز تعرفها والي خلتي أقتلها ملهاش علاقة بطريقة القتل، أنا قتلتها بالسكينة عشان ده الي كان متوفر قدامي يمكن لو كان في سم متاح كان ممكن أقتلها بيه، أما طريقة القتل فدي كلها تمت بالصدفة ومكتش مقرر سيناريو معين أقتلها بيه، ممكن نسميه مثلا لحظة إنهار..؟ إيه رأيك؟

- لحظة إنهار!!، لحظة إنهار تخليك تقطع صدر مراتك وتاكله..؟!!

- هتفرق معاك بعد ما قتلتها إني أكلت من صدرها؟!!

- أه طبعا تفرق، لأن بمزاجنا أو غضب عننا فجرايم القتل هتفضل

موجودة، أما الي إنت عملته ده فعلى الأقل خالص جديد على مجتمعنا

- آه مجتمعنا!، يعني لو كنت قتلتها بطريقة مكررة كان ساعتها عادي

المجتمع هيتقبل ده..؟!!

قالها ليعاود الصمت منكبها على الورق مرة أخرى ممسكا القلم ليكمل ما

بدأه من كتابة فيتدخل معاون النيابة بعد صمت قائلًا:

- ليه سكت..؟

لا يلتفت المتهم إلي سؤاله مستمرا في الكتابة..

يسشعر معاون النيابة بإستحالة معاودة المتهم للكلام فيقوم بجمع كل

الورق الذي على المكتب ليعطيه لضابط الجيش قائلًا:

- سيني معاه شوية، أستئذن معاليك تدي الورق ده لضابط الشرطة اللي
بره عشان يحرّزه..

يخرج أسامة من الغرفة، إلا أنه والسبب لم يدره نادي على أحد العساكر
الذين كانوا قد أتوا معه من الوحدة معطيا له عشرة جنيهات قاتلا له بهمس حتى
لا يسمعه أحد

- هتنزل تحت بسرعة، في مكتبة تحت العمارة شوفتها وانا طالع، هتصوّر
الورق ده وترجعلي، بس بسرعة إنت فاهم..؟

يعطيه العسكري التحية العسكرية مغادرا الشقة لتنفيذ ما أمر به.

لم يعرف أسامة لِمَا فعل ذلك، فكل ما كان يعرفه وقتها أن تلك الورقات
التي أرسلها مع العسكري تحوي الكثير والكثير وأنه لا بدّ عليه من قرائتها حتى
يعرف لماذا قتل ذلك المأفون زوجته بتلك الطريقة...

لم أتوقع أني سأحصل عليها، لا لعيب في أو لانعدام ثقة، لكنها قناعة وإيمان أن الأحلام جميعها لا تُدرك دفعة واحدة، وأنتك مثلما تأخذ فلا بد عليك أن تعطي، وكما قال لي أحد العساكر مرة بعدما أعطيته الأمان "الدنيا زى ما هترقصلك لازم في يوم ترقص عليك" ...

منذ صغره لا يري نفسه إلا ضابطا بالقوات المسلحة. حلم كان يراوده بين الحين والحين وقد تحقق. لا يدرى كيف سيطر عليه ذلك الحلم، هل بسبب بدلة الضابط التي كانت تُلبسه أياها والدته كل عيد؟، أم بسبب خاله الذي خاض أكتوبر والذي ظل يحدثه عنها وعن بطولات جندها حتى تلخصت كل أمنياته في أمنية واحدة، أن يكن من الذين يخوضون الحرب فيحرروا الأرض فتؤلف لهم الأغاني ويخلد ذكراهم. سعادته البالغة وقلبه الذي كان يرقص فرحا يوم التحاقه لم يستطيعا حجب تلك الغصة التي كانت في قلبه، خوفه أن لا يناهاها، قلقه من أنه قد آن الأوان لأن يدفع مقابل عطية القدر الذي جاد به عليه فلا يتحصل عليها، كان علي استعداد أن يتنازل عن حلمه الوحيد بالإلتحاق بالجيش فقط لتعرف أنه يجها، فقط ليأت يوم تكون فيه زوجته فيحتويها بذراعيه شاكيا لها خوفه في الماضي من أن لا تكون له...

كان حلم البنات وأملهم وكانت هي حلمه ومبتغاه، يري الإعجاب جليًا في أعينهن وكانت عينه لا ترى إلاها. إلتحق بالقوات المسلحة. صارحها بحبه، نهرته لما رأت فيه ذلك الشاب المتباهي ببزته العسكرية، لم ييأس، طاردها، ولما إقتحم عليها هي ووالدها غذائهما في ذلك المطعم الشهير أعجبت بجرأته وإصراره، دق قلبها، بانث في عينها تلك اللمعة التي لا تُحطُّها عين محب. أُعجب به الأب ورأى فيه الرجل الذي يستطيع أن يودع إليه أمانته مطمئنًا، فمريم لم تكن لوالدها ابنة بل كانت الدنيا بكل متاعها فهي ما تبقى له وبدونها لا تستوي الحياة ولا تستقيم. تقدّم إليها وتمت الموافقة، وها هما في انتظار يوم زواجهما...

- إتأخرت عليك يا حبيبي؟

تصنّع الغضب الذي يفشل دائمًا في صنعه أمامها قائلاً

- مستنيكي بقالي نص ساعة وانتي شيفتك خلص برده من نص ساعة،

ومتصل بيكي ومعرفك إني مستنيكي، تقدري تقولي إتاخرتي ليه..؟

تفتح باب السيارة فتستقر جواره قائلة بابتسامة

- يايبني بلاش المواعيد العسكرية دي، إنت هنا مش ظابط في وحدة إنت

هنا حبيبي وبس..

ابتسم رغماً عنه لمداعبتها قائلاً:

- بيبي! أه لو عسكري سَمْعك، إنتي أحرك هتبقني زي المجانين اللي بتعالجهم جوهر..

بدأت تحكي عن يومها وما لاقته، وأحاديث زميلاتها التي كانت لا تخلو عن الثورة والميدان والجيش الذي لاذ عنه، وكم هي فخورة بكون خطيبها فرد من ذلك الجيش الذي لا يطمح في حكم ولا يبتغي سلطة...

يجب الحماس الجلى وتلك الطفولة البادية في كلامها، يعشق ذلك الكف الرقيق الذي في راحتيه شرب شربة حب لم يظماً بعدها أبداً، تلك الأصابع المنمقة الصغيرة التي تشير بهما في حماس، وكأنها طفلة تحكي عن لعبتها بشغف وحب. تلك العينين اللامعتين والتي فيها لا ترى إلا الدفء والسكينة.

- إيه الورق ده..؟ قالتها ملتفتة للمقعد الخلفي جالبة إياه.

- أبدا.. رواية

- وهو أنت سيبت الجيش والبنوقية وهتشتغل كاتب؟

حكي لها القصة كاملة وهي مشدوهة غير مصدقة ما يقصه لتجيبه وهي

تتصفح الورق

- واضح إن آخر كام ورقة كتبهم بعد ما نفذ جريمة القتل فعلا، وواضح

إنه إبتدي الرواية مترن وهاديء، لكن في النص الثاني منها كان مضطرب..

- وعرفتي أزاى ده كله يا فالحه..؟

- باين أوي من شكل الخط..

قالتها وكأنها تقول شيئاً عادياً إعتادت علي القيام به لتكمل

- إنت أخذت بالك من اسم الرواية..؟

- وهيا ليها إسم..؟

تنظر إلي عاتبة قائلة:

- شرودنجر.. إسم الرواية شرودنجر

- مكديش عليكي قريته ومفهمتش حاجة، يطلع إيه شرودنجر..؟

- قصدك يطلع مين شرودنجر، ده عالم الماني زي أينشتين كده، مش عارفة

ثانوية ايه اللي انت اخدتها دي؟!!

يتغاضي عن تهكمها قائلاً

- دي رواية علمية بقي..؟

- متستعجلش، هو أه شرودنجر عالم فيزيا وليه تجربة مشهورة إسمها تجربة

"قط شرودنجر"، ورغم إن التجربة الظاهر بتاعها إنها تجربة علمية إلا إنها

فلسفية أكثر منها حاجة ثانية

- عليا النعمة أنا ما فاهم حاجة

أخذت تحدّثه عن التجربة وعن ذلك القط الذي لا كان بحي ولا بميت

قبل فتح الصندوق، ففهم من سياق حديثها أن التجربة تتحدث عن الإحتمالات

وتساويها، وأن كل شيء يقبل الشئ ونقيضه ليقاطعها قائلاً

- وإيه علاقة ده طيب برواية أدبية؟

ردت مستغربة:

- إزاي بس، العلاقة واضحة جدا بص على المعني الفلسفي للتجربة هتلاقي إن مفيش حاجة واضحة، واللي إنت شايفه حقيقة غيرك ممكن يكون شايفه زيف. ده حتّى ممكن الحقيقة المطلقة هنا ممكن تكون في عالم تانى زيف، ركز يا أسامة..

- عالم تانى؟!

- أه عالم تانى موازي

قائلا في دهشة

- الروايات اللي أنتى بتقريها هتضيعلك دماغك

- المهم سيبك، أنا هاخذ الورق ده، وعارفة إنك هترفض بس انا هاخده

عشان بتحبني ومتحبينش زعلانة..

يضحك بشدة قائلا

- بتعرفي تلوي دراعي، وعموما أنا مش عايزه، قبل ما أجيلك قرئت

منه كام ورقة مفهمتش حاجة خالص، شرو دنجر آيه في الأيام السودا دي.

تغادر السيارة مسرعة قبل الرجوع في كلامه مودعة آياه قابضة على ورق

الرواية في لهفة شديدة لتدخل مدخل العمارة التي تسكن بها...

كما هو حاله في مثل تلك الساعة، جالسا على كرسيه الهزاز، مستمعا للست

كما يطلق على "أم كلثوم" حينما يتكلم عنها، يحتضن مذياعا توقف أنتاجه منذ

فترة طويلة، يدخن سيجارته، غير عابئ بما حوله وكأنه انفصل عن العالم بكل ما فيه..

- ضبطتك متلبس

يبتسم في حنان قائلاً

- وبكده راحت عليا البوسة بتاعة كل يوم.

- لا هبوسك، بس لو شوفتك تانى بتدخن هتتحرم من البوس والأحضان

لمدة أسبوع كامل.

قالتها منحنية لتطبع قبلة على خده مكلمة

- يابابا السجاير، السجاير يابابا، الدكتور آخر مرة كان هيطر دنا

- دكتور مبيفهمش، أنتي أصلاً بتوديني لدكاترة صحابك عشان

توفري حق الكشف.

تضحك بصوت مرتفع، متوجهة للمطبخ بعد أن وضعت حقيبتها وورق

الرواية على طاولة الطعام قائلة

- وطبعاً ماكلتش؟

- وهو الأكل يحلى إلا معاكى

- دقايق ويكون الأكل على السفرة

حاولت كثيرًا عدم التفكير فيما حكاه خطيبها إلا أنها فشلت، تسأل نفسها ألف سؤال ولا تجد أجابة لسؤال واحد منهم، كيف برجل المفروض أنه على قدر من الثقافة أن يفعل هذا بزوجته، بل كيف بأنسان أن يفعل هذا، الحيوان في أشرس صوره لا يقوم بتلك الفعلة، الحيرة تغزو عقلها بضراوة، تستطيع كل ركن فيه، الفضول يقتلها. أسرع بالإنهاء من تناول طعامها لتغادر مائدة الطعام إلى غرفتها.

- رايحة فين يا مريم مش هتقعدى معايا؟

- ساحنى بقى يا بابا، الورق ده لازم أخلصه، بص، أنت النهاردة تتدرب

كويس، عشان مينفعش كل مره أغلبك.

- تغلبيني!، تصدقي أنا غلطان عشان بتغلبك، أنا بس بشجعك.

يضحك الأثنان فتطبع مريم على خده قبلة قائلة

- مباحدش منك غير كلام، بس ده ميمنعش إنى برده تلميذتك في

الطاولة.

تركه مغادرة متوجهة لغرفتها مغلقة بابها عليها، بادئة القراءة لتسكت

فضولها الذي جعل من عقلها سندان لا يكف عن الطرق عليه

"مقدمة ساذجة جدا"

معكم رفعت، روائي، يعمل بالصحافة. مثلي مثل غيري ومنا كثير بمن
أجادوا الرقص وأتقنوا التطويل وعزفوا على أوجاع المساكين، فعرفوا من أين
تؤكلُ الكتف...

متزوج من أمنية، الرقيقة الحاملة. لن أكذب ولن أدعي ما ليس في، فقد
تزوجتها لكونها جاري، كبرت أمامي ويفعتُ فعرفت عنها ما لم تعرفه عن
نفسها، لذلك تزوجتها، لأخونها بعد ذلك...

لي من الإخوة سامح أكبره بعامين. ذلك العاشق المتعبّد في توهمات الحياة.
لم يفلح في شيء. حاول أن يكتب وكان دون المستوى، عارض ليُسجن، خرج
ليتشرنق. في النهاية تستطيعون القول وبملاء فيه أنه فاشل...

تلك عائلتي. أما آخر أعمالها فهي التي بين أيديكم الآن. رواية بطلها روائي
يشار له بالبنان واسمه عرفة الزاهد. صورة محسنة من أخي سامح، مشهور لكنه
نموذج مغاير للفشل، فبسبب طبيته الزائدة تخونه زوجته مع عليّ، ذلك الشاب
الذي لا يفعل شيئاً في حياته سوى التسلق على أكتاف عرفة وإشباع زوجته
أمانى...

لست ضد الخيانة ولا كارها لها فكما قالوا "اللي عنده معزة يربطها"، لكن
هكذا الروايات، حبكة يقتات عليها الجميع هرباً من عالم وواقع صنعوه برداءة،

فعلنيّ ستقتله أمانى لما تعرف أنه قد قرر خطبة سماح أخت عرفة، ليتخلص عرفة
 من كل الخائنين دفعة واحدة ويهنأ في النهاية
 بحياته هو وأخته البريئة التي رحمها القدر وانتشلها من وحل الخيانة
 وقاذوراتها...

تلك روايتي،..

مُحان يُدعى عرفة، تحونه زوجته أمانى مع تلميذه المتسلق علي، الذي
 سيتزوج سماح أخت عرفة. أرايتم مثلي؟، لا أظن، ولا أعتقد أن هناك كاتب في
 عالم الإبداع بالكامل قصّ روايته لقرائه في سطرين ثم يأتي وبكل سذاجة ليقول..
 الآن أترككم مع الرواية، لكنني سأفعلها وسأقولها..
 الآن أترككم مع الرواية...

الحب كما الجمال في جوهرة
ليس اكتمالا ، بل تشوّها..
لأنه كما الخيانة
انحراف عن النمط المعياري..
كل الأشياء الجميلة تحمل في ثناياها
نوعاً من التشوه

" أماني "

من يصدق أنني ال أن أخون عرفة!، لو كانوا يعلمون ما كانوا ليرقصوا في زفافنا. أتذكر الآن رقصاتهن وضحكاتهن البلهاء المصطنعة، أتذكرهن وأتذكر عين كل امرأة منهن كانت تحدد في زوج الأخرى. غمزاتهن للرجال في لحظة ظن أن أحدا لن يراهن، أتذكر المرأة التي كانت تدفع بتتها دفعا حتى ترقص مرخية بيدها حمالة فستانها السواريه المستأجر فيري الشباب الطريق الغائر بين نهديها والذي وجب أن تمشيه الألسنة والشفاه فترى بقية الأمهات صدر إبتتها أنه قد طاب وأنه قد آن أو ان قطفه، أتذكرها وأتذكره هو.. عرفة، ذلك المسكين ووجهه الباسم حينها ورأسه التي أراحها علي كتفي لحظة رقصتنا وكأنه يشكوني طول رحلته وعناقه حتى ينالني ويتحصل عليّ، أتذكر ذراعيه حينما حملني بيده كما ابنته ليلف بي في رقصتنا، أتذكر نفسي حينما إستشعرت سخونة جسده وقوة بنيانه فرغبت فيه ووذدته أن يحملني لذلك الفراش الذي يرقد عليه الآن جواري نائما على بطنه كطفل أضناه اللعب فنام مكانه كما الأموات. له كل الحق أن يرقد هكذا فما فعله بالأمس جعله ال أن لا يقوى علي حمل كوب ماء بين أصابعه، كان كما المصارع في حلبة الثيران والذي لا مفر من قتله، يجارب لا لينتصر لكن ليفوز بدقائق أخرى يبقي فيها حيا، ما من أنملة من جسدي إلا وقد حاول غزوها

لتعلن أستسلامها فيستعمرها ليرفع عليها راية مجده مقبياً عليها نظامه، زارعا فيها
وفي نبتته. فعل ما في وسعه
ووسعه لم يرضيني...

أريد إيقاظه وإخباره أني أخونه وأنه ورغم محاولات إحتلال جسدي إلا أنه
كان كمن يحرث في البحر فجسدي لا ولن يدين له بالولاء متي حيا ومتي رغب،
أريده أن يعلم أن في كل مرة تحشبت فيها واصلة إلي ذروتي وصعقت جسدي
رعشات النشوى كان الفضل فيه يعود إليّ لأنني تخيلته حبيبي. ولما إستعصى عليّ
تخيله إستحضرت آخر ليلة ختته فيها. أريد أن أوقفه فأصرخ فيه ليعلم أن ما
يقذفه بين ساقي مثله مثل ماء المالح لا يروي ولا يُشبع وأن ما رآه من شعب
وارتواء كان لأنني أستحضرت يد حبيبي وشفتيه واعتصاره لصدري وحك
أصابعه بفرجي فكان ذلك التخشب. أريد أن أوقفه فأخبره أني أخونه، لكنني
أعرف أنه أبدا لن يصدقني...

تململ في بطن، فتح عينيه فرأني أحرق في وجهه، سارعت به حديث يملؤه
الحزم، أخبرته أني أخونه فكانت إبتسامته المستفزة التي قرنبا بمدة يده ليقريني إلي
صدره قائلاً.. " نامي يا أماني، نامي وانغطي كويس عشان متحلميش أحلام
بايخة، وبكرة نشوف موضوع الخيانة دا مع بعض "...

فلتهناً يا من كنت حبيبي ولتقر عينك بنومة دائمة. فلا لوم ولا عتب، فقد
أخبرتكم، إلا أنك غبي لا تصدق أن الذين مثلي تخلقن لكي يخن...

لست بخائنة ولم أحسب نفسي يوماً خائنة وعلي من يريد اتهامى بذلك مُسمعا إياي جملا من عينة كل الناس بيحسدوكي على جوزك.. إنتي بترفسي النعمة.. أن يحيا مكاني ولو ليلة واحدة ويريني هل سيصمد؟، حتّى وإن صمد.. فأنا لم ولن أصمد فانا لست براهبة، أنا أنثى، وأريد رجلا يعاملني علي مثل هذا، يا سادة زوجي أدبه جم حتّى في الفراش لا يكثرث أبداً لأنفاسي الضعيفه الهادئة المستقرة وهو يعتليني، درعه لا يصد معاركا وسيفه صديء لا يهدر دما. خيوله عرجاء لا تصول ولا تجول، صماء لا تصهل في روجي فتتردد في ثنايا جسدي، ألم يسأل نفسه مرة أين آهاتي التي أحن إليها والتي لم تخرج يوماً في فراشه، حتّى الكلمات التي يجب أن تكون مثل الأجساد في ذلك الموقف عارية لا يُسمعي إياها، زوجي ينكح جسدي أما روجي فما زالت كما جاءت أول مرة بكر ليست برشيد. يا سادة زوجي لو رأى وجهي يئن أنه النشوى يتأسف ويعتذر لأنه قد ألمني، أي زوج هذا وأي جنس يسبقه لو سمحت ويتخلله أسف ويليهِ شكرا...!؟

أعلم أن الكثيرات تحسدني على عيشتي وزوجي الروائي المشهور الذي يتردد اسمه في المحافل والبرامج وعلى الأفيشات. وأعلم أيضاً أن الظاهر للجميع أن لا شيئاً ينقصني وأن ما أبعثه في يوم يكفي عائلة في بضعة أشهر. لكن هل فكر أحدكم في أماني، هل فكر أحدكم كيف يمر الليل علي؟ الملل يأكل على ظهري حتّى ترهلت أطرافه وبانت سمته، فزوجي إما يقرأ، أو يكتب، أو هائما

شاردا في عوالم رواياته. تمر عليه الأيام دون أن أسمع صوته. صمت مطبق كما الصحراء، وحتى لو تحدث فصوته خفيض خافت رتيب خالٍ من الروح كصوت تلك المملة التي دائماً وأبداً ما تجبرني أن هاتفه مغلق هذا لو أردتُ أن أشعر أن لي رجلا من حقي أن أسمع صوته. تتهمونني بالخيانة؟! ومن الذي جاء بـ عليّ إلى حدود قلبي، من الذي سمح له أن يغزوني ويغير علي قلاعي الهشة ويطأ جسدي بسنابك خيله، أليس هو؟! لمّ لمّ يصد عن قلبي حراب عينيه وسهامها؟، أين كانت عينه وذلك الشغف ظاهرا جليا في عينيّ وأنا أنظر إليّ عليّ، ألم يستشعر تلك الرغبة التي كانت بين ثنايا صوتي وأنا أنطق إسمه، أين كان عقله وهو يقدمه ليّ، ألم يفكر ولو لوهلة أن في عليّ كل ما ينقصه. أنا لا أبرر الخيانة لكني لست من الزهاد، فأنا امرأة تعرف تلك النظرة التي نظر بها إليّ عليّ جيدا، تلك النظرة التي أثبتت لي أنني قد إحتلت قلبه وأنه يريدني، تلك النظرة التي لم ينظر بها إليّ زوجي أبداً...

زوجي لا يستحق هذا، لكنني أيضاً مثله لا أستحقه. لا أستحق زوجي، ولا أستحق ما فعله بي، ولا أستحق ما أنا فيه الآن، ولا دعة لي في ما أنا فيه، أنا امرأة غجرية الروح لا أوّمن إلا بجسدي، أنا لا أستحق شيئا، لا أستحق إلا عليّ، فهو مثلي وأنا مثله، فكلانا قد أكل على نفس المائدة، كلانا لا يؤمن ألا بالجسد. أنا خنت زوجي، وهو خان صاحبه، كلانا خائن، كلانا لا يستحق إلا بعضنا بعضا. فلم أنتم غاضبون...؟

" عرفت "

أنا أعقل من هذا بكثير . لا داعي أبدا أن يُنصَّب كل منكم نفسه طيبيا ومحللا نفسيا. فأنا لا أقف في وجه الدولة ولا أعاديا وأعي تماما حجم ما أنا مقبل عليه من جحيم، هذا إن نُفِذ تهديد واحد من وعيدهم. أكاد أشم رائحة ما سيحدث غدا، سيمنع عرفة الزاهد من اللقاءات والبرامج، سيصمت هاتفه الذي كان لا ينقطع رنينه ناقلا رغبات المعدّين ورجاءاتهم لطلب اللقاءات والمداخلات، سيصبح محرم عليّ الجلوس على مقعد ضيف أمام مذيع سخيف جاهل في استوديو يديره شخص ما زالت أثار الباريه جلية واضحة علي جبهته وهذا بادئ ذي بدء، وإذا لم أتعظ فسيزيد الخناق وسيضيق أكثر ويأتي أمر غير مكتوب لكل دور النشر والصحف بمنع التعامل معي، سأصبح كمن أصابه مرض معد يخشى الجميع الأقتراب منه والمساس، وإذا لم أتعظ ففي النهاية التهم جاهزة ومفصلة وما أكثرها، ما زلت أذكر صديقي الذي أتهموه بخدش حياء الحياة، هكذا كانت التهمة بالله والتي علي أثرها حكم عليه بالسجن بضع سنين...

لا أريد شيئا، ولا أطلب المستحيل. العرّض ينبئ بسرطان خبيث يسري في أوصل المجتمع فكيف لي أن أصنّفه علي أنه وعكة برد، ليست هكذا تورد الإبل!

لم أعد قادرا علي الإستمرار في البحث عن مبررات للخيانة لألبسها
 ثوب الوطنية. الوطن يعج بالقبح وسُوس الفساد ينخر عظامه. لما لا أقولها
 ببساطة وبصوت عالٍ الخيانة خيانة. ودَدْتُ أن أخذ أختي سماح وأماني زوجتي
 فأترك تلك البلاد وأهج إلي بلاد أخرى تحترم عقلي وإنسانيتي وتتيقن أن حرية
 الإبداع هي الملاذ الوحيد لصلاح المجتمع وتقدمه...
 أنا لا أخشى على نفسي إني أخاف عليهن...

سماح.. تلك الجميلة الرقيقة الصغيرة الحاملة، الآن كبرت وصارت تهوى
 وتعشق. هي لا تعلم أني أعلم، لكن تَحْمَرُ وجنتيها والحنين والل هفة البادية في
 عينيها كلما رأت عليّ يفضح أمرها وينبئني أنها تهواه. وعليّ هو الآخر يهواها،
 يحاول أن يُقنعني أن تلك صداقة لكنه لا يعرف أني أعرف أن هناك قصة حب
 تحت أرض هذه الصداقة سرعان ما ستتمو فتخرج للنور فروع وثمر...

عليّ يهواها يظهر هذا في سؤاله الدائم عنها وإختراع الأحاديث حتّى يأتي
 ذكرها. شاب طموح لكني أخشى عليه من طموحه الجامح. أتمنى أن يكن
 عنفوان شبابه سبب ما هو فيه من تطلُّع وتقدر الأيام على ما فشلت فيه فتهديئ
 من رغبته الدائمة في تملك الدنيا بين راحتيه، صغير أهوج لا يعلم أن الدنيا كما
 الماء ما إن تُطبق عليها قبضتك وتظن أنك سيطرت وتملّكت ألا وتتسرب وتفترط
 من بين يديك. لو كانت الأيام غير الأيام ما كنت أوافق أبدا ولا أرضى به زوجا
 لها، لكني أخشى أن يأت يوم عليها تصبح فيه وحيدة، أخشى عليها من موتي

وانسحابي الإجباري فسماح لا تقدر أبدا علي المواجهة بمفردها وهذا ما سيجعلني أوافق على عليّ وشفيعي في ذلك أنها تحبه وهو يهاها أما لو كانت ظروف غير تلك الظروف ما كنت أقبله زوجها لها فهو كما أماني زوجتي نسي أن للقلب وظيفة أخري غير ضخ الدم...

أماني.. فتاة الجامعة والتي تهافت عليها الكثيرين. فقد كان سعيد الحظ وأمه قد دعت له ساعة إستجابة فرَضت عنه أماني فجالسته وحادثته. أماني "كتالوج الستات" كما أطلق عليها أحد الزملاء وقتها، كنت أراها فأخشى أن يسمع أحدهم دقات قلبي إن إقرب مني، أضع يدي علي قلبي رغما عني حتّى لا يفارق ضلوعي مهرولا إليها، كانت كما اللجنة وكنت كما العابد المتيّم المرجو لها، ورغم حبي لها وتيمي بها لم أقرب منها أبدا بل كنت دائم التجاهل لها والإبتعاد، أعرفها جيدا، لا تحب ولا تكره، متسلطة أحيانا متعالية دائما. من عائلة خرجت من العهد الناصري مؤمنة لتفشل أن تلحق بركب الإنفتاح الساداتي، لا تملك من الغنى إلا المظهر والأسلوب. وأنا كنت من عائلة ميسورة الحال، باع أبى ما ورثه عن أبيه وجاء إلى القاهرة لنصبح من سكانها وزاد على هذا شهرتي التي إكتسبتها بعد تخرجى عندما قمت بنشر أول رواية لي وصرت أكثر ذيوعا بين الناس بعد الثانية، لهذا وافقت لما تقدمت لها. كنت أعلم أنها لا تحبني لكنها أيضًا لا تكرهني. تقدمت إليها متمنيا أن يأت اليوم الذي تحبني فيه وإن لم يأت فيكفيني أن تتركني أحبها. وللحق تركتني وللحق ما زلت في إنتظار ذلك اليوم...

" سماح "

- تفتكري عرفة هيوافق علي جوازنا؟
- وليه ميوافقش يا علي؟
- مش عارف، حاسس إنه ممكن يفهمني غلط، إحتمال مثلا يقول إني طمعان فيه..
- وهو أنت مش طمعان؟
- طمعان يعنى أيه؟!
- ضاحكة بسخرية قائلة عبر الهاتف
- مالك قفشت ليه كده، أنا قصدي طمعان إنك تتجوز أخته اللي بتحبها، ومتخفش عرفة مش كده خالص، والحاجات دي بره تفكيره تماما، عرفة كل اللي يهمه إني أكون مبسوفة وطالما إنت بتحبني يبقى أكيد هيوافق..
- هو أنا بحبك بس! أنا بعشقتك ومستني اليوم اللي تكوني فيه مراتي
- تضحك أكثر فيسألها مرتبكا
- إيه اللي بيضحك في كده؟ آه مستني اليوم اللي تكوني فيه مراتي.
- بيع كلام يا علي حتى وانت بتحب مش عايز تنسى شغلتك، يا ويلك
- مني لما نتجوز، إوعى تكون فاكر إنك هتعرف تضحك عليا، أنا يا حبيبي فاهماك
- أكثر من نفسك وعارفة كل اللي أنت متعرفوش عنها واخذ بالك..



- قصدك أيه؟

- لا قصدي ولا حاجة، بهزر معاك يا روحي. ومتخفش عرفة هيوافق
عشان أنا موافقة..

- تفتكري؟ بس أنا برده خايف إن حد يآثر عليه..

- حد زي مين؟ أماني تقصد؟

بأرتباك فشل أن يخفيه:

- مثلاً

- وليه أماني تأثر عليه وتقنعه بالرفض؟ هو إنت مزعلها في حاجة؟

يزداد إرتبাকে فيحاول مداراته بسعاله قائلاً

- وأنا هزعلها ليه؟، وإيه بيني وبينها يخليها تزعل مني أصلاً؟

إستمر الحديث علي هذا النحو تضغطُ هي فيرتبك هو، ترمي شباكها
فتصطاده لتُفرج عنه طالقةً سراح عقله لتعاود إصطياده لِتُظهِرَ قلقه حتَّى ملّت
رتابة إرتبাকে فقررت إنهاء المكالمة ليغلق كل منهما في النهاية هاتفه...

جميعهم يتقربن إليّ لأنني أخت عرفة الزاهد، حتَّى أنت يا عليّ. ما من أحد
تقرب لأجلي، الجميع يحاول مع أخت الروائي المشهور حديث الإذاعات
والقنوات علّه يفتح لأحدهم باباً مغلقاً وإن لم تكن أمامهم أبواباً موصدة فيكفي
ما ورثته عن أبي وما سارثه عن أخي العقيم. وهكذا عليّ فهو مثلهم. الفارق

الوحيد أني أحببته، ولأصدقكم القول فأنا لا أحبه بل أحب خضوعه، أخشي أن أقول وهو يجنني فيكذبني قلبي، فعليّ ومن مثله لم يعرفوا الحب قط...

قبل أن يظهر كنت قد قررت أن لا أرتبط وأن لا أتزوج فما لاقيته وعاشته بقليل. فأنا بمن يطلقون عليهم أبناء الصمت والقسوة. لا أتذكر أن أبي حادثني مرة، لا أذكر من وجهه إلا عبوسه وتجهمه، حتىّ أمي لا أذكر منها إلا أوامرها ووسائل عقابها المتكررة دائماً، ما زال وجهي للآن يثن من لسعات يدها ولطاماتها، إعتدت الأماكن المغلقة المظلمة وألفتها بسبب حبسها لي، كنت أهرول علي أبي كأني طفلة تلتمس الحماية من ملاذها الوحيد فيدفعني بيده وأحياناً بقدمه هذا بعد أن يصفعني لأنني لم أمثل لأوامر أمي حينما حذرتني أن لا ألعب بصوت عال...!

كل شيء خُلِق ليجرح، ليكسر، كل شيء خُلِق ليشوه ويترك فينا ندبا لا يلتئم. أب يري فظاظته تربية وواجب مقدس، أم تعتنق مذهب كسر الضلع لينمو ضلعين غيره. مجتمع فيه رجاله لا ينظرون للأنثى إلا علي نصفها الأسفل. مجتمع جسد الأنثى فيه خطيئة لا بدّ أن تخجل منه وتواريه. مازلت أذكر ذلك الأشيب الذي مد يده في غفلة مني فمسك صدري. الغريب أن وجهه ساعتها لم يحمل أيّا من تعبيرات الخجل أو حتىّ الإجمام، بل كان بشوشاً طيباً وكأن ما يفعله هو الشيء العادي جداً وكأنه حقه الذي إعتاد علي ممارسته وأخذه. كرهت جسدي، فعلتُ ما في وسعي لأثبت للجميع تبرؤي من أنوثتي التي لا ذنب لي فيها، ولهذا أيضاً كرهت الرجال.. كل الرجال.. حتىّ عليّ أكرهه أحياناً، رغم أني أشعر معه

بحنين الأب الذي إفتقدته، ضببت نفسي متلبسة مرة برغبة منى أن أترك مقعدي لأجلس علي حجره فيداعب شعري ناصتا لهمومي، كانت رغبة محرجة بحق . ولهذا أحبه بعض الوقت، فقد وجدت فيه ما افتقدته في أبي إلا أنني حينما أتركه أتذكر خيانتة لأخي، فأعاود كرهه...

كلهم حفنة أوغاد حتىّ عليّ، وحتى وإن كنت أحبه فأنا لا أحب فيه إلا خنوعه وخضوعه ونفسه الدنيّه، سأتزوجه لأغلق عليه باب خيانتة لأخي الذي لا يستحق هذا . سأتزوجه وأنا علي يقين أنه سيأتي وقت فأكرهه فيه كلية، سأتزوجه حتىّ أكرهه وأمل فيه جلسته تحت قدماي كما الكلب الأليف، ساعتها سأريه الجحيم المستعر الذي عشت فيه حياتي. ومهما حدث فأنا لن أخسر شيئاً فالشاة لا يضيرها سلخ بعد ذبح...!؟

أعرف أن أمانتي تخون عرفة مع عليّ فأنا لست ساذجة كأخي، أنا علي علم تام بعلاقتها المحرمة، جليّ جدا وواضح ما بينها فهذا لا يخفي ألا على عرفة، كانا في البداية حذرّين، يسرقان نظرة أو إبتسامة في غفلة ممن أراد أن يغفل . إلا أنه ومع الوقت وبسبب طيبة أخى وثقته المفرطة إعتادا الخيانة وألفاها وصارت لها كما الهواء الذي يتنفسانه، فكرت ووددت كثيرا أن أخبر أخي، لكنني أعرف أنه لن يصدقني، كيف يصدق من عاش عمره في ضلالة أنه كان يسجد لصنم، وحتى وإن صدّق فالإنتحار أو الجنون سيكون رد فعله الوحيد . هذا أخي وأنا أعرفه

جيدا. ومهما دارى وتجمّل فالجرح فى قلبه هو الآخر محفور . فقد عاش ما عشته
فكبر هشا رَخُوا غير قادر على صمود أمام رياح الحياة وعواصفها...
لا تقلق يا على، سأتزوجك حتّى يرتاح أخى ويهنأ بالخاتنة الأخرى،
سأتزوج منه لأنى على علم أنى إذا حدثت فى هاوية فإنها سوف تحدق فى وتجدبنى
لذلك سأتوجه ويا ويله منى لو إستمر على خيائته. سأعطيه فرصة واحدة وإن لم
يستغلها فسأجعله من الذين ماتوا وهم أحياء يرزقون . إنتظروا كروت الدعوات
فسأح بنت الحسب والنسب والمال سيقترن إسمها بإسم ذاك الخائن الذى لا
أصل له ولا ذكر...

لم تشعر بنفسها وهى تبحث عن رقم أخيها فى سجل مكالماتها لتستدعيه،
لم تفق ألا على صوت أخيها ينادى بأسمها، هنا فقط رجعت من عالم شرودها
لتجيبه قائلة

- أيوه يا أبيه كنت بتصل بيبك عشان أقولك أنى موافقة على الموضوع الى
قولتلى عليه

- فكرتى كويس ياسأح؟

- أيوه يا أبيه فكرت كويس

يصمت للحظات فيعاود قائلا بصوت يملؤه الدفء

- مالك يا سأح صوتك مش عاجبنى خالص، فيكى إيه؟

- ابدأ يا أبية مفيش والله، يمكن عشان لسه صاحية؟
- ماشي يا حبيبتى، يعني خلاص أبلغ عليّ بالموافقة؟
- اللي تشوفه يا أبية .
- اللي أشوفه برده؟!
- يضحك عرفة فتتصنع الضحك ليكمل كلامه قائلاً
- اللي فيه الخير يقدمه ربنا يا حبيبتى، ألف مبروك

"علي"

- ها يا عليّ إيه الأخبار؟
- يقف عليّ وكأن عقرب قد لدغه قائلًا
- كله تمام يا أستاذ عرفة..
- يشير عليه عرفة بالجلوس قائلًا
- إشرتكت برده في 6 إبريل زي ما قولت؟
- أه إشرتكت وياريت حضرتك كمان تشرتك
- يضحك عرفة حتّى تظهر نواجذه قائلًا
- والله يا عليّ أنا مبقيت فاهمك نظام، شوية إسلامي، شوية ناصري،
- شوية حزب وطني وأديك النهاردة ٦ إبريل. يابني إثبت في حتة، إنت مين في
- دول، تبع مين، مع مين علي مين؟
- يا أستاذ عرفة زي ما العمر بيتقدم برده الأفكار بتتطور..
- لا يا اراجل علي مين الكلام ده؟، الكلام ده تكتبه في مقال، تقوله لحد
- غيري، أما أنا فانا فاهمك كويس، إنت طول عمرك حزب وطني ولما لقيت
- الأخوان خطفوهم شوية كراسي في المجلس مش بطالين الدورة اللي فاتت،
- جريت ومشيت وراهم، ولما إتلشوا المرادي والنظام قفلها لنفسه نقلت العطا علي
- ٦ إبريل ويا عالم مش بعيد بكرة ألقاك في المجلس القومي لحقوق المرأة..

يضحك الإثنان ليُكْمِل عرفة كلامه قائلاً

- بس خد بالك المقالات اللي إنت كنت بتكتبها متناسبش خالص مع المرحلة الجديدة اللي إنت فيها، سياسة مسك العصاية من النص مش هتأكلك عيش أسمع مني، إنت لازم تكتب كام مقال من اللي همّا عشان يجي اليوم اللي نباركلك فيه لما نلاقك المنسق العام.. مش برده أسمه المنسق العام..؟

- بمناسبة المقالات، أنا مبعتش مقال حضرتك ينظر عرفة في ساعته فيعلم أن الوقت قد أزف على تسليم مقاله، فيكفهر وجهه قائلاً

- ليه مبعتوش؟!!

يتلعثم عليّ مجيباً

- ده مقال يجيب مشاكل كتير حضرتك في غني عنها، ده غير إنه كده كده مكنش هيتنشر ولا هياخد موافقة

- برده يا عليّ كنت تبعته، وبلاش يا عليّ ممارسة دور الرقيب ده عليا، مش هتبقي إنت ومدير التحرير

- يا أستاذ عرفة أصل..

- لا أصل ولا فصل إنت سمعتني كويس؟

- أيوه سمعت حضرتك

- يبقى خلاص بعد إذنك الموقف ده ميتكررش تاني

- اللي تشوفه حضرتك

يغادر عرفة مكتب عليّ تاركاً إياه في بحر أفكاره فدائماً وأبداً ما كان
 ينجل من ذكر إسمه كاملاً خشية أن يعرفه أحد. فهو ابن أحد المتشيعين
 الذي ذاع صيتهم في الأونة الأخيرة وإرتبط إسمه بحادثة شنيعة تردد صداها في
 الصحف والقنوات حين قام أهل القرية بسحله في كل طرقها وحواريها هذا قبل
 أن يضرمو النار في جسده...

يتذكر أباه الذي سافر إلى أحدي دول الخليج ليأتيه من هناك شيعي المذهب
 والهوي. لم يزد عليه شيء سوي أنه إقتني بضعاً من كتب لم يفتحها يوماً ليقراً ما
 فيها كما أن بيته صار ملتقي لمن هم مثله...

في البداية كان الأمر يتم سرا، ورويدا رويدا جهر أبي بما كان يسره
 ويخفيه بل صار يدعو للمذهب الذي يعتنقه. وفي يوم جمعه إعتلي أحدهم المنبر
 وهو يعلم أن أرباح تجارة هي الإتجار بالدين وأنه إذا أراد التحكم بجاهل فليس
 عليه سوي أن يغلف كلامه بغلاف ديني ويربطه بربطة عقائديه. أفتي بأن أبي
 ومن مثله صاروا من المفسدين في الأرض وأن دمه أصبح مهدراً. فانتقلت
 الجحافل تزوّداً بكل ما لديهم من إيمان زائف إلى الغزوة المباركة، اقتحموا علينا
 بيتنا، أخذوا أبي الذي تصادف وجود شخصين معه. أخذوهم ليوسعوهم ضربا
 ساحلين إياهم بكل شوارع القرية وأزقتها مكبرين مهللين وكأن القدس قد
 فُتحت علي أيديهم...

رأيت الفلّاتي والمدمن والذي لم أره يوماً يرتاد مسجداً، رأيت نباش القبور والمتهم بأغتصاب طفلة، رأيت الذي طرد أمه من بيته بحجة أن زوجته لا تريدها. رأيت كل هؤلاء وغيرهم يوسعون أبي ضرباً متهمين إياه بالكفر. فجأة صار أبي أشد خطراً علي الإسلام من اليهود والنصارى علي حسب كلام خطيب المسجد وقد وجب قطع يديه وأرجله من خلاف حتّى ينال جزاء المفسد ويصير عبرة لمن أراد العبث بالدين...

أبي الذي كان لا يحسن الوضوء صار خطراً علي الدين!. لم يفعل شيئاً سوى أنه إعتقد أن بتشيعة يكفر عن ذنبه، يغتسل غسولاً طهوراً من جنابة خطيئته، وهم لم يفعلوا شيئاً سوى أنهم رؤوا فيه أنه سبيل للإيمان، سهل لا خسارة فيه ولا نقصان، أنتصروا لدينهم الذي لا يعرفون عنه شيئاً وهم أبعد ما يكونوا عنه فقتلوه...

أنا عليّ. الذي رأي أباه أمامه يُضرب، يُسحل ويُحرق. أنا ابن الكافر الذي صار خطراً علي الدين ولزماً علي القطيع قتله. أنا الذي صار إسم أبوه سبّة لا يحوها الزمن ولا يداريها. أنا من ضيعت القدس، أنا من جلبت لهم الجهل والمرض والفقر في قرطاس، أنا من وجب عليه الثورة حتّى ينصلح حال البلاد... نشأت في بيت خالي وكذب من قال أن الخال والد فكل شيء فجأة أصبح بنظام وبتدابير إحترازيه. كل شيء بإذن وبموافقه حتّى دخول الحمام، ليس من حقي شيء وليس لي في أمري شيء. إن أردت، فعلي أبناء خالي أن تكن لهم نفس

الإرادة حتى أستطيع أن أنال بقايا الفتات. فرحت لما تزوجت أمي، فقد وجدتها فرصة سانحة لأغادر بيت خالي فأقضي الأمل لا تولد إلا من رحم الشقاء، إلا أنني إكتشفت أن زوج أمي قد إشترط أن تأته خالية وبهذا خسرت بصيص الرحمة الذي كان يأتيني في أحلك الأيام
ظلمة وأشدها شقاء...

كبرت لأدخل كلية الإعلام حاملا معي كل ترديات الحياة وبؤسها الممزوج بالفقر والذي حاولت كثيرا مدارته إلا أن رائحته كانت تعصاني عمدا...
كبرت وكبرت معي سوأتي التي لا ذنب لي فيها، والتي صارت علي ظهري كما القتب، يراها الجميع دون تمحيص أو جهد. إعتزلت الجميع وارتدت المساجد بل أقمت فيها واعتكفت حتى يروني أكفر عن ذنب لست مرتكبه. إنضممت للجماعات الإسلامية وصرت من الذين يُكفرون أينما يسرون. صرت من الذين يملكون صكوك الغفران والجنة. وتبعني البعض في جهل ناسين أن من يعدهم الجنة ويمنحهم صكها ما هو إلا وغد فتح لهم باب طريق النار...

نسي الجميع أبي وأصبحت العالم الذي خلق من ظهر الفاسد ليتم إعتقالي بعد ذلك سريعا. لم أمكث في السجن طويلا بل لم أدخله من الأصل فالأمر لم يكن ليستحق ذلك. فمن أول ضربة عصا ولسعة كهرباء أعلنت ولائي مقدما وخدماتي أيضا...

أنضمت لزمرة من يكتبون التقارير في زملائهم وكما أمتلكتك صكوك
الجنة إمتلكتك صكوك النار. كم من مرة تسببت في إعتقال أحدهم . كنت أشعر
بنشوة وغبطة لم تأتيني مسبقا وأنا أرى الإنكسار في عين زميل أُعتقل بسبب
تقريره فيه فخرج بعدها باهتا باحثا عن جدار يسير فيه لا جانبه. رأيت نفسي إلهها
يمنح المغفرة والعذاب المتمثل في الإعتقال، تغاضيت كثيراً عن أعمال بعضهم
والتي كانت فعلا تستحق الإبلاغ لأمنح نفسي شعورا بأني قد عفوت عن أحدهم
. عرفت حينها أن من يرضي عنه النظام ترضي عنه الحياة، أشاروا لي علي الكتف
وأفهموني من أين يؤكل، ففهمت ووعيت الدرس جيدا وأكلت علي كل
موائدهم. وكمكافأة أحر الخدمه عينوني بعد تخرجي بأحد الجرائد القومية
لأصبح لهم عينا تري وأذنا تسمع وأنف تشم كما الكلب إن أرادوا. ترقيت سريعا
ليس بفضل منهم بل بسبب مجهودي المضني ومهاراتي في التملق والتسلق ومسح
الجوخ . تعلمت أن ذلك المجتمع وإن أردت العيش فيه فيجب عليك أن تنسي
كل القيم والمبادئ وإن لم تستطع نسيانهم فعليك إستغلالهم لصالحك. عليك أن
تعي أن كل من حولك هم فقط حولك لتسلق عليهم. وكان أول من تسلقت
عليه هو عرفه الزاهد الذي إحتواني وعرفني قبل حَتَّى أن أحدثه عن نفسي. تبنّاني
وقربني منه رغم أن فارق السن ليس بكثير . حاول معي كثيرا إلا أن محاولاته
كلها كانت كغشاء سيل لا تغني ولا تسمن من جوع فالنفس كانت قد ماتت
والعفن كان قد تملك منها. طاوغته وسائرته وصرت له كالجرو، لا أسير مطلقا

بمحاذاته، دائماً خلفه أتحسس خطاه رغم سعيه الدؤوب لأن أكن غير هذا، ساذج لم يكن يعلم أني فقط أنتظر الفرصة والتي أتنتى مهياًة في زوجته أمانى . أمانى التي قابلتها أول مرة فعرفتها في حينها، امرأة متسلطة، متكبرة لعوب تأكل ولا تشبع، تشرب ولا يُروي عطشها، تطلب ولا تحمد، إن أرادت شيئاً ونالته تهتمّ بطلب الأخر مستنكرة أنه لم يأتي. كل هذا عرفته وعرفت معه أنها تريدني حينما رأيت في عينها ذلك الشغف وتلك الرغبة في تملكي. كانت تريد رجلاً يكبح جماحها، يأخذ زمامها ويلجمها. كانت تريد رجلاً تكن له أنثى وكنت لها ذلك الرجل...

أنا هذا وهذا أنا ولا شيء يأتي من العدم إلا العدم، تستنكرون عليّ عليّ أنه قد عض اليد التي حنت عليه وخان؟، تحمّلوني كل الوزر وكأني طوع نفسي، نسيتم أن أمانى مثلي بل هي أكثر، فهي كما الإخطبوط لا فكاك منها ولا مهرب . تشقون عليّ وكان الأمر بيدي، وكأني أملك ناصيتي.

أعرف أني مهما صغت لكم من مبررات وحجج فلن يكون لها تأثير عليكم فأنتم لم تعيشوا حياة مثل حياتي ولم تري أعينكم بؤسا مثل ما رأت عيني. ماذا كنتم تنتظرون من فتي يافع رأي أباه يسحل ويجرق، ماذا كنتم تنتظرون مني بعد أن تركتني أمي لكل مار يشفق مرة ويقسو ألفا. ماذا كنتم تنتظرون من شاب أدخلو العصا في دبره...؟

لا تشمئزوا ولا تصنعوا الفضيلة فالقاع يعج بالفسدة، ومن كان منكم بلا خطيئة فليرمني بحجر، ودائماً طريق الصلاح ملئ بالمشقة وطريق الشر ميسور

مهد مفروش بكل سهل وأنا إخترت السهل إلي أن ظهرت سماح أخت أستاذي.
 رأيتها فعرفت كما عرفت أمانى. في عينيها رأيت كره الدنيا ومقتها، تكره كل شىء
 حتّى نفسها. بركان من مقت يغلي. لا أنكر أنى فوجئت معها بأشياء ظننتها ماتت،
 شعرت بقلبي ينبض في خفوت خجلا منى. كنت أظن أن الحب لمن مثلي محالا
 وتبينت وهمي لما رأيتها فتمنيتها حرما أشد إليه الرحال لأرتمى في حضنها باكيا
 ملتصقا بالرحمة والغفران. تمنيتها الجنة التي تجعلني متحفزا راغبا لأكون إنسانا
 اخر أملا في دخولها. أحببتها ورأيت فيها مأساتي، تيقنت أنى علاجها وهي
 شفائي، رأيتها ورأيت فيها حلم أستعادة نفسي ورجولتي وكرامتي المهذرة علي
 أعتاب من أتملقهم. فاتحت أخيها في خطبتها ووافق ووافقت وأنا الآن أنتظر...



أنت لا تري الحقيقة..
أنت تري ما استطاع عقلك استيعابه
فالعين لا تستطيع أن تري ضوء الشمس
كاملا

- الموضوع واضح، ده مريض نفسي

يكف أسامة عن تناول طعامه ناظرا إليها بغضب متصنع قائلاً:

- يعني أنا واخذ يوم مبيت، يوم واحد عشان أشوفك واعزمك في مطعم فخيم زي ده، وأكع آاد كده عشان تيجي إنتي في الآخر وتكلميني عن اللي قتل مراته، وإنه مريض نفسي، إن شاء الله قريب في الجرايد هيكتبو عن واحد إنجن وقاتل خطيبته وابقى ساعتها خي الطب النفسي ينفعك..

تضحك مريم بصوت عال رغما عنها محاولة كتتم ضحكها بوضع يدها علي فمها فيتلقت أسامة حوله قائلاً

- ده مش هو لوحده اللي مجنون، واضح كمان إنك قريبته

- إفهم بس. إنت لو كنت قريت الورق اللي إدتهولي، كنت هتفهم الكلام اللي بقوله. الأول بس إنت تعرف إني دوّزت علي روايات تانية ليه لقيت كام حاجة كده لا ترقى لمستوي الرواية؟، أقل ما يقال عنها إنها تافهة..

- طب والله ما في أتفه منك، ولما هيا تافهة مصدعانا ليه من بدري..

ترفع مريم إصبعها قائلة بتحذير

- أنا قولت علي اللي لقيته علي انت، أما الرواية اللي بقرأها دلوقتي واللي إنت إدتهالي فحاجة تانية خالص، تحس إن مش هو اللي كاتبها، أصلاً مينفعش اللي كتب الروايات اللي لقيتها يكون هو اللي كاتب الورق اللي انا أخذته منك..

مستحيل...

- حيرتيني.. هوّ ولا مش هوّ؟

- إنت عارف الرواية بتتكلم عن إيه؟

بحيرة ظاهرة علي وجهه يجيبها

- لا.. قولتلك مقرتهاش وكان يوم إسود يوم مصوّزتها

- بيتكلم فيها عن نفسه اللي نفسه يكونها، واللي خايف يكونها

ينظر إلي وجهها متمعنا ليرد بعد لحظات صمت

- مريم بقولك إيه، أنا مش عايز أعرف حاجة، بلا نفسه بلا نفسه

- بالراحة بس.. بص هو روائي بس مش كويس، خاين بطبعه، لغة الأنا

عنده عالية أوي، نرجسي يعني، منافق وعارف إنه منافق، كتاباته ساذجة وعارف

برده إن كتاباته ساذجة، لكنه تعب..

- تعب!، تعب من إيه بسلامته؟، من الكتابة ولّا من إيه بالظبط..؟

- تعب من نفسه، من خيانتة لنفسه، وإنه بيكتب اللي علي هوي الحاكم،

تعب بس بيحاول يقنع نفسه إنه لو مبقاش كده مش هيعرف يعيش . وعشان كده

خَلَقَ لنفسه خط دفاع، كتب رواية عن روائي محترم جدا اللي بالرغم من شهرته

متواضع جدا، معارض للدولة، وخلي مراته تخونه . رسالة بيعتها لنفسه قبل ما

بيعتهلنا، عايزني أكون خايب زي ده، متخان زي ده..!؟

بإندهاش محاولا البحث عن الكلمات في فمه يجيبها

- أنا مش فاهم حاجة خالص

- وانا كمان لسه مش فاهمة ومش هقدر أفهمك دلوقتي، لأن فعليا أنا مقريتش إلا كام صفحة لكن وباختصار صاحبك ده..

يقاطعها قائلا

- كمان خلتيه صاحبي؟!!

- بلاش صاحبك، الرواية اللي بين إيديا المريض ده كاتبها كأنه يبص في مراية معكوسة.. هو خاين خليّ البطل مخلص، مراته محترمة خليّ مرات البطل خاينة.. بيوجد مبرر لنفسه وبيعاقب مراته علي إحترامها

بتعجب يرد أسامة

- يعني زعلان إن مراته محترمة عجيبه والله؟!!

- ده مش زعلان بس.. بص كده

قالتها لتمد يدها في حقيبتها باحثة عن شيء ما لتخرج من ثنايا الحقيبة مفكرة في حجم كف اليد فتقول وهي تقلّب في ورقاتها

- شوف الأسامي كده.. هو رفعت خاين ومراته إسمها أمنية محترمة.. بطل

روايته عرفة محترم ومراته أماني خاينة، مش ملاحظ حاجة؟

يمد يده أخذا المفكرة قائلا

- تقريبا الأسامي حروفها واحدة، والأدوار متبدلة

- بالظبط.. الأسامي واحدة والأدوار متبدلة.. بقولك إيه إنت قولتلي
إمبارح لما إتكلمنا إنه كان كاتب جملة علي تراييزة السفارة، وقولتلي إنك صورتها
وهتبعتهالي فين الصورة بقى..؟

يمسك أسامة هاتفه باحثا عن الصورة قائلا

- أهي كنت خايف اكون مسحتها

تنظر إليه باستنكار أخذة منه الهاتف قائلة

- ودي صورة تتمسح برده

" أرسم هذه العوالم وأعيش فيها كما أريد.. كل إختياراتي صحيحة لكنها

مع الأسف خاطئة " ..

تعيد قراءة الجملة أكثر من مرة لتسأله

- مش فاهمة حاجة، لكن أكيد هو اللي كاتبها؟

مستنكرا يجيبها في تهكم

- أكيد مش القتيلة يعنى

- الجملة دي لو فهمنا يقصد بيها إيه كل حاجة هتظهر واللغز هيتحل، أنا

عايزة أقابله

- تقابلي مين يا حبيبتى؟!!

تشير بإصبعها علي شاشة الهاتف

- أقابل الراجل ده

يرجع بظهره ألي مسند كرسيه مشيرا إلي السماء قائلا بسخرية
متستعجlish هو قريب هيتعدم وانا قريب هوديكي ليه
بإصرار تجيبه

- أنا بتكلم جد يا أسامه عشان خاطري عايزة أقابله
- يابنتي إزاي هو في حد قالك إني مأمور السجن، إزاي بس؟!
بعد تفكير تنتفض من مكانها قائلة بفرح شديد
- لقيتها، إنت مش بتقول إنك إتعرفت علي وكيل النيابة وبقيتو صحاب،
إنت إعزمه علي الغدا وسيب الباقي عليا

بنفور يقوم من علي كرسيه ماسكا يدها قائلا
- قومي يا مريم، قومي عشان أروحك، إنتي خلاص إنجنتي
تطاوعه متوسلة
- عشان خاطري إعزم وكيل النيابة
ينهي أسامة الحديث قائلا

- حااضر المرة الجايه هعزمه وهخليه يجيب معاه الراجل كان



نسعى للفراق مستميتين

وما أن يأتي إلا وننهار من ألمه

" رفعت "

من يصدق أني ال أن أخونها!. أمنية زوجتي ذلك الملاك الذي ظل علي الأرض بوجهه فملأها حبا . لو كانوا يعلمون ما كانوا أبدا ليرقصوا في زفافنا . أتذكر رقصاتهم المحونة، وضحكاتهم البلهاء المصطنعة، أتذكر تلك الأجسام المترهلة المحشورة في تلك الفساتين الضيقة التي يشاهدها رجالا لا تقوم لهم قومة إلا بالحبة الزرقاء أو الحمراء كل من حسب ضعفه، أتذكر هؤلاء الشباب الهائمين في القاعة كما الكلاب الضالة التي تبحث عن أنثي في موسم التزاوج متبولة في كل ركن من أركانها معلنة سيطرتها عن ذلك الركن وتلك التتاية. أتذكر كل هذا وأتذكر معه إبتسامتها ووجهها المتلئلي وفرحتها كمن نالت الدنيا بين راحتها... أستصدق أمنية أني ال أن وبعد كل تلك الحرب الضروس التي خضتها حتى أناها أني أخونها؟. لا أظن. أريد أزاحة رأسها من علي صدري فأوقظها لأخبرها بأنني ال أن أخونها، أريد أن أخبرها بأنها كانت بين ذراعي أمس امرأة أخرى، وأن تلك الليلة العاصفه لم تكن عاصفة إلا لأني تخيلتها امرأة أخرى . أريد أن أخبرها أن يديّ وشفتي لم تطأ كل بقاع جسدها في مهارة يحسدني عليها صناع أفلام البورنو إلا لأني تخيلتها غانية من اللواتي أعاشرهن محاولا أن أكون كما ينبغي حتى لا يؤنبنني ضميري بأني قد دفعت بضع جنيتها ولم أخذ بهم حقي من متعة . أريد جلب الملاة من تحت قدمينا فأغطي جسدها المسجي العاري ولما

تستيقظ أخبرها أني صرت من الذين محرم عليهم رؤية ذلك الجسد المفعم
 بالنشوي والجنس فأنا الآن أخونك لكنني أعرف أنها أبدا لن تصدقني..
 أيقظتها برفق وبلهجة تعمدتها مليئة بالخزم أخبرتها أني أخونها فكانت
 إجابتها.. " بس بقي يا رفعت بطل هزار بايخ.. سييني أنام "..
 نامى يا أمنية.. ولتهنتي يا من كنت لك وحدك.. ولتقرّي عينا بنومك
 وغفوتك الدائمة فقد أخبرتك إلا أنك بلهاء لا تصدقين أن من مثلي خلقوا لكي
 يخونوا..

الإسم رفعت وكفى، ولا أرى لبقية إسمي أهمية، ولا أظن أيضا أن هناك
 داعيا حتى أضبيح وقتي ووقتكم في سرد قصة طويلة عريضة يجب أن يلحقها
 كلمة تافهة عن سبب تسمية عائلتي بلقب الموس، لذلك سأكتفي بأن إسمي فقط
 رفعت، هذا غير أني أكره ذلك اللقب فعلا، وأحمله مسئولية سوء توزيع رواياتي،
 فمن سيقراً لشخص لقبه الموس، لقب مناسب لأن يلحق بإسم بلطجي أو أفة من
 أفات المجتمع التي خلقت لتداس بالأرجل، أما أن يناسب إسم روايتي فهذا غير
 مجدي تماما...

الندم لا يفارقني لأنني طاوعت صاحب دار النشر الذي استبسل في إقناعي
 أن لقبى مميزاً وأنه سيكون سبب إنتشاري. يهددني الآن إبن القحبة بأن تلك
 الرواية التي أكتبها ستكون آخر تعامل بيننا، ال أن يعايرني بفشلي وأنه لولا نُسخ
 هيئات الثقافة ما كان قد طُبع من رواياتي عشرين نسخة على أكثر تقدير...

أعلم مثل غيري من الكتّاب أن الكتابة لا هي بوحى ولا بإبداع فتلك كلمات إعتدنا قولها في برامج لا يراها أحد. فالكتابة ليست بأكثر من طبخة لها أصول ومقادير إن أحسستها تضمن التوزيع والإسم المردد الرنان، بل ستضمن أحيانا جائزة الدولة التقديرية ونوط الشجاعة إن كان لهم رغبة في ذلك وإن كان هناك منهم ممن قدّمته له فروض الولاء والطاعة فرضّي عنك ورشحك وزكاك. فالرواية لا بدّ أن تحتوي علي بعض مشاهد الفراش العنيفة، فاسق يصلي بين نهدي عاهرة، وعاهرة تُولي وجهها رجلا فتوهمه الإرتواء من بعد عطش من بثره الذي نضب قبل أن تأتيه ويأتيها، ولا ضير من بعض الكلمات التي تصف جسد المرأة وصحرائها الرطبة وعشبتها النديّ والتي يجب أن تأتي بها من قاع مستنقع الوساحة، هذا غير قصة لا منطقية بنهاية مأساوية تجعل من يريد أن يبكي يبكي ويفرط في البكاء، وأهم من هذا كله دور الدولة الذي يجب أن يُذكر في دعمها للشباب وأن تدخّلها هو الذي أصلح الأمور وأحيا قصص الحب التي كانت قد قاربت الموت والتفسخ حتّى تضمن نسخ دور الثقافة وقصورها. مقادير كافية وافية أن تصنع رواية ناجحة التوزيع وهذا ما أفعله في كل رواية ورغم هذا ما من رواية نجحت وتخطت حاجز التوزيع. من أجل هذا أكره لقبى المسئول الأول عن ما أنا فيه...

تحرّجت لأعمل بالصحافة وما زلت إلي الآن أعمل وعند انقضاء فترة تدريبي تقدمت إلي أمينة فتزوجتها لأخونها مع عليّة أو لي لي كما تحب أن تُنادى، زوجة صديقي الوحيد. سيتهمني الكثير بالقذارة ونكران الجميل إلا أنني أري أنه لا ضير من ليلة واحدة كل أسبوع تستطيع بها "لي لي" أن تستمر مع صديقي محسن الذي طالما حاولت معه أن يتغير ويستغني عن طبيته الزائدة. أراكم تجاملوه وتريدون أن تُلبسو الذئب ثوب الحمل. هو المخطئ ولست أنا. لكن لا بأس فأنتم ومحسن لو تعلمون عظيم، فلو عرفتم أن سبب توقف "لي لي" عن طلب الطلاق هو ظهوري في فراشها لعرفتم قدرتي وحُسن ما أفعله. لكن أنتم كما أنتم وستظلون دائماً وأبداً تحكمون علي الأمور من منظور سطحي ضيق. دعمكم من علاقتي وقناعاتي ومحسن صديقي وزوجته الشبقة دائماً فلا الذئب يلام علي نهشه ولا الحمل يعاتب علي برائته. دعمكم فالوقت قد أزف وابن الحائكة لا يتوقف أبداً عن طلب الرواية للطبع مُميّاً نفسه أن تعوضه عن كل الخسارات التي خسرها في طبع رواياتي. لا أعلم من أين أتى بتفاؤله هذا. أين ذلك المجنون الذي سيدفع من جيبه ليشتري رواية يضيّع بها وقته ليقراً فيها عن الروائي ذائع الصيت عرفة الزاهد الذي تخونه زوجته الشرموطة التي تدعى أماني. فالكل يعلم مثلها أعلم أن كل زوجات المشاهير والمسئولين ذائعي الصيت شراميط...

دعمكم منى فأنا أعقل من هذا بكثير. لا داعي أبداً أن ينصب كل منكم نفسه طبيباً ومحللاً نفسياً حتّى لا أضعكم في خانة الدجاجلة المرضى. فالطبيب النفسي

عندي ليس بأكثر من دجال مريض يحتاج لعلاج. جاهل من ظن أنه قد امتلك
مفتاح نفوس البشر وأصبح قادرا علي سبر أغوارها، جاهل من نعت هذا بمريض
وذاك بصحيح. أنا لست بمريض، فاختيار أسماء شخوص روايتي جاء مصادفة
كما اختيار الوظائف. أنا رفعت الموس ولست بعرفة الزاهد، ولا وجود لعرفة
الزاهد إلا في تخيلتي، أنا من صنعته، وأنا من جعلته بطلا لروايتي لكنه في النهاية
بطل من ورق...

شعور سخيف أن تصير إلهًا، ولا يأت عبدك بأي جديد يبهرك به، فكل
جهره وسره تعلمه، كل تصرفاته وعظاته وشطحاته ونوبات غضبه أنا ما دفعته
إليها، فأنا أعرفه أكثر من نفسه، أنا إله عرفة، أنا من صنعته وخلقته، أنا الذي
أحبيه وأنا الذي أميته إن أردت. ومن تبوء مقعد الألوهية لا يقبل أبداً ولا يتمني
أن يكن في يوم عبداً. أنا رفعت الموس ولست بعرفة الزاهد...

لا تهينوا ذكائكم ولا تبخسوا قدري فمن منكم يرضى أو يجب أن يكون
مثله مثل ذاك الخائب الذي تخونه زوجته حتى أرضى أنا، ولو فرضنا أنّي رضيت
فلم جعلته خائبا مملأ مرتعداً لاهثاً جائياً تحت قدمي زوجته!؟، كما أن زوجته
أماني ليست كما زوجتي، فزوجتي أمنية أشرف أهل الأرض وأطهرها، وأيضا أين
الداعي الذي يجعلها تخونني، فأماني في الرواية التي أكتبها تشتكي صمت عرفة
وصمت مشاعره وأدبه المفرط، وأنا أتحدث قدر عشرة أشخاص وأفعل ما لا
يفعله عشرة آخرين والأدب عندي سلعة لا وجود لها علي أرفف شخصيتي

فالأدب بالنسبة لي بضاعة أتلفها الهوى وأفسدتها الأيام. لهذا جهل منكم أن تعتبروا ما أكتبه إسقاطاً نفسياً عن حياتي ورغبة مني في عقاب نفسي. لا أظن أبداً أن هناك رجلاً حتى وإن كان مريضاً لا حرج عليه يتمنى ولو إسقاطاً أن تخونه زوجته. هذا غير أنني لا أري نفسي خائناً كما أخبرتكم سلفاً. ولا أعرف لماذا تحسبوني هكذا؟!، لما لا تعدوني مصلحاً إجتماعياً يؤلف بين القلوب ويروضها. أنسيتم أن "لي لي" تراجعت أخيراً عن ضغطها المستمر على محسن، أغفلتم عن قول محسن أن "لي لي" قد تغيرت وأنه الآن يعيش أزهى أيام حياته الزوجية، ألم يشفع لكم أن زوجتي أمنية صارت لا تشتكي من شيء بل أنها تجزم في كل مناسبة أن رفعت قد انمحت نوبات غضبه وأنه قد تغير تماماً، ألم تقل هي ذلك...؟!!

كل هذا تجاوزتموه وصارت الخيانة التي ترموني بها لفظاً تلوكة أفواهكم دون وعي منكم أو إدراك. كل هذا تغافلتموه ولم يبق لديكم سوى رفعت الخائن ولحمه الذي يجب أن تقطعوه فتقاسموه بينكم لتفرقوا دمه على الكئوس فتشربوا نخب أخلاقكم الحميدة ومديتكم الفاضلة، هو رفعت وليس بأخر الذي صار سبباً لأزمة الإنسانية جمعاء والذي يجب أن يضحى به حتى يعيش العالم في سلام. لذلك كله.. أستمحيتكم عذراً وأطلب منكم وبملاء الفيه أن تتعاملوا مع ما أكتب علي أنه عمل أدبي، رواية، مجرد رواية، تعاملوا معها علي هذا القدر، وخصوصاً أنني قد قاربت علي الإنتهاء منها وإسدال ستارة خاتمها وأظنكم لستم بحاجة لأن تنتظروا حتى أفرغ من نهايتها وأنتهي. فتلك التيمة دائماً وأبداً ما تم هرسها مئات

المرات في روايات وأفلام، سيحب عليّ أخت عرفة الزاهد الروائي ذائع الصيت. سيحبها فعلا، لكن القدر ليس بأحمقٍ حتّى يمر كل هذا دون عقاب. كيف بمن مثل عليّ أن ينجو بكل ما فعل، كيف بمن مثله بعد أن خان ودنس وفرط أن يحب فتاة تبادل الحب فيتزوج ليعيش هائنا وكأن شيئا لم يكن!، وبرغم أن هذا ما يحدث فعلا ألا أنه لا يُكتب. ستقتله أمانى، هذا بعد أن تدعوه لمقابلة في تلك الشقة التي كانا يتواعدان فيها سرّاً من أجل تسوية وإنهاء كل أمورهم المعلقة...

وفي مشهد درامي مأساوي مصحوب بموسيقى تصويرية يتخللها طبل وقرع تجسيدا لضربات القلب المتسارعة، ستسحب أمانى السكين الموجود جوار ذلك الطبق الذي يحتوي علي بقايا من تفاح عطن، فتطعن عليّ طعنة نافذة بالقلب فترسم علي وجهه كل آيات الدهول غير مصدق أن أمانى قد فعلت ذلك، وأن نهايته باتت علي يديها...

وبذلك ينجي الله عرفة الزاهد من برائن خيانة امانى لتكمل بقية حياتها خلف أسوار السجن نادمةً مستغفرةً علي ما أقترفته، وينجي الله الفتاة البريئة الحاملة سباح التي لا ذنب لها سوي أنها أحببت عليّ الخائن. تلك هي الروايات وهذا ما يُكتب فيها، وليست الروايات فقط بل كل ما يأتي إلى عقلك متسللاً منّا إليك في غفوة منك. فالكاتب منا يكتب ما يطلبه القارئون هذا بعد أن يلبي مطلب النظام وأرادته...



دعكم من كل الخطابات والجمل الرنانة والأكليسيات الفارغة التي لا
تُغني، فالجميع يأكل من بقايا فتات موائد السادة المسئولين وكل ما تراه وتسمعه
وتقرؤه هو متفق عليه في أروقة ومكاتب حماة الوطن العالمين
بيواطن الأمور أكثر من أي أحد، فما من شيء يحدث في تلك البلاد بقدر...

" أمنيّة "

بين المهارة والأبداع فارق كبير، بين الصنعة والإحساس فارق أكبر. بين التحفة التي تصنع في أكثر المصانع جودة والأخرى الهاند ميد التي يصنعها طفل لم تمن عليه الدنيا إلا بالأنيميا والهزال الشديد مسافات من الاختلافات. فالأولى جميلة مبهرة خالية من أي عيب لكنها بلا روح عكس الثانية. وهكذا زوجي رفعت، ماهر في كل شيء غير مبدع في شيء. متأنق متسق في ألوانه مصنف شعره، ملمعٌ حتّى حزامه وكأنه يعيش أمام كاميرا ذاتية التشغيل والكادرات. ما يضحكننا لا يفرحه وما يُتّعسنا لا يُحزّنه، يعيش وفق سيناريو هو كاتبه ومثله ومخرجه أيضًا، يشاركنا كل أمورنا ولا نشاركه أمره، يعرف كل ما يدور في خلدنا ولا نعرف ما يدور في عقله، لا أعتقده بشيرير ولا حتّى بطيب، ولا أعتقده شيطانا ولا هو بملاك. فهو بين هذا وذاك. كل شيء عنده بمقدار متساو. كمن يملك خزانة يجيء فيها شخوصه وانفعالاته يُخرج منها ما يشاء وقت ما شاء. فرفعت الذي يعطف على المسكين هو نفسه رفعت الذي يستغل حاجته. رفعت على مسافة متساوية من كل شيء وأي شيء. كافر ومؤمن بكل شيء. قابل ورافض لكل شيء. فقبول الشيء عند رفعت لا يعني عدم رفضه، وإييان رفعت لا يعني عدم كفره. هكذا رفعت وحيد في تلك المنطقة من اللاشئ...

الآن أهمله، لم أجد لإهتامي فائدة تُرجى. فأنا عند رفعت مثل أي شيء موجودة في حياته لأني موجودة، كثيرًا حاولت وفي كل مرة يصد بابه في وجهي، قلاعه حصينة، أسواره ضيِّع عمره فيها يشيدها. كنت علي إستعداد أن أضيع عمري في تسلقها لكنه يعاملني معاملة المحتل، يقذفني برجمات عقله يسكب على روحي غليان بروده...

مريزٌ على المرأة أن تعي أنها غير مطلوبة. الرجل يتحمل إن رفضته امرأة، يعتاد الأمر ويتداركه، أما المرأة فما من شيء يحطّمها قدر معرفتها أن رجلاً أباهما لما عرضت عليه نفسها، لا يريد لها زوجها ولا يشتهيها. يعاشرها لدرء الشبهات وسد حاجتها لثلا تذهب لغيره، يسد جوعها حتّى لا تأكل علي مائدة آخر. تتحول مع الوقت لعاهرة، فالزواج ليس ميثاق ورقي، والجسد لا يُجَلّ بورقة...

تجلس أمامي كطفل برئ، حمل وديع، لم تعرف الخيانة له باباً، في غرفة مكتبه علي كرسية كما أعتاد الكتابة، طقوس لا يغيّرها، مناسك للكتابة يؤديها ليؤتي فرضها، أباجورة منارة رغم إضاءة الغرفة الكافية، سيجارة علي المطفأة ما وإن تنتهي حتّى يُرسل إليها أُخري تشاركها المصير. منهمكا في روايته، يتصنع الأنفصال عن العالم لكنى أعرف أن عقله بارجة فيها حم تغلى. يتعمد تصدير شعور أنه لم يأخذ باله من دخولى عليه، هكذا هم المبدعون ينفصلون عن أبعاد المكان والزمان يسبحون في بحر إبداعهم وهو يرى أنه منهم. جلست على المقعد المقابل أتأمله، أهورفعت الذي أحببته وطاردني بحبه..



- رفعت إنت بتجيني؟، هكذا سألته..

ينظر إليها راغباً في معرفة ما وراء سؤالها وحينما يفشل يجيبها

- ليه بتسألني السؤال ده؟، بعد سبع سنين جواز جاية تسأليني إن كنت

بحبك ولا لأ!

- عادي إني أسألك، مش يمكن مبقتش تجيني؟

دون أن يلتفت إليها، ودون أن يرفع عينيه عما يكتبه أجاها

- أه بحبك يا أمنية..

- يعني مبخونيش؟

كان سؤالها مباغتاً في غير موضعه إلا أنه ظل متماسكاً، صامداً أمام هجمتها

حتى وجهه لم يظهر عليه بغتة السؤال وبهدوء وضع قلمه كافاً عن ما كان يكتبه

قائلاً

- وليه أخونك؟ اللي بيحب مبيخونش، وانا بحبك، بس ليه بتسألني السؤال

ده، إنتي حد قالك حاجة؟

- أبدا.. بظمن يا رفعت، بظمن على حبيبي..

ورغبة منها في تغيير مجري الحديث والانتقال إلى موضوع آخر قالت

- أكيد بتكتب في الرواية، هيا فاضلها أد إيه يا رفعت وتخلص

- خلاص قربت أنتهي منها..

- مش عارفة ليه مش قادرة أصدق فكرة إن أماني اللي في روايتك ممكن تكون خاينة، ليه تخون؟!، المفروض إن عرفة حد مشهور، محترم، يعرف ربنا، غني، حين، فيه كل المقومات، ليه يتخان..؟! . ده غير أن علىّ تربية عرفة، داق الظلم والخيانة من الكل ومن هو صغير، مظنن أن حد زيه ممكن يخون عرفة لازم يتخان، الدنيا متحبش الضعيف الهش والمقومات اللي في عرفة اللي أنتي بتقولي عليها دي وشايفها أسباب كافية متخليش أماني تخونه هي نفسها برده تنفع تكون أسباب كافية عشان أماني تخونه، هو البني آدم كده، طبيعته كده، لو كترت النعمة في أيده مبتحلاش في عنيه إلا اللي في أيدين غيره، فيجري وراها ولما ينولها يبدأ من تانى يدور على غيرها..

- البني ادم طبيعته إنه يخون..!؟

- مش كده بالظبط لكن الإنسان بطبعه مبييقاش مثالي إلا وهو مش لاقى، ولما بيلقي اول حاجة بيعملها بيصاحب شيطانُه.. وعشان كده أماني خانت. يفضل الإنسان شريف طالما متحطش في إختبار، وعند ما تيجي رجليه ويقف قدام نفسه، هنا بس بتبان عورته، ببيان الشيطان اللى كان محبوس جواه، بيخرج من الضلمة للنور...

تسود لحظات من صمت فيجدها رفعت فرصة سانحة للرجوع لروايته مُمَسِّكًا قلمه مكملًا ما كان يكتبه غير عابئٍ لأمنية في إشارة ضمنيه لغلق باب النقاش...

حزت كل الحق يا رفعت فأنت خير مثال لما تقول، نعم أنت تخونني ويا لك من كذاب أشر، إحتجت سبع سنين كاملة حتى أفك طلاسمك، ويوم أن نجحت وعرفت وتيقنت أنك تخونني لم أمسك عليك يوماً خطأ واحداً، تكذب ورغم هذا فكذبك لا يجزني بل ما يجزني هو أي صرت الآن لا أصدق كذبك، كان جائزاً أن أغفر لك القسوة والظلم وقت أن كنت بلهاء ساذجة تصدق منك أي شيء لكني الآن أبصر ولا أستطيع أبداً أن أغفر لك الخيانة. دائماً وأبداً ما تمتلك الأكاذيب منطق الإقناع. سهل جداً أن تُقنعني أنك لا تخونني. أما الحقيقة فهي وحدها الشيء الذي يصعب إثباته، كيف برفعت أن يُقنع قلبي أن لا أحد في قلبه غيري. أشعر به وهو عائد من عندها أشم عطرها بين كلماته، لم يخطئ في إسمي مرة لكنه أبداً لم ينادي عليّ مرة بقلبه. يُسمعي كلام الغزل المعسول ويملاً أذني به لكنه ليس لي أو كأنه مر على قلب غيري فسُلبت منه روحه قبل أن يأتيني فصار خاوياً معدنياً يتردد في ألية وسرعان ما يزول مثل صداه...

ليس هناك مبررٌ للخيانة. فالخيانة هي الشئ الغير منطقي في ذلك العالم. تقف وحيدة في عالم القبح والدناءة وبعدها بأميال يأتي أي قبيح آخر... إبليس حينما عصى ورفض السجود لم يُطرد من العالم الإلهي بل ظل يرتع ويتنقم حتى إمتيازاته لم تسلب منه بل زادت عليه، أمّا آدم عندما خان الأمانة والثقة طُرد منها ونزل لعالم القبح ليرى الأخ يقتل أخاه. الخيانة أوقع من دناءة أي فعل. ورغم هذا لا أستطيع إلا أن أحبك. حبك هو الجنون بعينه...

لقد أحببتك فأسرفت، الآن أدرك أنه ما كان علي أن أستمّر، كان لا بدّ أن
 ابتعد منذ أول مرة شعرت فيها وتيقن قلبي أنك تخونني. كان لا بدّ أن أبتعد
 حفاظا علي ما تبقي من كرامتي. أعلم أن في إبتعادى جرح ما بعده جرح لكنه
 يقينا سيصبح أقل وطأة مما أنا فيه الآن...

سئمت تحولاتك النفسية وتحبّطك، سئمت خياناتك، صرت غير
 قادرة على تحملها. لكنني في النهاية أعرف نفسي، أعرف أني غير قادرة علي
 قرار الرحيل، وسأظل هكذا، أحب بإسراف رغم سأمي لكل أفاعيلك التي لم
 يكن لها غرضا سوى دهن كرامتي وجرحي. أريد الرحيل وأخشى أن يأتي يوم
 فأستطيع فيه ذلك. أكتب يا رفعت روايتك، برر خيانتك، إصنع عالمك الوهمي،
 جدّف في وحل شرورك. أمانى تخون عرفة الطيب ولولا طبيته ما كانت لتخونه،
 أليس هذا ما تريد إثباته؟ . لا يا زوجى العزيز ليست كل النساء أمانى، وأنا لو
 كرهتك ومللت خيانتك فابدأ لن أكون مثلك، أنا لا أخون، أنا لست أمانى...

" عليّة "

- أنا خارج يا " لي لي "، مش عايزة حاجة أجيها وانا راجع؟
- برده مش هتروح الكنيسة النهاردة؟
- لا أنا خارج أقابل رفعت
- خلاص يا محسن قاطعت الكنيسة؟، خلاص لا بقت الكنيسة ولا اللي فيها عاجيبينك؟، يا محسن إنت عدّي عليك شهر ولا صليت ولا إعترفت، أخوك جوزيف شبّه مقاطعك، كل اللي حوالينا زعلانين منك، حتّى أختك أيفون زعلانة
- وهو جوزيف ليه يقاطعني؟، عشان مبروحش الكنيسة؟!
- إنت عارف إن جو متدين وميقبلش إن أخوه يبقي مقاطع للكنيسة..
- وهو أنا قاطعت الكنيسة ليه؟، مش عشان اللي بيحصل فيها؟، تنكري إن أبونا أكثر من مره يخترّجني من القدّاس وحصص الوعظ
- ما هو يا رفعت بسبب كلامك
- مش عشان كلامي يا " لي لي " ده عشان بقول لأ
- يا محسن دي كنيسة مش مجلس شعب عشان تتكلم في السياسة
- قولة لأ مش سياسة يا " لي لي "، وعمر ما كان السكوت خطيّة

- وليه إنت اللي تتكلم؟!، ليه متكونش زي الكل؟ مـ الكل ساكت، وواثق
في رؤية الكنيسة..

ينظر إليها محسن صامتا، وكأنه لا يجد ما يرد به إليها، وحينها يطول صمته
يجيبها

- أنا خارج يا عليّة هقابل رفعت، وبعدها هروح لأيفون خلاص جوزها
حجز، وعلى آخر الأسبوع هيقو مهاجرين وروحي إنتي الكنيسة وادعيلي إن
الرب يهديني ويفغري ويعلمني السكوت

- هيا خلاص أيفون هتهاجر؟

- آه.. مش مضطهدة دينيا!

- بتتريق؟

- ياستى لا بتتريق ولا حاجة، أيفون معملتش اللي محدش عمله، بكرة
تهاجر وتبقى كل علاقتها بالبلد أمنية أنها تندفن فيها، أحنا مبنفتكرش البلد دي
ألا واحنا بنموت.. سلام يا عليّة...

عليّة أو " لي لي " كما أحب أن أنادى. وللعلم فقط إذا ناداني أحدكم بعليّة
فأبدا لن أجيبه هذا ليس لأنني أكره ذلك الاسم فقط، بل لأنني قررت أن أنسى
تلك الفترة التي كنت فيها عليّة. تلك الفترة التي كنت فيها إبنة لمدرس التاريخ
الذي كان أجّل ما يفعله في حياته أن يأتي من بعد المدرسة فيجلس علي كرسية
لبقية اليوم لا يتحرك إلا إذا جاء ميعاد نومه فيتوجه للفراش كمن نازعته الحياة

فقررت أخيراً أن تفارق جسده ولو لساعات نومه المعدودة. تأتي عليه الأيام وتغادر وهو على كرسيه في مكانه لا يفارقه الا لقضاء حاجة أو التوجه للكنيسة أيام الأحاد...

لم يكن يفعل شيئاً في حياته سوي أنه كان ينظر إليّ بعطف وأسى
 لوضررتني أُمي أو نال خدي صفة من صفعات أخي التي كانت في حياتي
 كما الهواء الذي أتففسه رغماً عني. لم أجرؤ يوماً على الانتحار خشيت أن أفشل
 فتذيقني أُمي من العذاب ألوانه . لكني كثيراً ما حاولت كتم أنفاسي لأكتشف
 حينها أن من المستحيل أن يموت المرء بقرار منع الهواء عن رئتيه. إكتشفت حينها
 أن الصدر يتنفس دون إرادة صاحبة مثلما اكتشفت أن الأذن تسمع أيضاً دون
 رغبة صاحبها فلطالما حاولت أن لا أسمع أُمي وهي تسب أبي وتهينه وفشلت،
 ولطالما حاولت أن لا أسمعها وهي تحدث الرجال بطريقة تخلوا من أي أدب أو
 وقار وفشلت أيضاً. فقد كانت كما يطلقون علي من مثلها امرأة لعوب، تشتهي
 النظرة المغلفة بالرغبة في أعين الرجال، ورغم أنها تجاوزت الثلاثين بعقد إلا أن
 جسدها كان غضبا ينبىء أن تحت الملابس ما يجب أن تطلع عليه. ما من رجل إلا
 وأوقعته في شراكها. كانت لا تحيا إلا بانكسار الرجال، تتغذي علي ذلمهم
 واستجدائهم لها وكان في المقابل أبي الذي لم يكن يملك من أمره شيئاً، مثله مثل
 الفراخ والأوز الذي كانت تربيته أُمي فوق سطح عمارتنا والذي كنت أراعيه أيضاً
 مثل ما كنت أراعي أبي...

لم تكن عمارة بالمعني المفهوم بل كان بيتا من ثلاث أدوار يسكنه من هم مثلنا وفوق سطوح البيت كانت هناك غرفة غير غرف التربية يسكنها شاب بأحدي الكليات، لم أستلطفه يوماً، فعينيه كان فيها ما لا يريح أبداً. وصدق حدسي عندما رأيته هو وأمي من شراع النافذة المكسور بغرفته. رأيته عارية مسجاة علي فراشه مستسلمة ليديه وشفتيه، ورأتني. ظللتُ ليومين لا أحداث أحدا. كل ما كان يهمني وقتها هو المسكين أبي، كل ما كان يهمني أن تلك العاهرة المسماة بأمي تؤذي أبي، تطعنه في كرامته، أبي الذي كان يشفق عليّ ويحنو. ما زلت أذكر عينيه، أستشعر لمسة يده وهو يساوي خصلات شعري ويهدم فستاني ويربت علي ظهري. في البداية تحاشت أمني نظراتي، إلا أنني لم أكن أعلم أن تحاشيها هذا لم يكن لخوف أو لحرص بل كان تدبيراً لما ستفعله بي. أخبرت أخي وأبي ومن بعدهم عمي أنها رأتني في غرفة ذلك الشاب وفي حضنه، وحتى تُجَبِّك فعلتها جاءت بالشاب ليقر ما قالته نادماً واضعاً أمره تحت تصرفهم، هل رأيتم في حياتكم امرأة أقدر من هذا...؟!

ضربني أخي ومن بعده عمي ضرب موت ألا أنه لم يؤذني قدر نظرة أبي، عيناه كانت تعاتبني تسائلني لما فعلت هذا؟، عيناه كانت تقول أنه برغم إيذائهم لي إلا أن فعلتك أذنتي أكثر، أدمنتي أكثر. لم يحدثني بكلمة لكن نظراته قالت الكثير والكثير. حاولت أن أخبره إلا أنني سألت نفسي وماذا بعد إخباره، هل

ستزول صدمته؟، هل سيندمل جرح كرامته، هل سيعود إليه شرفه المهدر على العتبات والذي باعته تلك العاهرة بإرادة أئمة...؟

كان ينظر إلي وفي عينيه كل عذابات الدنيا وعتاباتها لم أصدق يوماً أنه سيأتي يوم أقف فيه أمامه لأدافع فيه عن نفسي، وعن شرفي. كيف بالعدراء البتول أن يرموها بالزنا والعهر؟. حاولت محادثته لكن هل كان إخباره بأن أمي ما كانت أكثر من عاهرة رفضت عرض المسيح بالغفران والقبول في ملكوته ستجعل عينيه ترتاح وتهدأ وتجد إجابات لكل ما فيها من أسئلة...

من أجل هذا صمت، تحمّلت جلد نظراته وسياطها. إلا أنني لم أكن أعرف أنه قد قرر عقابي عقابه الأعظم، تركني ورحل، مات، رحل صامتا كما غضبه مني، كما عيشه الصامت أيضاً، رحل وتركني لأمي وأخي الذي لا يرحم، رحل ظاناً بي أنني من ختته، أنني التي دنّست شرفه، رحل وتركني أواجه مأساتي التي كان كل ما حدث مجرد أول سطر فيها...

لم يشفع لأمي كل ما فعلته، لم يشفع لها قتلها لأبي بل حتّى لم تنتظر مرور أيام الحداد. أصبح الصعود لذلك الشاب روتينياً حسب الهوي والطلب، رغم خطوبتي المعلنة له درأً للعار الذي سببته، وكما تمت خطوبتي رغماً عني تم فسخها دون إرادة مني بعد أن ذهبوا بي للطبيب وتبين بما لا يدع مجالاً للشك أنني ما زلت أحفظ بغشاء بكارتي الملعون الذي تسبب لي في كل هذا...

عرفت بعد ذلك أن أمي إختصت الشاب لنفسها، شاب أصغر من أخي سيحل محل أبي وكان شيئاً لم يحدث، وكان أبي لم يمت، وكان عليّ لم تظلم وبظلمها مات أبيها ملاذها وملجأها من هذا العالم الموحش. نست أمي المسيح لما غفر للعاهرة وقبل توبتها وتقبلها في ملكوته معنفاً من يجافها التوبة. نست قول المسيح في وصاياه أن لا تزني فقررت أن تنهل من الحرام في كأس الحلال. في نفس اليوم الذي عرفت فيه أن أمي تخطط للزواج من ذاك الفتى، إخترت الميعاد الذي إعتادت أن تصعد فيه إليه وصعدت، ولم تمر دقيقتان حتى تحولت من خانة العذاري لخانة السيدات، رأنا أمي وفي تلك المرة تحديداً واجهت عيناى عينيها، في تلك المرة هي من صمتت ولم تستطع البوح بشئ..

إستيقظنا صباحاً فلم نجد الشاب في غرفته، علمنا أنه قد تركها متوجهاً لبلده. مرت الأيام إلى الجامعة وفي آخر عام دراسي رأيت محسن، كان معيداً، رأيته وهو ينظر لي تلك النظرة التي لا تخطئها فتاة، فاتخني بحبه وسرعان ما كان إكليلاً لتتزوج بعدها، ليأت ذلك اليوم الذي تنتظره كل أنثى لأعرف فيه أن محسن غير قادر جنسياً، بالأحرى وكما قالوا "مالوش في الستات" . وكالعادة صمّت الصمت الذي اعتدته والذي صار ركيزة أساسية في حياتي...

في المقابل لم يخل عليّ محسن بشئ، فياض حتى في مشاعره، عطاء في كل شيء إلا الفراش. إلا أنني ومع مرور الأيام جانبني الصمت، صرخت في أشياء لم

أكن أعهدا ولم أكن في يوم أتصور أني سأطلبها. فكرت في الطلاق كثيرًا لكن ماذا كنت سأقول للكليسة؟، تركت البيت كثيرًا وفي كل مرة كنت أترك فيها البيت، كان أخي يُرجعني مرغمة، وصرت من اللاتي يتبطرن علي النعمة، صرت من اللاتي لا يعرفن قيمة أزواجهن. الكل يحاكم ولا أحد يضع نفسه مكان المذنب، فكرت كثيرًا أن أحداث أخي لكني لم أستطع ففي النهاية لم يكن محسن يستحق مني الخوض في رجولته وإفشاء سره، هذا غير أن أخي بل كل المحيطين بي كانوا سيقولون "وايه

يعني بطلي قلة أدب ومسخرة"، هكذا هم، أعرفهم وأعرف ردهم... وظهر رفعت، لا أدري لم لنت له، هل لأنني أحن للمسة رجل، أم لأنني بطبعي خائفة، أم لأن أبي ما زال يأتيني في رؤياي باكيًا ولا يريد أن يساوي خصلة شعري ويهدم من ملبسي مرتبًا على كتفي، لا أدري لم إنصعت لرفعت ووقعت في شبابه وبراءته. رغم أني أراه لا يقل عن فتى السطح شيئًا، نفس نظرة العين التي لم أستلطفها يومًا، رفعت يذكرني بذلك الفتى الذي كان هو أيضًا سببا في قتل أبي مشاركة مع العاهرة أمي، أنا لا أعرف لماذا، كل ما أعرفه أني وجدت نفسي في أحضانه، كل ما أعرفه أن رفعت حين يتركني أظل أبكي كارهة جسدي، وبعدها أنتظر، يجافيني النوم، أرفض تماما أخذ أي أقراص منومة تجبر النوم أن يأتي، أخشى أن يأت الموت ولا أراه، فأنا أريده. أريده أن يعرف كم أحبه ولكم إنتظرتة، أريد أن أرتمي في حضنه باكية معاتبه إياه التأخير، أظل هكذا حتى يأتي



الصباح فأكتشف أنني ما زلت حية وأن الموت محب قد خان وعده ولم يأت فأنتظر
رفعت ليأتي مرة أخرى . فرفعت كما الموت سواء...
أنا لا أعرف شيئاً.. كل ما أعرفه أنني خائنة...

" محسن "

- خلاص يا ايفون هتسافري
 - أيوه يا محسن خلاص هسافر
 - تفتكرى ده صح؟
 - هو أيه اللي صح؟
 - أنك تماجرى أنتى وولادك وتسيبي البلد و مترجعيش تانى
 - وأييه في البلد يخلينى أقعد فيها؟
 - أنا..
- تسود لحظات من صمت تتلاقى فيها الأعين لا يكسرهما ألا دمعة أيفون
وصمتها المتهدج قائلة
- أنت أخويا يا محسن، سواء أنا سافرت ولا مسافرتش هتفضل برده
 - أخويا اللي مليش غيره
 - ليه بتقولى كده، ليه دايا ناسية جوزيف، جوزيف أخونا يا أيفون
 - محسن أحنأ اتكلمنا في الموضوع ده كثير، عمر جوزيف ما كان أخويا،
 - أنت نسيت أمه كانت بتعمل فينا ايه؟!
 - وهو ماله بس؟!، جوزيف أخويا وأخوكي ومش بمزاجنا، ولو بابا ليه
 - معزة في قلبك يبقى مينفعش تقولى كده

- بابا! بابا اللي كان يبشوفنى وانا بتضرب من مراته ويقف يتفرج عليا، بابا

اللي كان يشوف الحرق على أيدك منها ويقول معلش؟! بس يا

محسن بلاش نتكلم في الموضوع ده

- هتمشى إمتى؟

- الخميس

- حاسس إنى مش هشوفك تانى

- ليه بس بتقول كده؟ وحياتى عندك يا محسن متوجع قلبي أكثر ما هو

موجوع

بطرف كم قميصه يمسح دمعته قائلًا

- عموما أنا جاى أودعك عشان مش هكون معاكي في المطار، مش هقدر،

مش ناوية تيجي في حضني؟

ترتمى أيفون في حضن أخيها باكية فيداعبها محسن مقبلا جبهتها قائلًا

- أوعي تكونى فاكرة أنى بحبك ولا حاجة، ده بس عشان الكل قال أنك

شبه ماما أوي فعشان كده تلاقيني كل شوية عايز ابوس أيدك وأخذك في حضني،

يعنى الموضوع حرمان مش أكثر..

أبتسمت أيفون التي تكبر محسن بعامين كاملين والتي رغم ذلك كانت له

الأم التي حرم منها، فالدفء الذي كان يراه في عينها جعل منها السكن والملاذ.

ما زال يذكرها وهي صغيرة عندما كانت تدخر مصروفها فتأتيه به ليشتري

قميصا كانت قد رأته ينظر إليه برغبة أثناء تسكعها بالشوارع ومشاهدة ما حرموا منه معروضاً في المحلات والفاترينات...

يغادرها محسن، تأخذه قدماه لنفس الشوارع التي كانا يسيران فيها، فيتذكرها وهي تهمس في أذنه بجوعها فيشتري لها كعكة فتقسمها بينه وبينها، يتذكرها لما تزوج من لي لبي واكتشف سره الذي يطعن رجولته فأناها باكياً مرثياً في أحضانها لتخفف عنه فكانت له السكينة التي جفت قلبه...

ماتت أمه قبل أن يعمد بيوم فعاش يتيبا لتأتي أيفون وتقرر أن تصبح له الأم التي لم ينالها والتي ماتت قبل تعميده. ففي الكنيسة لا تتناول الأم من جسد الرب ودمه إلى أن يأتي يوم تعميدها، فالتعميد يُجْبُّ على صاحبه الطُّهر فينال حياة المسيح وأمه. وهل هناك غير الألم ليطهر الإنسان من نجسه؟! . يتعمد الوليد فيتطهر فتطهر أمه فتتناول. ذلك في كنيستنا، وذلك لم يحدث حين تعميدي فلقد تَنَيَّحَتْ أُمِّي حَامِلَةً صَلِيحَهَا مَلْبِيَةً نَدَاءَ الرَّبِّ لِتَسْتَقِرَّ فِي الْمَلَكُوتِ. فصرت الحَطِيَّةُ التي أَنْجَبَتْ مَوْتاً وَصَرَّتْ الْمَوْتَ الَّذِي طَهَّرَ خَطِيئَةَ حِينَ حَمَلْتُهَا أُمِّي عَنِي رَحْمَةً وَغُفْرَانًا. رحلت أُمِّي، رحلت المؤمنة التقية كما خَبَّرُونِي وَرَغْمَ قَوْلِ يَسُوعَ أَنَّهُ عَزِيزٌ فِي عَيْنِي الرَّبِّ مَوْتُ أَتَقْبَائِهِ، كان عزيز عليه أيضاً أن يتركها دون أن تسير طريقه فاصطفاها ليلبسها الجسد الممجد الأبدي مُفْسِحًا لَهَا الْجُلُوسَ جَوَارِهِ وَالتَّوَسُّسَ بِقَرْبِهِ فِي الْفِرْدُوسِ الرَّحْبِ...

كبرت في كنف الكراهية ومرّ سُقيهاها، يمارسون عليهم الإستبداد فيمارسونه على بعضهم بعضاً، إستبداد في كل ركن وزاوية، قمع في كل شبر، محظور عليّ اللعب مع أطفال الحارة ومحظور عليهم أيضاً. أنا الكافر الذي ينادي عليه معلمه ليأخذه من حصص الدين واضعاً إياه في حوش المدرسة حتّى ينتهوه، أنا الذي لا أستحم صاحب الرائحة التي لا نطاق، قهر تحت كل حجر، في الحياة، في المدرسة، في الشارع حتّى في البيت. أب لا يكاد يرفع رأسه إلا ليعاود الإنكفاء مرة أخرى لتوفير لقيات تكفيننا حد الكفاف. زوجة أب دائمة التردد علي الكنيسة، لا نفوتها صلاة واحدة، ولا تفارق الترانيم فمها ورغم هذا لا تتورع عن تعذيبي وحرق جسدي إذا فكّرتُ في الدفاع عن أختي. كنيسة تتحكم في كل شيء، تتدخل في كل شيء، لا يتبقى لها إلا أن تنظم مواقيت دخولك الحمام. حتّى علاقتك بربك تقف بينك وبينه حائلاً...

وكما سيق المسيح إلي الذبح كَحَمَلٌ لا عيب فيه أمام الذي يجزه ولم يفتح فاهه، صمتُ أنا الأخر. فالألم مسيرة يجب أن نتقبلها بصمت تام علي غرار مسيرة يسوع المسيح حتّى نسمع صوت الله العظيم وهو يقول لنا قد مجدّت وسأجدّد. من أجل ذلك ومن أجل حاجتي للألم الصامت حاولتُ الصمت. إلا أن الصمت ليس بقرار. فالموت ربما يأتي بقرار عكس الصمت . لأنك مها حاولت أن تصمت فستجد أنينك رغماً عنك يعصاك يخرج من قلبك قبل شفّتك معلناً عدم تحملك المزيد فيسوع إستطاع أن يصمت لأنه ابن الرب وأنا فشلت لأنني عبد

مسكين ابن مسكين مغموس في وحل الخطايا لذا كانت الكنيسة والأديرة ملاذي وملجأئي عليّ أستعين بهما علي التحمل...

ولم تكن الكنيسة فقط هي ما إستعنت بها علي قضاء حاجتي. فرفعت كان الآخر حصني من غارات الحياة وكرها. كبرنا سوياً، تأخينا في غفلة من الجميع، ورغم إختلافنا التام قررنا دون إقرار منا تنحيته. أنا هنا لا أتكلم عن إختلاف ديني فقط، فما بيننا من إختلاف أكثر من هذا بكثير، فهو مغامر تناديه الحياة لتُلهيه، لا يؤمن بشيء ولا يكفر بشيء، يُصليّ إن كانت له حاجة، يتعبد إن كان له طلب، الحياة عنده تستحق أن يلهث ورائها والحياة عندي طريق للخلاص. ورغم إختلافنا هذا صرنا أصدقاء. إكتفيت به من زخم الدنيا واكتفى بي لأكون له الصديق الوحيد...

تعينت في الجامعة وهناك قابلت لي لي. تُشبهني وكأني أنظر في مرآة نفسي، عيناها لا تقول إلا الماء، شفتاها لا تتحدث إلا حزنا. تزوجتها ظانا أن الدنيا أخيرا ستبتسم. وكما كانت حياة المسيح سجلاً للألم والحزن كانت حياتي، تعرّثت قبل أن تبدأ. إكتشفت مع لي لي عجزتي الذي لم تعترض عليه، فهي مثلي لا تُعنيها ملذات الحياة وترفها ومن غيرها يؤمن بقول يسوع أن من أراد منكم أن يتبعني فليترك نفسه وليحمل صليبه ويتبعني. وجّهنا وجهنا للرب ندعوه ونبتهل، لبينا ندائه بأن تعالوا الي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال، وأنا اريحكم. إلا أني عكس لي لي لم أجد ضالتي في الكنيسة...

لا يريدنا الرب إلا أنقياء من الداخل كي يُسرَّ بصلواتنا فتكن مقبولة
عنده فيرضى بها ويستجيبها بحسب مشيئته. أصليّ وليس علي لساني إلا إبتهال
واحد.. ورجاء واحد.. عرّفني يا ربُّ نِهَايَتِي وَمَقْدَارَ أَيَّامِي كَمْ هِيَ، فَأَعْلَمَ كَيْفَ
أَنَا..

أمام شقته يجد نفسه، يفتح بابها فتقابله صورة المسيح مصلوبا
معلقة على جدار. ينظرها متأملا وكأنه يراها لأول مرة فتخرج من بين
شفتيه الكلمات دون وعي أو إرادة.. تحملت خطايانا عنا وفاتك الألم الذي
في الصدور..؟

تنساب دموعه على وجنتيه، لا يوقفها شيء، تتشرها لحيته التي نبتت على
استحياء..

يقرب من الصورة مسلوبا، يخر على ركبتيه كجبل أندك فتهوى على نفسه.
يتقابل كفاه فيحتضن بعضها بعضا، تتشابك أصابعه بقوة خوفاً من تيه الطريق..
تخرج الكلمات من فمه متهدجة لا تكاد تميز من فرط بكائه ونهنهته..
أحبك يارب، فاملاً بالحب قلبي، أحبك يارب فكن ثباتي وملجأني وسراج
دربي.

" جوزيف "

الجو كثيب خانق. وكأنه خلى من الهواء. الأصوات ساكنة ساكنة حتّى حفيف ورق الشجر. كل شيء ثابت لا يتحرك وكأن الزمن قد توقف، حتّى هم تحسبهم أمواتا وهم رقود. مرصوصون بانتظام كما شجر الزيتون الذي حولي... كل شيء غريب. غارق في الدهشة والقنامة. لباسهم وملبسي. ذلك الشعر الطويل الموج المنسدل علي كتفي، أتحمس وجهي وكأني أتعرف عليه لأول مرة. تلك الجبهة المسطحة، وتلك اللحية، جسدي ليس كجسدي وكأن روحي قد فارقت لتحل في جسد آخر يسقيني الطمأنينة في كأس رغم أن ما من شيء يدعو لها...

أنظر إلي النائمين وأنتظر لعل أحدهم يتقلب ذات اليمين أو ذات الشمال فأري فيهم ما يدل عن الحياة. أكاد أتبين شبح أحدهم يأتي متحسسا خطاه، يقترّب فيهتز خياله مع تراقص جذو النار، يتقدم صوبي، يحتضنني، يلثم خدي. يتلفت حوله، هو يعرفني لكني لا أعرفه ولا أتمنى معرفته، فعيناه لم تكن مثل أعيننا، كانتا مشقوقتان بالطول لا بياض فيها ولا حياة، حالكة كسواد الليل. تراجعت مبتعدا خطوتين عن جسده رغما عني فلفيح جسده لا يطاق. يحدّثني عقلي أن أهرب فتأبى قدماى الإنصات...

أعلم أنهم حولي، يسترون بالشجر، أشعر بهم في ظلمة الليل، يتحينون الفرصة لصيدى. الجو يزداد كثابة واختناقا. أرمى نظرة على النائمين، بدأت الآن الحركة تدب في أوصالهم، أنفتحت أعينهم فجأة بلا مقدمات وكأن الحياة أنبعثت فيهم بعد موات، وكأننا طردت الأرض ظهورهم فجأة فجلسوا جميعا على مقاعدهم. التفاتاتهم حادة، نظراتهم مرتعبة، ملتاعة، أنظر ألى ما ينظرون فأري من كانوا يسترون بالشجر يصنعون دائرة حولي متحفزين تحفز الخوف. تضيق دائرتهم على فيزداد أختناقى أختناقا، تبدأ الأصوات في الظهور، تئن أوراق الشجر من دهمس أقدامهم، ينعيها نعيق غربان...

أخذونى ألى دار سحيقة جداراته عاليات كما الجبال، أحجاره ضخمة، بثره عميق لا ترى ماؤه، بهوه واسع يتسع لبيت واثنين آخرين، أرضه ممهدة بأحجار رصت فاستوت مصقولة من وقع الأقدام عليها . نوافذ عالية اعلاها نجمات متداخلات نقشت في تودة وأتقان . المشاعل علي الحوائط مثبتة تتراقص نيرانها في قسوة...

جمع غفير، وكأنه يوم زينة، رجال ونساء كهول وصبية. المشهد أشبه بمحاكمة انا المتهم فيها وبقيتهم قضاة . الجميع ينادى بقتلى . الشغف يملء الأعين، كل الأعين، قتلى صار مطلبا جماهيريا واجب النفاذ...

لظمنى أحدهم فتجراً البقية صفعا وبصقا، تنهال اللطحات، تدوسنى الأرجل، تطعننى الركابي، توقعت أن أستيقظ من أول صفقة . فليس هناك تفسير

آخر غير أنى في أبشع كابوس قد عرفه خيال بشري، يزداد سيل اللطمات والركل فيخيب رجائى في الإستيقاظ والفرار من جحيم الألم، توقفوا عني بعدما تيقنوا أن لا وجع يضاف إلى وجعى . أفق على قدمى عندما أرى الأعين تكب شماتة وحقدا...

أحاول أن أنطق، أتحسس فمي فلا أجد فتحته، إختفت شفطاي فلا وجود لها ولا أثر . لست رجلكم المنشود، لست المخلص، بل أنى من الذين تألم من أجلهم، أنا جوزيف . ستنكرني قبل أن يصيح الديك مرتين، تنكرني ثلاث . هو سلمني بعد أن أكل معي مقتسما خبزي، راشفا من كأسى، وأنا أنكر نفسي منه هربا من العذاب . الكلمات تصرخ داخلي، تسعي لخلع أسوار سجنها دون أمل في الخلاص...

خلعوا عني ثوبى كاملا، إلا من دثرة قرمزية تستر نصفى السفلى، على ركبتى أجلسونى قسرا، ربطوا يدي في حلقة مثبتة في حجر أجبرت على احتضانه . أحاول السؤال عن ما أقرفته فيخرج من حلقى الصوت بلا صوت، أحاول أن أصرخ فتضيع الصرخة قبل أن تصل إلى أذناى...

أنظر إلى وجوههم، تتحدث عيناى لأعينهم، تترجاهم وتتوسلهم فلا يجيبها غير الحقد المسيطر . أراه وسطهم يتنقل حولهم وبينهم يتمتم في أذهنهم كثعبان يبخ سمه، ينظر إلى بشماتة فاتحا فاهه فيظهر لسانه المشقوق متدلليا...

رأيت أحدهم يميني، بان من قدمه. حاولت الصعود بعيني ألى أعلى حتّى أري مايشده بين يديه، فشلت. هناك آخر في الجهة المقابلة يفعل مثله، نزلو على جسدى بسياطهم في تناوب، سياط غريبة قطعة خشب قصيرة مربوط فيها سيور جلدية كما السكين في آخرها كرات معدنية

مدبية . من أول جلدة تمنيت الموت وناديته لكن دون أجابة...

يصرخ داخلى فيتشقق متداعيا، ينصهر فيذوب كما جلدى. تنغرس الكرات المثبتة في آخر السيور، ينزعها كلاهما نزعا، يتفتت لحمى متناثرا حولى لثتمزق العضلات تحته...

حلوا وثاقى، لا أملك سوي النظر أليهم، الأهات تسعى للخروج فيقابلها سد منيع في حلقي، كل أنملة في جسدى تصرخ عوضا عن فمى الممتعض لمذاق الدم. لم أشعر بهم ألا وأكليلهم على رأسى. لا ضرر من بعض الألم الناتج من شوك تاجهم المغروز في جبهتى...

يسجدون أمامى مستهزئين، لم ينسوا في غمرة تعذيب سياطهم البصق والركل. حملونى ليوقفونى رغما عني. في الخارج كان الجميع في انتظارى مصطفين على جانبي الطريق، كل شيء يموج بالألم، كل لمسة من يدهي العذاب الأليم أجاهد حتّى أستطيع النظر فيهم، أليس منكم رجل رشيد؟، ماذا فعلت لتفعلوا بى ما تفعلون. ما هو الوزر الذي جنيته وجعلكم تعلنون الحرب علىّ ومعكم كل أوزارها، أنتم تعذبون الرجل الخطأ، لا طاقة لي في حمل كل ذنوبكم

والتكفير عنها، لست مثله، فأنا لا أستطيع. ذاكرة الكلمات فقدت كل خزيتها
حتى الآن لم يعد متاحا...

لم يستطع جسدى المنهك الصمود تحت صليبهم الذي ربطونى فيه. وقعت
أكثر من مرة. أنسلت أحداهن فمسحت وجهى بمنديلها. لم أتبين ملاحظها،
خصلات شعرها الثائرة الهاربة من رأسها إلى وجهها والتي أخفتها تنبؤ بجهاها،
وأمرأة أخرى عيناها منع لكل أنهار الطيبة الممتزجة بالدفء، لو جمعوا كل كتاب
الدنيا ليتباروا في وصف الحزن البادى على وجهها ما استطاعوا...

جاؤوا بحبشى، أجبروه أن يحمل معى خشبى فارتضى الحمل...

أنتهى الطريق بواد فسيح غير ذى زرع بربرة عالية. على الأرض أسقطوا
الصليب من علي منكبي، وعليه أرقدونى. ضموا قدمائى لكن لم يفردوها عن
آخرها، جعلوها مثنية. وبدأ الطرق، مساميرهم أعرض تمر بين عظام مشط القدم
هارسة كل ما يقابلها. الالام حادة رهيبية لا يتحملها بشر...

فعلوا مع ذراعاي مثلما فعلوا مع قدمائى، ثنوا كوعى مقربين كتفاي إلى
عنقي، أصابع كفي أخذت شكل المخلب رغما عني، تشنّجت عضلات يدي،
تقلصت، الألم رهيب، تحترق أعصابي فترسل نيرانها إلى عقلي . الصرخة داخلي
تكاد أن تمزق جسدي لتشق السماوات...

حفروا لصليبهم فأوقفوه وأنا عليه. الآن أعرف لما لم يفردوا ركبتي عن
آخرها، ولما جعلوها مثنية بتلك الزاوية النصف قائمة فوزن جسدي بالكامل

حمل على قدمي المخترقتان بمساميرهم، مجبر جسدي أن يحيل وزنه على عضلات فخذيه، تلك العضلات والتي بسبب ثنيها فهي لن تستطيع أبدا أن تحمله فتمزق لينتقل الثقل إلي ذراعي مثلما يحدث الآن...

جسدي تحمله ذراعي المنهكة من الجلد والجراح وحمل الصليب، يرتكز الوزن على المعصمين و الذراعين والأكتاف، ينخلع كتفي من مكانه ويتابعه خلع في مفصلي الكوع والمعصم. أشعر أن ذراعي صارتا أكثر طولاً...

ضلوعي تنن، تكاد أن تخرج من مكانها منفرطة من ثنايا اللحم . مع كل نفس تأخذه رثائي يزداد ألمي، أطرده الهواء من صدري بصعوبة بالغة، فمع كل زفرة يتحرك جسدي فيحتك لحمي بالصليب، إما أن أسكت عن التنفس أو أن يتحرك جسدي لأعلي ولأسفل حتى أستطيع أن ألبّي نداء رثائي التي تحن للهواء فتمتلئ فلا تستطيع طرده. ضلوعي تتمزق، رثائي تبحثن عن الهواء فلا تجده، دقات قلبي تحبو رويدا رويدا . أصرخ فأستيقظ...

عشر دقائق كاملة، ممدد كما أنا علي فراشي، لا تفارقني النهجة ولا الرعشة، جسدي صار محراباً لكل الام الدنيا ووجعها، أهذا ما مر به يسوع ولقيّه؟، أهذا ما تحمّله من أجلنا؟، أي ذنوب أتيناها واي مثلها سنؤتيها جعلته يخوض مثل ذلك العذاب؟. لما حاولت التملص والإنكار؟، لما حاولت إنكار الجسد المقدس؟، لما كانت رغبتني أن أحادثهم فأنبتهم بأني لست المسيح، عشت عمري

أدعوه وأتقرب إليه وفي لحظة إندماجي فيه نكرته، أنادي بالنظر إلي تجربته حتى
نتعلم التضحية وعندما أخوضها أسعي محاولا البعد عنها...

تعصف بي الأفكار، تتقاذفني كما يتقاذف الموج مركب فقد شراعه .
يتشلني من غرقي جرس الباب، أتحامل علي نفسي، لا أقوي علي الحركة، واضح
أن صاحب الطرق لن يستسلم . أفتح الباب لأجد محسن بابتسامته

المعهوده ووجهه الصافي عنوان الطيبة والرضا.. يبدأ كلامه كلامه قائلا
- إيه مدخلش؟

أتنحي بجسدي جانبا مشيرا له بيدي بالدخول إلا أنه يتسمر مكانه قائلا
- مالك يا جو،، إنت عيان؟

- لا لا مش عيان ولا حاجة

- إزاي بس إنت وشك أصفر أوي، وعرقان جدا، وريني كده.. يقرن
كلماته بوضع يده علي جبھتي مكملا أنت كمان سخن، درجة حرارتك عاليه، إنت
روحت لدكتور؟

- متكبرش المواضيع أي خافض للحرارة وهبقي كويس، وكمان متنشاش
تقلبات الجو ممكن هيا اللي تكون عملت كده..

علي أول مقعد يقابله يجلس محسن متأملا وجهي قائلا
- إنت زعلان مني؟

كعاداته لا يجيد المقدمات، تفضحه عيونه قبل لسانه..

- ليه بتقول كده؟، وهزعل منك ليه بس؟

- عشان مبروحش الكنيسة

ظل لأكثر من ربع ساعة يتكلم ويبرّر عدم إنتظامه في الذهاب للكنيسة وأنا ناظر إليه متأملا وجهه، أود أن أقولها له، لا تبرر يا أخي، فأنت مسيحي مخلص عني، أنت أكثر مسيحية مني، أنت لم تنكره مثلي، أصحاب الأيمان الهش دائماً وأبدا ما يظنون في قوة أيمانهم، يحملقون في أيمان الآخرين باحثين فيه عن ضعف، جاهلين أن عوراتهم ستظهر في أول اختبار يوضعون فيه...

ظل يتكلم وأنا أنظر إليه وفي عقلي سؤال واحد ينبح كما الكلاب في الساحة لم نكرت نفسي؟ لم تبرأت؟...

"سامح"

أستطيع رد الصفعة إليك صفعات، لكنني لن أفعل، ليس لأنك أخي الأكبر أو لأنني أتشبث بخصال العفو والتسامح، بل لأنني أعذرك، فأنا أخوك، مرأتك التي تنظر فيها فترى كل قبحك فتقف عاجزا ولا تستطيع فعل شيء سوي كسرهما . أنا أعذرك...

- إنت جاي النهاردة تحاسبني؟!، نسيت الي عملته معاك، نسيت إن لولايَ كان زمانك مرمي في معتقل زيك زي الكلب

يجز سامح على أسنانه مكورا رسغه في محاولة منه للسيطرة علي غضبه قائلا
- الي في المعتقلات مش كلاب يا رفعت، دول ناس قالت لأ . الكلاب الي بجد هيا الي ركعت وباست الأيادي عشان تقعد تحت رجلين الحاكم تستني بواقي اللقمة والجنيه. الكلب الي بجد هو الي باع ضميره وإنسانيته وناسه وبلده، الي جوه مش كلاب يا رفعت.

بعد صمت ونظرة عميقة في وجه سامح كمن يبحث عن كلمات تاهت في حلقة فيتأمل محدثه علّه يجدها في وجهه قائلا

- مباحدش منك إلا الفلسفة

ليست بفلسفة، تعرف كل شيء، تعي كل شيء وتدركه، كلماتك لا تخدعني ولا تخدع غيري، الجميع يفتن الحقيقة، أنت لا تخدع إلا نفسك، تصير بها لحد

الموت، فالنفس التي تفقد الحرية والارادة تموت قبل أن تفني. نعم لك كل الفضل في حريتي المزعومة وباليك ما فعلت، حررتني من جدران السجن فكَبَلتني روعي بكل قيد، تُعابريني أني فشلتُ أن أكتب وأنت خير من يعلم أن الكتابة كما العملية الجراحية لا تتم بيد مرتعشة، لا تتم بروح ترسب الخوف عليها عاما بعد عام حتّى أخفاها تماما وحل محلها فصار صاحبها بقلب خائف، أنت تكتب لأنك تحب روعي وخلف دفاترك وأنا أكتب بحثا عن روعي عليّ أجدها بين أوراقى. أنت أهتِك الحياة عن الحياة، تُوهِم نفسك أنك تحيا لكن أكَل الأموات هم من وارا هم التراب؟، هناك مثلك بمن يحيا أمواتا، مثلك من باعوا ضمائرهم مفترشين قارعة الطريق بإنسانيتهم يبيعون لمن يدفع أكثر...

ليست بفلسفة، تعرف كل شىء، تعي كل شىء وتُدركه . تسألني لم لم أتزوج، ألا تريد أن تعرف لم فشلت، حتّى وإن لم ترد سأخبرك . سأخبرك وأنت تعلم أن الفتاة الوحيدة التي دق لها قلبي تزوجتها أنت. لا تقل لي أنك لم تكن تعرف. كنت تعرف، كنت تعرف أني أحبها، كنت تعرف، إلا أنك إستثمرت ضعفي لتنشئ مدينتك علي أنقاض قلبي وسكوتي، أنا لا أُحملك الوزر، فأنا الملام لأني صمت، لكن كنت أنتظر منك أن لا تفعل فأنت أخي، كيف استطعت النظر في وجهي وقد أخذت مني حبيبتي، كيف تواتيك الشجاعة الآن لتقف أمامي تعابريني بأني لم أتزوج بعد، كيف يابن أم أخذت بقلبي في فمك تقطع منه وتلوك دون رحمة أو وازع . كيف...؟

- إنت هتفضل باصصلي كتير كده، هو أنا مش بكلمك؟

يعود سامح من ثنايا عقله ليجيبه

- أيوه فعلا، إحنا لا مدركين ولا فاهمين فعلا، إنتو بس اللي بتفهموا،
واستني، إنت ليه نسيت تكمل بقية الإسطوانة بتاعة هتخربو البلد، والمؤامرة
والأجندة الخارجية.. إزاي ياراجل نسيته

- بقولك إيه أنا مش فايقلك ومش هجري وراك تاني، إنت لو إتأخدت
تاني عن نفسي مش هعبرك، هتبرّي منك، هقول إنك لا أخويا ولا أعرفه. إنت
فاهم؟

- أنا لا طلبت منك تجري أولاني ولا طلبت منك تجري تاني، أنا طلبي
محدد، عايز حقي في ميراث بابا

يقوم رفعت من علي كرسية رافعا صوته مدّعي الغضب قائلا

- حق إيه وميراث إيه، إنت حقك أخذته خلاص، الشقة اللي إنت فيها
شوف تسوي كام النهاردة؟.

- بقي الأرض اللي في البلد والعمارة وحتة الأرض اللي هنا، كل دول،
نصيبني منهم الشقة دي، هو إنت فاكر نفسك بتكلم عيل صغير؟!!

- لا مش عيل، إنت راجل وبتفهم كمان في القانون قبل الحساب وعشان
كده عايزك لما تفضي تاخذ نفسك وتوصل لحد المحامي عشان تبقي تشوف
العقود اللي بامضة بابا واللي بيها باع ليا كل حاجة بيع وشرا

- بابا مبعلكش حاجة، إنت اللي إستغليت عياه ومضيتته، وأنا مش هسكت يلتفت رفعت إلي سامح راسما إبتسامة مستفزة مصفقا بيديه بإستهانة واستهتار قاتلا في تهكم

- برافو متسكتش، المحاكم كلها قدامك، ليه تسكت؟، روح واجري ودور علي حقك بس خد بالك وده بس عشان متقولش أخويا مقاليش ولا نبه عليا، حتى الشقة اللي إنت قاعد فيها دي ساعتها هاخدها منك

ينصرف رفعت صافعا وراءه باب الشقة تاركا سامح تتخبطه أمواج عقله فيرجوها الوصول إلي شاطئ. أنت كما أنت لن تتغير، تأخذ مني كل حق وتُغلق في وجهي كل باب أمل، تعرف أني لن أقف أمامك في قاعة محكمه مسوغا دفاعاتي أن أبي لم يكن في وعيه وأن ابنه إستغل هذيانه فأخذ توقيعه ليحرم أخاه من إرثه. لن أدنس ذكري والدي، كتب الصمت علي أياما وسنينا، صمتُ مرة، وقفت عاجزا مستسلما وأنا أراك تدوس علي قلبي وسأصمت الآن وأنت تأخذ مني ما تركه لي والدي، لكن لا بدّ وأن تعرف أن صمتي وزهدي في حقي تلك المرة ليس لضعف أو مذلة لكنه لقيمة لا يعرفها من هم مثلك. إهنا بحبيبة لم تكن أبدا لك واغتم بهال لم يكن أبدا مالك، وتذكر أنك مهما سلبت وأخذت فهذا لن يعيد لك الحياة، فروحك قد ماتت، وقلبك قد أصابه العفن...

ألد عدو للحياة..
الموت..
معركة أزلية أبدية
لا منتصر فيها ولا مغلوب سوى الإنسان
يعيش فيعتاد الحياة
وما أن يعتادها حتى يجد الموت يفاجمه

- خدي بالك بس، ده روائي، يعني باختصار راجل صاحب خيال فمش صعب عليه أبدا يقنعك بإنه مريض نفسي

- كلامك صح، بس أحب أقولك إن الخيال لوحده مش كفاية عشان حد يقدر يدِّي إنطباع إنه مريض، ده علم. ده غير إنه من الأصل محاولش يقنع حد إنه مريض، بل بالعكس علي حسب كلام أسامة ده إعترف إنه قتل مراته، وإن هو اللي إتصل بالشرطة، ده غير إن في كلامه عن نفسه بيجزم إنه مش مريض ينظر إليها أحمد جاسر معاون النيابة محاولا إستيعاب كلماتها فيتدخل أسامة

قائلا

- يا مريم إحنا عازمين أحمد بيه علي الغدا مش عشان نتكلم عن واحد قتل مراته، وهل هو مريض نفسي أو لا
تُخرج مريم كشكولا من حقيبة يدها باحثة في أوراقه حتى تقف عند ورقة
معينة قائلة

- بص كده يا أستاذ أحمد، شوف هو كتب إيه وشطب عليه بعد ما خلّصه
تبدأ مريم قراءة ما أشارت إليه بصوت عال
" يعيش الإنسان عمره كله ينتقل بجسده بين الليالي والأيام والسنين. لا يشغله شيء سوي أن يملأ ذاكرته المثقبة كما الغربال . يعيش ليموت، ويموت لأنه قد عاش . فلولا الحياة ما كان الموت، ولولا الموت ما كانت الحياة. يعيش مبرما معاهدة مع نفسه مصالحا إياها، تلك المعاهدة التي تنفض وتفسخ بنودها

إذا ما قابل في رحلة العمر نقيضه . وقتها سيعرف نفسه التي لم يكن يعرفها، سيكتشفها علي حقيقتها، ويتيقن من دناءة نفسه وحقارة روحه، وأنه كان أهون وأسلم أن يضع يده في يد الشيطان فيأتمنه ويأمن جانبه ولا يأتمن أبدا روحه أو يعاهدها "

يأخذ معاون النيابة أحمد جاسر الكشكول منها مقلبا في أوراقه قائلا

- الأول بس إنتي جييتي الكلام ده منين؟!

تجيبه مريم في تردد ناظرة إلي أسامة

- من أسامة

ينظر أحمد إلي أسامة معاتبا إياه علي فعلته قائلا

- دي أوراق المفروض إنها ضمن أحراز قضية، يعني اللي حصل ده غلط

وغلط كبير كمان

يتلعثم أسامة قائلا

- والله هو الفضول يا أحمد بيه

تحاول مريم نجدة أسامة من موقفه الذي لا يحسد عليه قائلة

- السؤال اللي بيفرض نفسه هنا، هو ليه شطب علي المقطع ده وكتب عليه

لاغي

تنجح مريم في جذب إنتباه أحمد حينما تجده قد إلتفت إليها فتكمل بحماس

محاولة طرح فكرتها وتثبيت أركانها أكثر قائلة

- لأن ببساطة المقطع ده كافي أوي إنه يدي إشارة بإننا قدام حالة أنفصام .
هو هنا رغم مرضه إلا إنه ذكي جدا، لدرجة إني تخيلت إنه كان

سامعني أنا وأسامه لما كنا بتتكلم عنه

يتدخل أسامة قائلًا

- بمعني؟

- المفروض إنه بيكتب رواية عن روائي مشهور، مراته بتخونه، إلا إنه ومن غير مقدمات وقف فجأة عن السرد وإبتدي يتكلم عن نفسه وعن مراته وعن أخوه، كأنه بيكتب روايتين، رواية عن نفسه كسيرة ذاتية، ورواية عن حد تاني. ده غير إنه رافض تماما فكرة إنه مريض نفسي، ومش رافض وبس ده كل مأخذ وكل نقطة خلتنني أقول عليه إنه مريض هو بيبندها وبيضعفها..

تنظر مريم في وجوههم فتجد أن حديثها قد سيطر عليهم وجذب إنتباههم

كاملا فتكمل

- أنا لما إتكلمت عن تطابق الأسامي، لقيته هو نفسه يقول إنه مصادفة مش مقصودة، ولما أسامة سأل إن كان هو زعلان إن مراته مش خاينة، لقيته بيجابوب أسامة وكأن السؤال كان موجه ليه مش ليا، لقيته يقول مفيش حد في الدنيا يتمني إن مراته تكون خاينة..

يتدخل أسامة مقاطعا

- يعني إيه بيجابوني؟

تأخذ مريم الكشكول من أمام معاون النيابة قائلة

- أه بيجاوبك، وكأنه كان قاعد معانا في المطعم بص كده

يأخذ أسامة الكشكول لينظر الي ما كتبه فتكمل مريم حديثها

- الموضوع مش مجرد تطابق أسامي وبس، هو أه الأسامي متطابقة بشكل

غريب، ده حتّى أخوه سامح قصاده شخصية إسمها سماح اللي هيا أخت عرفة

يقاطعها معاون النيابة قائلا

- تقصدي إيه بتطابق الأسامي

- أه نسيت، أنا قولت لأسامة ومقولتش لحضرتك، لو بصيت علي الرواية،

هتلاقي إن إسم رفعت قصاده إسم عرفة، وإن إسم أماني قصاده إسم أمنية، وإن

إسم سامح قصاده إسم سماح . ده حتّى علي اللي هيا مرات صاحب عمره

هتلاقي قصادها إسم علي تلميذ عرفة . في البداية قولت رغبة ساذجة من كاتب

إنه يضيف لغز أهبل لروايته، لقيت إن الموضوع مش مجرد رغبة . ده كل

الشخصيات اللي صنعها خياله فيها منه. لما إبتديت أقرا وبناء علي تطابق الأسامي

قولت إن رفعت هو عرفة، أو تحديدا وزبي ما قولت عرفة هو نقيض رفعت.

الكاتب المناق المداهن للنظام اللي بياكل علي كل الموائد واللي محدش بيقراله

قصاده عرفة المشهور المعارض للحكومة، ده حتّى لقب العيلة ده رفعت الموس

وده عرفة الزاهد. هنا قلت إنه ساخط علي نفسه وعشان كده صنع عرفة من

خيلته. إلا إن كان دايبا في حاجة بتخليني مش متقبلة الفكرة، لأن رفعت وزبي ما

هو واضح وبرغم فساده إلا إنه كان متصالح مع الفساد ده، عارف إنه خاين وفساد وعاجبه حاله كده..

يقاطعها معاون النيابة

- إنتي قولتي إن عرفة في الرواية مراته بتخونه، مش يمكن هو كرفعت بيبر لنفسه، بيقول فيما معناه إنه لو كان محترم كان بقي مصيره إنه يتخان؟

- قصدك خط دفاع، إسقاط نفسي، محاولة منه لتجميل فساده والتصالح مع ذاته أكثر. ممكن ده وخصوصا لو بصينا علي أماني وكلامها عن الخيانة هنلاقيه هو نفس كلام رفعت ونفس مبرراته عن الخيانة . رفعت مكتفاش إنه صنع نقيضه اللي علي هيئة عرفة، ده كمان صنع شخصيته هو كمان واللي علي هيئة أماني . وبكده كسب نقطتين، إنه وجد في روايته اللي يدافع عن الخيانة وده برده خط دفاع ليه والنقطة الثانية إنه إنتقم من نفسه، محاولة منه إنه يريِّح ضميره من ناحية زوجته أمنية وعشان كده خلي أماني خاينة..

يقاطعها أسامة قائلًا

- يعني كده وعلي حسب كلامك. مرات رفعت هيا اللي بيقابلها أماني

مرات عرفة. وانتي قولتي قبل كده إن كل الشخصيات فيها منه

- أمنية هيا أماني لكن فعلها هو رفعت، ومش أماني بس ده كمان علي تلميذ

عرفة . رفعت هو أماني، هو عرفة، هو علي

يقاطعها معاون النيابة

- أنا مبعثش فاهم حاجة

بحركة من يدها كإشارة علي التمهّل تجيبه

- بالراحة بس. إحنا قدام مريض يكاد يكون عبقرى. بيساوى الخيانة بالحب وبيوجد ليها المبرر بمتتهى السلاسة واليسر، ببيوجد مبررات قوية للصفات الوحشة اللي فى حياتنا. هتفهم كلامى أكثر لما أقرالك المقطع ده كمان، وخذ بالك هو برده لاغيه

تأخذ الكشكول من علي المنضدة، تقلب فى أوراقه حتّى تصل للمقطع

المنشود قائله

- أهو..

الكلمات تتعثر علي لساني، تأبى التكوّن والميلاد، تظل فى العقل نطفة وكأن حبلىها السرى قد إنقطع عنها. الحب إذا وُجد كانت الخيانة، فكلاهما وجه لعملة واحدة وعلي قدر الحب تكون الخيانة. تعيينون علي الخائن أن قلبه سليم معافى لا يعلق بجدرانه شيء يترسب فيسد شرايين عاطفته، أم تعيينون عليه التحرر من قيد الحب وأغلاله. لم تحسبون الخيانة فعل قمى وتصفون صاحبها بأبشع ما فيكم. تعدّوها الطعنة الأكثر إبلاما التي تصل إلي حد القتل بينما هي فعل واجب من أساسيات الحب. فالحب يولد كنسمة هواء، تلك النسمة التي تصيبك فى القبط الشديد فيرتجف لها جسدك الذي سرعان ما يعتادها مع مرور الوقت، يألّفها حتّى يملّها أما الخيانة فهي الإعصار الذي يقتلع الشئ من جذوره. فإذا كان الحب

قويا تمتد جذوره إلي أسفل وأسفل سيصمد وتصبح الخيانة هنا ليست أكثر من عملية إختبار لذلك الحب، فعل حركة له رد فعل مساو له في القوة ومضاد له في الإتجاه . فالخيانة في تلك الحالة لن تفعل شيء سوي تقوية ذاك الحب، أما إذا نجح إعصار الخيانة في خلع الحب وجذوره من القلب فهو لم يكن حبا بل كان شيء اخر، أو أنه حب ضعيف هس لا بكاء عليه ولا ندم. تعدون الخيانة ذناء؟، لم لا تحسبوها أمرا واجبا لتجنب الخسارة، لم لا تعدوني أي لم أكن أريد الخسارة، لم أكن أريد أن أخسر كل شيء. كيف لي أن أشحذ كل عواظي وما أملكه من مشاعر وأشحن كل هذا علي عربة واحدة تسير فتفرغ كل حملتها علي ميناء قلب واحد. أو ليس هناك إحتمال ان تحترق تلك العربة قبل وصولها. أو حتى يغزوا الغزاة ذلك الميناء فيصير حبي مغنا ومكسبا لهم. كل ما فعلته أني إستأثرت لنفسي بوضع من مشاعر، لا تضر ولا تنفع أحدا غيري. أنا لم أكفر بالحب، لم أغير عقيدتي ولم أبدلها انا فقط غيرت قبلي..

يصمت ثلاثتهم، يساعدهم علي ذلك النادل الذي جاء ليرفع صحون الغذاء واضعا بدلا منها ما طلبوه من مشروبات
تقطع مريم الصمت قائلة بعد إنصراف النادل
- كلامه صح، صح؟

يستمر الصمت لحظات أخرى، وعندما يتبين لها أن خطيبها ومعاون النيابة لن يجيبوا سؤالها، تتبرع بالإجابة بدلا عنهما قائلة

- صح.. كلامه صح شكليا، وانتو إتكسفتوا تقولو إنكم إقتنعتم بوجهة

نظره

يخرج أسامه عن صمته قائلا

- مش موضوع إتكسفنا، بس هل هو منطوق إن عشان نقيس قوة

الحب يبقي لازم نعرضه للخيانة

يتشجع معاون النيابة فيكسر هو الآخر صمته قائلا

- أصلا القياس بتاعه باطل، الحب مش حاجة مادية عشان نحطه في قوانين

وحسابات

- وعشان كده قولت شكليا كلامه صح، الغريب في الموضوع إنه كتب علي

لسان أمنية مراته إنها عارفة إنه بيخونها، وإنها ساكتة عشان بتحبه، وده بياكد

وجهة نظره

يستفهم معاون النيابة سائلا

- وهل فعلا مراته كانت عارفة إنه بيخونها؟

- هو كتب كده، وأنا معرفش إمتي هيا عرفت، هل واجهته، بس مظنش.

لأن معرفتها مكنتش قائمة علي دليل، ده كان مجرد إحساس ست بزوجها

يقاطعها معاون النيابة

- أو يمكن هو قالها

- معرفش، أنا لسه مكملتش الرواية، بس اللي أعرفه إن الأنا عنده عالية

أوي، ده فاكر نفسه إله

يعلو صوت أسامة قائلًا

- أستغفر الله العلي العظيم

تقاطع مريم

- إسنني بس هو شايف نفسه إله بس مش بالطريقة اللي إنت

فهمتها، هو إله بطريقته

- وهيا دي فيها فهمتها ومفهمتهاش وطريقته

- أه فيها وليه فيها وجهة نظر تُحترم كأن

يحملق أسامة في وجهها فتكمل مريم

- هو عرفة ده شخصية موجودة فعلا؟

يجيبها معاون النيابة

- لا

- يعني هو اللي صنعها، هو اللي خلقها من خياله، هو اللي يبسيها ويكتب

مشاعرها. بيخليها تفرح وقت ما يحب، وتحزن وقت ما هو يحب. وعشان كده

هو شايف نفسه إله عرفة، إله مش في معناه المطلق يعني يا أسامة

تسود حالة من الصمت يقطعها معاون النيابة

- يعني إنتي عايزة تقولي إنه مش مسئول عقليا عن قتل مراته

- مقدرش أقول كده، لأني زي ما قولت، لسه مكملتش الرواية، ده غير إني لازم أقابله وأقعد معاه مرة وإثنين
 بإندهاش ودون تحكم يجيبها أسامة
 - تقابلي مين يا ماما؟!
 - أقابل القاتل
 يزداد إنفعال أسامة فيعلوا صوته
 - ومين هيسمحك بكده؟!
 يتدخل أحمد حتى لا يحتدم الأمر أكثر قائلاً
 - إهدي يا أسامة بيه، أنا معرفش إن كان ده ينفع أو لا
 - يعني يا أحمد بيه إنت شايف إنها عادي إنها تقابله، المشكلة بس إنك مش عارف هل ده ممكن ينفع أو لا؟
 تقطع مريم حديثهما قائلة
 - الموضوع أبسط من كده يا أسامة، ودي مش أول مرة أقابل النوع ده، متنساش إني دكتورة والحالات دي كتير عدت عليا
 برغبة من معاون النيابة بغلق الحديث في هذا الأمر يجيب
 - عموماً الموضوع ده سابق لأوانه، أنا لازم أقوم دلوقتي لأني نيابة مسائية
 النهارده
 يتبعه أسامة قائلاً: ومريم كمان أتأخرت.. يللا يا مريم عشان أوصلك..

" أمانى "

ينظر إليها خلسة. يتأمل جسدها الوضّاء العاري المستلقي على فراشه. يجوب بعينه منحنياته فيناديه نهدها المكتنز الفائر الذي كان يصرخ بين يديه من دقائق. تصعد عيناه فيرى عنقها الأبنوسى الذي كان يجوبه بلسانه أياها وذهابا زارعا فيه رغبته الحميمة وشهوته التي كانت تأتيها عضات بأسنانه . يري عينيها المغمضتين من بين خصلات شعرها التي حرمته تأمل وجهها، لا يدري أن كانت نائمة أم أنها تغمض عينيها لاستجماع ما تبقى من متعة ترغّب في التسرب من جسدها المستلقى . تهبط عيناه فيراها ثانية أحدى قدميها على الأخرى ليظهر فخذها براقا يؤجج هوى المتعة منحوتا في دقة راسها خطأ بين الفخذين ناداه كثيرا واستفزه فشقه بسكين شهوته. يؤلمه صدره فيتحسسها ناظرا ما ألمّ به فيجد خربشات أظافرها ظاهرة جليلة على صدره وكأنه خرج توا من حرب طحون...

يعيد النظر الى جسدها العاري وقدميها التي رفت الغطاء في كل مرة حاول أن يدثرها به. كل شيء فيها يدعوها لها، شفيتها أبار فتنة أذيب فيها سر الفراش الأعظم، عينيها واحة وارقة تحوي كل أسحار الدنيا تنادي فتسلب وكأنها منبع ومنبت كل امرأة خلقت لتكون جميلة، جسد غض جسد فيه كل شيء علي حدة بعناية ورفق فكان كما تمثال صنعه أبرع نحاتين الأرض والذي مهما نظرت إليه وملأت عينيك بجسمه ورسمه وتفاصيله فستجد يدك رغما عنك تمتد للمسه

وتحسسه. كان ما زال على جسدها بقايا من علامات محمرة رسمت بصمات أصابعه وكأنها صحيفته الجنائية التي أثبت فيها أنه كان أهلا لها. عرفها وفك طلاسم جسدها عندما وطئها أول مرة، جامحة، وحش ضاري لا يقبل الأستثناس، نار تزهوا ويعلوا جذوها في كل مرة كان يحاول فيها أخمادها. يتسلق بها هرم الشهوة فتصرخ وتئن وتتلقى جاحظة متخشبة كمن تلبسه جان فتهدا لتعاود من جديد وكان شيئا لم يحدث وكان النار لم تنطفئ. عرف على يديها الجنس وأدمنه. لا ينكر أنها في كل مرة أتته لينكحها كان تأتيه وفي جمعيتها ما يدهشه. الجنس عندها حياة، عالم مختلف عما رآه وفُطر عليه، بئر مالح مائه في قلب صحراء قاحلة يمر عليه تايها فيغيب منه لسد عطشه فيشرب دون أن يرتوى..
يناديها

- مانو

تتململ في فراشها فتقلب معطية أياه ظهرها فيظهر أسفلها ناعما مضيئا
تغشاه الأعين

يعاود النداء فتجيبه دون أن تلتفت بجسدها إليه

- نعم.. عايز أياه، سيني أنا

- تنامي أياه قومي مفيش وقت

يغادر كرسية مقتربا من الفراش واضعا يده على منكبها قائلا

- قومي يا مانو، أنتي أتأخرتي كده لازم تمشي.

تلتفت إليه نائمة على بطنها قائلة له بنصف عين:

- أتأخرت عن أيه؟. أنا مش قايلالك ان عرفة في اسكندرية؟

- طب قومي أقعدي عشان عايزك

تطاوعه جالسة سائدة ظهرها على مسند الفراش ساحبة سيجارة من

جوارها قائلة

- نعم يا على، عايز أيه

يلقى أليها شيئاً من ملابسها:

- البسي

تجمع ما ألقاه لتلقيه هي الأخرى على الأرض قائلة:

- أنا هبات معاك النهاردة

- أسمعيني بس أنا عايزك في موضوع مهم

تغادر فراشها كما هي عارية كيوم ولادتها، تجلس على مقعد أمام امرأة

ساحبة أحد الأمشاط لتبدء في تصفيف شعرها قائلة دون اهتمام

- موضوع أيه؟

- طبعا أنتى عارفة أنى أتقدمت لسماح وأكيد عارفة أن عرفة وافق

- أه عرفت، في الأول كنت هولع فيك، بس حسبتهما لقيت أن كده أحسن

لينا. هو بس المشكلة أننا مش هينفع نتقابل هنا، أحنا كده لازم نأجر شقة

- ونأجر شقة ليه؟

تلفتت إليه:

- أیه أنت ناوی تتجوزها في شقتها؟، تصدق فكرة، وتفضل الشقة

دى فاضية نتقابل فيها براحتنا

ببطء متحاشيا النظر لها:

- لا ما هو أحنا مش هنتقابل تانى.

تحديق إليه قائلة بنبرة عالية:

- يعنى أیه مش هنتقابل تانى؟، قصدك أیه؟

- قصدى أن دى هتكون آخر مرة نشوف بعض فيها

- برده مش فاهمة

يعلو صوته فجأة قائلا في حدة

- هو أیه اللى مش فاهماه بقولك مش هنتقابل تانى، مش هنشوف بعض

تانى، مش هقدر أكمل معاكى، من الأخر قرفت من نفسي

تغادر كرسيها منحنية تجمع ملابسها المبعثرة بادئة في ارتدائها قائلة

- أنا همشى، هكلمك بكرة تكون أحسن

يقبض على يديها ناظرا في عينيهما بتحد قائلا

- لا بكرة ولا بعده ولا أي يوم خلاص أنسى اللى كان

دون مقدمات تصرخ قائلة

- أنسى؟!، ببساطة كده؟، أزاى..؟

- أه ببساطة أنا مبعثش قادر، تعبت، كل مرة بقابل فيها عرفة وعينى تيجى
 فى عنيه بتقطع، بحس أد أيه أنا وضع، خسيس عضيت الأيد اللى أتمدتلى بالخير
 - وهو انت مكنتش بتبص فى عين عرفة ألا النهاردة؟!، مفكرتش أنه
 له فضل عليك ألا النهاردة؟!، كان فى ضميرك أول مرة وأنت بتضحك
 عليا، كان فى وانت بتسحبنى لحد هنا أول مرة
 بلهجة عنيفة

- أنا مضحكش عليكى، مش أنا اللى سحبتك لحد هنا وأنتى عارفة
 - حمل وديع يعنى وانا ضحكت عليك
 - لا ضحكت عليكى ولا ضحكتى عليا بس كفاية بقى، كفاية خيانة،
 كفاية عرف. أفضى عرفة عرف وضعنا هيكون ايه؟
 - سهلة، أطلب الطلاق ونتجوز
 يقترب منها، يهزها من كتفيها قائلًا بحدّة
 - أنتى ايه؟!، شيطان. عرفة ميستاهلش كل ده
 تصرخ فى وجهه صرخة تشق أذنه قائلة

- ولا أنا.. ولا أنا أستاهل كل ده، بتتكلم عن القرف وكأنك لوحك،
 بتتكلم عن الخيانة وكأنك أنت بس الخاين، ناسى أنى زيك، معذور أصلك
 مجربتش أحساس أن واحدة تكون لأكثر من راجل، مجربتش يعنى أيه أكون فى
 حزن راجل المفروض أنه جوزى وعقلي وخيالى مع راجل تانى، مجربتش تكون

في حضنه وتبقى مرعوب أحسن لسانك يخونك وينطق بأسم حبيبك، عايز تعرف
العرف اللى بجد القرف اللى بجد أن العاهرة بقت أنصف منى وأحسن، أهو على
الأقل مبتدعيش حاجة مش فيها

- وأيه اللى جابرك يا أمانى، يبقى خلاص منتقابلش تانى
- مينفعش، خلاص يا على مينفعش، روحنا ماتت يا على، أتمكنت
مننا الحليانة، بقت عايشة جوانا، بقينا عايشين بتتنفسها
- ندى نفسنا فرصة نبدا فيها من جديد. ابدأي مع عرفة من أول وجديد،

وانا أبدأ مع سماح

- أه قول كده.. سماح

- أه سماح

- بص يا على أنت مش نضيف ولا حاجة، ولا قرفت ولا حاجة، وعرفة
وضميرك ميفرقوش معاك، أنت بس كل القضية أنك نقلت العطا، لقيت حد
تانى تتسلق عليه، تبني عليه أحلامك، تمص دمه وتاكل لحمه

ينفعل على بشدة قائلًا

- سماح ملهاش علاقة أنا فعلا تعبت وقرفت منك ومن روى

تصفعه على وجهه فيردها الصفعة فتسقط أرضا نازفة من فمها . تتكور على
نفسها باكية في شده فينحني إليها ليوقفها ماسحا بيده خط الدم السائل من
شفتيها قائلًا

- كفاية يا أمانى، أحنا كده بنصعبها على بعض، أعتبري أن اللي كنا فيه حلم
وصحينا منه، أعتبريه محصلش، فوقى يا أمانى

تنظر مليا في وجهه قائلة

- أعتبره محصلش! تمام، وانت تروح تتجوز سماح، وانا أعيش زي زى أي
عاهرة، بلاش عاهرة، خليها زوجة خاينة فرطت في شرفها. لا يا على أنسي
الكلام ده، أنت ليا وانا ليك..

- لا يا أمانى أحنا مش لبعض ودى آخر مرة هتشوفيني فيها

تزجر

- أنت حر لكن أعمل حسابك أنا مش هسكت ومش هسيبك
للوسخة دى تتهنى بيبك، أنا هقتلها، والله هقتلها، وأن حكم الأمر هقتلك
أنت كمان

يصفعها بقوة قائلًا

- متشتمهاش دى جزمته أنصف منك

تنقض عليه محاولة ضربه فيكبل يدها بيده قائلًا

- ملكيش دعوة بيها، أبعدى عنها

- هقتلها وهقتلك أنت كمان

يتركها جالسا على طرف الفراش لتجلس أرضا معاودة البكاء والنحيب

يستمر الوضع لدقائق لتقف قائلة

- بعد أذنك عايزة البس هدومي

ينظر أليها متعجبا قولها مغادرا الغرفة فتشرع في أرتداء ما تبقى من ملبسها

غير عابثة بالدموع المنهمرة من عينيها لا يشغلها غير الأنتقام من سماح ومن على

الذي يريد مفارقتها...

من دفتر مذكرات دكتورة مريم فاروق

لا أدري من أين يكون البدء. الكلمات تتوه، تتضائل من هول ما قرأت. في عقلي الكثير والكثير لكن جعبة لغتي تضمن علي قلمي أن ينهل منها فيعبر. ظننته في البداية روائي أوحى له خياله بقصة ما فشرع بسطرها على الورق. لكنني فوجئت به يقتطع سرده ليكتب عن نفسه وعن من حوله وكأن عقله صار حافلة ركاب يكب أناس مغايرون مختلفون عند كل محطة وصول، أناس لا يجمعهم شيء سوى أنهم كانوا شركاء حافلة واحدة منذ دقائق، كلياته مكتوبة بمداد العتمة، باهتة، تائهة تهاجم نفسها قبل أن تهاجمك. رفاعي أخرج ثعابينه من جواله دفعة واحدة ليلقيها امام الناس ليغشي أعينهم ويلهب عقولهم ويسلبها فقد السيطرة على أفاعيه فزاد فحيحها ليسود الهرج والمرج والتخبط. لا أعلم إن كان ما يكتبه عن عالمه حقيقي أم أنه من وحي خياله. شخوص وأحداث متداخلة تتعقد دون نظام أو ترتيب وكأنه ضل السرد فبان عورة ما كتب. أجهل أن كان تشابك الأحداث وأمتزاج العالم الذي يكتب عنه بعالمه مقصودا منه أم أن الأمر جاء مصادفة منه دون أن يشعر، لا أعرف إن كان حديثه عن نفسه وعن من حوله قد حدث أم أنه إستكمال لما بدأ من خيال...

ليست الرواية فقط وتداخل أحداثها وتشابكها هو ما يدعو للغرابة والدهشة بل قسوة طريقة قتله لزوجته هي الأغرب والأعجب، طريقة يحسده

عليها صانعو أفلام الرعب والموتى الأحياء ورغم ذلك وجدناه يكتب عنها وعن ما فعل بمنتهى السلاسة والهدوء والظرف أحيانا. المشهد العام يوحى بطريقة قتل أيروتيكية فعلها صاحبها لهوس جنسي في نفسه أو أن زوجته قد خانتها فأراد أن يجرمها من أدواتها ومما يميزها كأثني . ذلك هو التفسير الأقرب والصورة الأوضح لما فعل. لكننا لا بد أن لا نغفل أنه في القديم كانت هناك أديان يقدس فيها فرج المرأة وتديها اعتقادا منهم بأن الفرج هو أصل الحياة والثدى هو ما يجعلها تستمر، فلو كان صاحبنا يقصد هذا من قطعه لنهدى زوجته وغرس سكينه بين فخذيها فالأمر هنا يختلف والأحتمالات هي الأخرى تتغير...

رفعت لم يقتل زوجته فقط بل قتل فيها الحياة بأسرها، أعلن رفضه بتشويه ما يدل على الأستمرارية فيها. كان يستطيع خنقها مثلما قال أو حتى ذبحها لكنه أراد فلسفة عملية القتل، أراد قتل كل شيء فيها، أراد أن يعلن مقتته للعالم الذي يحيا فيه فقتل زوجته وفعل بها ما فعل...

هذا تخميني والذي أراه الأقرب للصواب، هذا إن لم تأت صفحات الرواية المقبلة بما يغير قناعتي تلك. تلك القناعة التي يعززها اختياره لأسم الرواية وعنوانته بها، فتجربة "شرودينجر" وكما نعلم هي تجربة ذلك القط الذي وضعوه في صندوق مغلق ليتساوى لديه أحتمال العيش والموت ويصبح هناك أحتمال ثالث مضاف بأنه لا حي ولا ميت . فاختيار رفعت لهذا العنوان مثال جلي أن حتى الموت عنده أمر نسبي يقبل الأحتمال كما الحياة نفسها، كل شيء عنده غير

حقيقى يقبل الأَحتمال حَتَّى الحقائق المطلقة، حَتَّى العالم الذى يعيشه وهذا ظهر واضحا في جملة التي كتبها بأصبع القتيلة.. " أرسم هذه العوالم وأعيش فيها كما أريد.. كل إختياراتي صحيحة لكنها مع الأسف خاطئة " . فلو أمعنا النظر فيما كتبه لوجدناه يقولها صراحة أن ما من شيء حقيقى حَتَّى العالم الذى يحيا فيه وأن كل شيء عنده يقبل الممكن، والصواب هنا خطأ في موقف هناك حَتَّى النفس البشرية...

فالنفس البشرية يراها رفعت ذنية قبيحة لا تستحق الحياة، شخوص روايته أو حَتَّى من يعيشون حوله والذين ذكرهم في سرده تتملكهم علة نفسية ما تجعل أفعالهم معوجة غير مستقيمة حَتَّى من كان ظاهره أنه معافٍ نفسيا. كل شخوصه سائخة لا تطرح ووجب جزها حَتَّى نفسه. فهو لا يري نفسه بزواج ولا أخ ولا بكاتب غير أنه متصالح مع كل ذلك مستقيم مع دنائته معللا أن ذلك من بدييات الحياة، وهذا ما يفرقه عن البقية، فأمنية زوجته مثلا ورغم يقينها من خيائته ألا أنها لا تستطيع أخذ موقف واحد يحى كرامتها المذبوحة على عتبات غطرسته وخيائته، ترى أنها تحبه رغم تبلد مشاعر وقسوته، وذله لها، وكأنها تتلذذ بتعذيبه وخيائته، نوع من السادية والتمتع بالعنف. تحيا بعذابه وتستمر بخيائته... عليه عشيقته، زوجة صاحب عمره ورفيق دربه والتي دفعت ثمن خطيئتها مقدا. لا أستطيع أن أصفها بالخائنة ولا يصح نعتها بالشريفة فكل ما أستطيع قوله أن ما مرت به يجعل ما هي فيه الآن محصلة طبيعية النتائج. فالعنف الأسري

الذي حيته جعلها تتعلق بشدة بوالدها الطيب الذي لا حول له ولا قوة، وجعلها أيضاً تكره كل زوجة وكل أم تذكرها بوالدها الخائنة والتي لم تكتفى بخيانتها بل ووصمتها بما فيها لتدمر فجأة كل شيء حولها وتهيل عليه الردم، فموت الأب منسحبا في هدوء كما عاش في موت فيتركها بين يديهم لقمة سائغة يلوكونها متى جاعوا وكيفما شاؤوا...

في رأيي أن عليّة عندما خانت لم تكن خيانتها لعجز زوجها الجنسي ولا لرغبتها في رفعت ولا غير ذلك من الأمور . بل كانت خيانتها أنتقاما من كل ظالمها، أنتقاما من الأم والأخ، أنتقاما من أبيها الذي صدق بهتانهم عنها، أنتقاما حتّى من نفسها التي كانت سببا في وفاة أبيها فكانت خيانتها لزوجها الذي لم يشفع له حنوه عليها وحبها لها. أما زوجها، محسن صديق دربه، دكتور الجامعة المتصالح مع علة جسده والذي تربي يتيها هو وأخته ليواجه القهر داخل البيت وخارجه، فكبر ساخطا على كل شيء حتّى على كنيسته، يعيش معزولا في جزيرة وحدته عن من حوله رغم قربه منهم مكتفيا برمي حجر في المياه الراكدة ليعاود بعدها العزلة، يعطف على الجميع وهو في أشد الحاجة للعطف، يؤمن بالأخر الذي يرفضه فيزداد شعوره بالعزلة والعجز. متدين لدرجة أنه رغب في الرهنة ألا أن زواجه وقف حائلا أمام ذلك، وهذا ما أوجع غضبه من كنيسته...

أما سامح أخو رفعت العاشق المتخاذل المستسلم لشر رفعت وقهره والذي يرى في تخاذله تضحية. يعارض وينقد ولا يجد مانعا في أن يتوسط أخيه له ليفرج

عنه لينكر تلك الوساطة ويرفضها. يجهر بحبه لزوجته أخيه ثم يرجع ليؤكد
تضحيته ويؤكد صمته واستسلامه. ومثل سامح يكون جوزيف ذلك الشاب
الساحط الكاره لكل شيء والذي يري في نفسه ضحية لأفكار مجتمع عنصري
ورغم ذلك تجده يتبنى مثل تلك الأفكار وأكثر منها...

هذا الواقع الذي يعيشه رفعت والأفراد الذين حوله أما أشخاص روايته
فحدث ولا حرج فهناك عرفة نقيضه في كل شيء، شخصية مائعة السرد لم يظهر
تكوينها إلى الآن حتى أستطيع الحكم عليها وكأنه ارادها كذلك حتى يثبت لنفسه
وللبقية أنه على صواب وأن نقيضه المحترم المعارض المحافظ على كلمته وحق
قرائه مائع غير واضح نخونه زوجته أمانى وتلميذه "على" الذي قتلوا أباه أمامه
وفارقتة أمه وجاء الأمن لقتل ما تبقى فيه فخرج للحياة مخوخا فارغا متسلقا
يعرف من اين يؤكل الكتف...

ومثل على تأتي "ساح" أخت عرفة والتي تعرف بخيانة زوجة أخيها
ورغم ذلك تتغاضى عن الأمر بل وتوافق على الزواج ممن يخونه...
في النهاية ما كتبتة هو نتاج ما قرأته من صفحات ولربما تأتي صفحات
أخري بالجديد الذي يجعلنى أعيد النظر فتملكنى قناعات جديدة غير التي
كانت...

مريم فاروق

أيها الموت، كعادتك، غادر مخادع،
نزالك لا شرف فيه ولا مروءة،
تأتيني وقت ضعفي،
فإن كان لا شئ ينقذني منك..
فاعاملني ولو مرة كما ينبغي،
وواجهني إن استطعت.

" رفعت "

أنا رفعت الموس أردت كل شيء وفرطت في كل شيء. أردت الصديق فأهدرت كرامته، أردت الحبيبة فختتها، أردت الحياة فعشتها بقلب ميت لا ينبض، أردت أن أعطي فصرت لا أعيش إلا لأن أُخذ، وسأظل أريد وسأظل أفرط إلي أن تأتي النهاية التي سأكتشف فيها أني كنت أركض في الطريق الخطأ، سأكتشف أن كل ما بنيت من قلاع ومن حصون كنت قد بنيتها علي أرض هشّة يموج تحتها بركان غاضب يوشك أن ينفجر. سأموت مندهشا متعجبا لأنه لو واتتني الفرصة ورجعت مرة أخرى وعدت فسأعاود الركض في نفس الطريق معاودا البناء في نفس البقعة منتظرا إنفجار البركان وسلام الموت...

تلك هي الحياة التي ليست أكثر من منافسة غير شريفة يريد فيها كل منا أن يكون المجرم لا الضحية وكنت أنا المجرم لأنني كنت أقل من تمسك بمبادئه بل كنت أول من إفتش بها علي قارعة الطريق لبييعها لأول من أراد شرائها. تتعجبون من شري!. خذوا بنادقكم وكذلك باقي أدوات صيدكم واستعدوا لرحلة صيد طويلة عميقة بأدغال أنفسكم، اقتلوا فيها كل ما يقابلكم من شر . ستفاجأون أنكم لم يعد لديكم شيئا ليحيا . فأنتم بلا شر محمية متحجرة خالية من أي حياه فلا شر مطلق ولا خير مطلق كل شر فيه شيء من خير وكل خير فيه شيء من شر لذا لا تحاولوا أن تنزعوا من قلبكم شركم، حتّى لا يُمحيي الخير دون أن تدروا . أما أنا فأنا لست كغيري، لست مثلكم، ففي نفسي قد حسمت الحرب

رغم عدم إعلان المنتصر، فالمعارك تبدأ وتنتهي لتصنف من هو الباقي ليس إلا، ولقد بقي في نفسي الشر وسيطر. ذلك الشر الذي لن يستسلم أبدا، ولن يُلقِي سلاحه ويغادر إلا بلفظ آخر أنفاسي، شر لا يعرف الصلح أو المهادنة ولا الوقت المستقطع...

أنا رفعت الموس أكثركم بطولة ومجدا.. أنا الذي يحتضن ذنبه بقلبه، أنا الذي يكتب شره بيده، أنا الذي يعلم أنه عاري الشرف.. من منكم مثلي يري سوته فلا يقطف من أوراق الشجر فيداريها. زيتتكم باهتة وورق شجركم رقيق شفاف يفضح أكثر مما يستر، لذا لا تطلبو مني الفضيلة يا سكان مدينتها، فالفضيلة التي أراها فيكم نوعان، نوع تنصحون به دون أن تمارسوه أو تطيقوه ونوع آخر تمارسوه لكن بتأفف منتظرين أول فرصة للإستغناء عنه.. أنا لا أطيق فضيلتكم ولا أريدها...

أعلم أن روايتي لا تعجبكم، أعلم أنكم تستنكرون الكلمات القبيحة والخيانات الفجة عندما تقرأوها علي الورق لكنكم في الخفاء أهل لها، فما كتبتة هو غرسكم، وما سطره قلمي وصنعه خيالي هو زرعكم. ما فعلت سوي أني عرضت عليكم بعضا من حصادكم، فإن رأيتموه غير لائق منافيا الذوق العام فلا تلموموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمحرضكم ولا أنتم كتمت تنتظرون تحريضي...

أيها الخائنون تلك هي دنياكم، إخشوا فيها ولا تكلمون . تلك هي أقاصيصكم أنا فقط وضعتها بين أيديكم. لذا سأكتب، سأعريكم، سأضع

أرواحكم الخبرة المحملة بقباحات الدنيا على طاولة أوراقي، سأشترحها بمبضع قلمي، سأكتب وسأكمل روايتي إلي آخرها وسأبوح بكل شيء رغم أنني أعرف أنني أتكلم وأكتب خشية أن يأتي دوري لأستمع إلي حق فأتعلم منه فأصير إنسانا فاضلا، أنا لا أريد أن أكون إنسانا فاضلا...

سيموت عرفة الزاهد، سأجعل الموت يأتيه ليزحف علي جسده شبرا شبرا فترتعد فرائضه، سأجعله يتعذب في مشهد درامي يلفظ فيه أنفاسه بصعوبة. سأجعل الموت يأتيه فجأة دون سابق إنذار هذا بعد أن يري أماني تخونه مع عليّ دون أن يروه...

سيراهم وهو علي فراش الموت ممدا مهيا له، واقفين جنب بعضهم البعض، سيصير المشهد كاملا، سيدرك الحقيقة دون زيف أو رتوش. سيحاول أن ينطق إلا أن الكلمات سترفض، سيحاول أن يصرخ فيهما مخبرا إياهم أنه قد كشفهم وبانت له خبيثتهم إلا أن الصرخة ستعصاه، حتى عينيه ستحتبس فيها الكلمات حبسة أخيرة خلف أسوار الموت وجدرانه . ستصرخ روحه الغاضبة بأن الكل خانته الصديق قبل الحبيبة، الحياة قبل الموت. سيري الموت مقبلا في موكبه القدسي، يعبر الجسر في مهابة من شط إلي آخر، يراه باهتا مقفرا خاليا من كل الألوان. رايات سوداء ودخان يعم المشهد بالكامل. وبرغم أنه كان يخاف الموت ولا يريد، صار الآن يستحسنه، يعاتبه الموت علي تأخره، يواسيه لمعرفة الحقيقة التي كان لا يريد أن يراها حتى يموت مغفلا مرتاحا كما عاش، فيعاتبه عرفة علي

إتيانه دون موعد مسبق وأنه كان يريد أن يُمهّل ليوم آخر يخبرهم فيه بأنه قد عرف
خيانتهم...

ستزوغ عيناه لتتوه منها الحياة رويدا رويدا حتّى تأفل شمسهِ وتغرب.
فتنطفئ الحياة التي كانت له كما الشعلة التي إحترق عمره كله بنارها ولما إنطفئت
غاب نورها عنه فمات تائها في ظلمة حالكة. الحياة لا تعرف الضعفاء وعرفة كان
ضعيفا هشاً دخل أتونها فأنصهر وداب...

وسيجد عليّ نفسه واقف في أصعب قضاياهِ ففضية الموت ليست علي
الإطلاق قضية الميت إنها قضية الباقين. سيجد نفسه واقفا بمسافة متساوية بين
إمرأة يريدُها وإمرأة تريده، إلا أن سماح ستحسم أمره، ستسحب من المشهد
حزنا علي أخيها واعتراضا علي ميتته البائسة، فلا يجد عليّ أمامه إلا أمانِي
فيتزوجها ليصبح لها رجلا شهما قويا يحميها من كل رجل إلا من نفسه، لينعما
سويا بحياةٍ صنعها عرفة فتنامت وكبرت حتّى صارت وحشا فأكلته...

تلك هي الرواية وتلك هي الخاتمة التي سأنهيها بها. أعلم أن تلك النهاية
ليست علي هواكم، لكن وكما تعرفون فبعض النهايات مرة كما القهوة لكنها
تجعلك مستيقظا نهباً. وأظن أن هذا أفضل مما كنت أريده لعرفة الزاهد وأحتفظ
له به في آخر الأمر، ففي الخاتمة الأساسية كنت قد نويت واستقر بي الأمر أن
أجعله يقابل أحد الدراويش إثناء توجهه للجريدة وبطريقة ما سيتصطدما مما

سيجعل الدرويش يقع علي الأرض مصابا فيدعو عليه أن يرزقه الله التيه وتضيع نفسه منه...

وبسبب غرابة الدعوه تسيطر علي عرفة فيظل يفكر فيها كثيرا إلي أن يأتي الليل فتأتيه قوة أمنية من الأمن الوطني لتعتقله. وفي الإعتقال يذهب عقل عرفة وتصيبه جنة فتطلب أماني الطلاق لتتزوج من علي بعدها مستحوذة على كل ما لدى عرفة من مال...

كانت تلك هي الخاتمة التي قد خططت لها بادئ ذي بدء لقناعتي أن عرفه ومن مثله من من يسرون في دنياهم حاملين علي أكتافهم قيمهم ومبادئهم لابد أن يصابوا بالجنون حتما. فالمجنون هو من رفض أن يتخلي عن قناعاته فاصطدم بأرض الواقع. هل رأيتم أحدا مرة استطاع أن يُقنع مجنون؟! . إلا أني قررت أن أكون رحيما بعرفة فاكتفيت بموقف الدرويش وموته وانسحابه من حياة غير قادر بمسايرتها...

سيموت عرفة وتتزوج أماني من علي وستكتب كلمة النهاية وسأسلم الرواية إلي دار النشر...

دعوني الآن أغفو وفي الصباح أكمل ما تبقي من الرواية . فلتفسحي لي يا زوجتي الحبيبة حتى أهنأ بوصلة نوم ولو لساعة...
تصبحين علي خير...

الفصل الثاني

**لا تجهد نفسك في الترحال باحثا عنها
مهما رحلت لن تجد شيئاً في الجانب الآخر
لا أرض جديدة
ولا حياة غير الحياة ،،
لن تجد هناك سوى نفسك
التي رحلت معك لحظة هروبك منها**

(١)

أين أنا.. ما الذي جاء بي إلي هنا.. تلك الغرفة أعرفها، لا أدري سببا
لمعرفتي تلك، لكنى أعرفها. ذلك البورتريه المعلق علي الحائط، تلك التسريحة وما
عليها من أدوات تجميل، خزانة الملابس، كل تلك الأشياء أعرفها، كأني الذي
إخترتها، واخترت ما فيها، ورغم ذلك هي ليست غرفة نومي . آخر ما أذكره أني
كنت أكمل تلك الرواية النجسة بعدما أخذت ذلك القرار المصيري بموت عرفة
الزاهد في أحداثها ليصبح الجو خاليا لزوجته أمانى وعشيقها عليّ، وبعد أن جف
القلم من الكلمات توجهت إلي فراشي لأنام . ومن هنا أتاني النوم العميق.. فعلي
مذبح القرار دائما ينام الناس نوما عميقا، لكن مهلا.. هذه ليست أمنية...!!

نعم ليست أمنيه رغم الشبه الواضح بينهما إلا أنها ليست زوجتي. تشبهها
نعم وإلي حد كبير، لكنها ليست هي . وبغض النظر عن هذا كله كيف لها أن تنام
جوارى علي هذا النحو . مالذي يحدث ومن جاء بي وبها إلي هنا...

الأسئلة تنهش عقلي في تلذذ، تنبح كما الكلاب المسعورة، تنازعني باحثة
معي عن إجابة، شيء غريب قد حدث، هذا ليس طبيعيا . لا يوجد تفسير سوي
أنى في حلم وقريبا ما سأستيقظ منه لأجد نفسي في غرفتي علي فراشي مستلقية
جوارى أمنية...

لا أدري سبب خوفي وهلعي علي هذا النحو، فالأولي بالملع هي،..

تتململ الآن في بطن متقلبة علي الجنين وكأن لا شيء يشغلها، فتحت عينيها إلا أنها كما هي لم يصدر عنها أي رد فعل ينبئ أن هناك شيئاً غير طبيعي يحدث، وكأنها أعتادت النوم جواري . وبكلمات إستدعيها مقاومة من بئر سحيق يأبى أن يملأ فمي سألتها: إنتي مين..؟

كان صوتي رغماً عني مضطرباً حين لفظتُ هذه الكلمات، ولهذا أطالت النَّظْرَ إليّ، من عينيها عرفت مدي إضطرابي، رأيت صفار وجهي فيهما وعريقي المتصبب على جبيني والذي مسحته بيديّ لا إرادياً ودون قصد، جوابها في البداية كان صمتاً وتحديقاً مستمر وكأنها تستشف ما وراء سؤالني لتجيب بعدها: مين يعني إيه؟ أنا أماني مراتك!. مالك يا عرفه إنت حاسس بحاجه؟، في أيه...؟

عزمت التظاهر بالتجاهل حتّى لا يفطن حلمي أني خائف فيزيد من جرعات هلعه ويطول فلا أستطيع الإفلات من برائنه. تركتها لتُكمل نومها خارجاً من تلك الغرفة متحسناً خطواتي التي لم أكن في حاجة لتحسسها، أعرف تفاصيل ذلك البيت كما أعرف خطوط كف يدي، فأنا من وصفته بكل ما فيه وهذا يفسر شعوري وارتباطي بقطع الأثاث المتناثرة هنا وهناك وعدم إستغرابي لها...



الآن أيقنت أنه حلم سخيـف سرعان ما سأستيقظ منه وأن التي
 كانت جوارـي هي بلا شك أمانـي، تلك الخائـثـة زوجة عرفة الزاهد بطل
 روايتي المأفون. الآن عرفت أني أحلم وأنـي الآن في عالم عرفة أحل محله.
 يحدث هذا كثيرًا عندما تسيطر الرواية علي كاتبها، تسيطر عليه لدرجة أن أحداثها
 تطارده في الأحلام قبل اليقظة. ألم تقرأوا عن كاتب توحد مع بطل عمله؟. أحيانا
 يتوحد القارئ أو المشاهد مع ما يقرأه أو يشاهده فما بالكم بالكاتب الذي
 يكتب...!؟

طويل وسخيـف ذلك الحلم فعلا، وإن كان هناك فائدة منه تُرجي فـهي
 التأكيد والإقرار بعـبـقـريـتي التي جعلته حيّ ملء بكل تلك التفاصيل التي تجبرك
 أن ترفع القبعة تبجيلا وتنحني إحتراما للعقل الذي كتب وأعد وأخرج. كل شيء
 حقيقي وواقعي حتّى الألم الذي شعرت به حين خطئي ووقوعي متعثرا من علي
 درجات السلم فخطأ العثرة ألمني، ذلك الألم الذي يهز، ويحرك ويجرد، ويوقظ من
 تلك الأحلام السخيفة إلا أني لم أستيقظ...

رجعت إليها، أيقظتها برفق لأسألها: هو أنا بشتغل صحفى صح؟
 نظرت ألى في أستغراب وتمعن قائلة: لا رئيس جمهورية، بتهزر صح؟،
 واضح يا عرفة أن ليك مزاج تتأخر عن الجورنال.
 تركتني مغادرة فراشها لما أيقنت أن النوم جفاها، يقولون أن أول ثلاث
 ثواني بعد الإستيقاظ يصير المرء فيهم فاقد للذاكرة هذا غير نسيانه لكثير من

الأحلام التي رافقته إثناء نومه، أتمني أن أستيقظ ناسيا ذلك الحلم بكل ما فيه من واقع مرعب، فكل شيء كما وصفته حتّى حجرة مكتبه التي أنا فيها الآن، نفس الكتب علي الأرفف، نفس الأسماء ونفس المؤلفين، حتّى المكتب وما عليه من كاسة للأقلام وفتّاحة أظرف وأباجورة كلاسيكية أقرب لعصر النهضة الأوروبية والتي تُشبهه صاحبها في قَدَمِهِ كما كتبت. كل شيء كتبه علي الورق صار ملموسا وواقعا، حتّى الورق الذي بين يديّ، أذكر أني قد كتبت أن عرفة الزاهد سيموت قبل أن ينهي روايته التي يكتبها والمفروض أن ذلك الورق الذي بين يديّ الآن هو تلك الرواية التي لن تكتمل...

أمعقول هذا؟!، هناك حلم يحوي كل تلك التفاصيل والواقعية، حتّى الرواية التي يكتبها موجودة!. نعم أعرف لأنني من كتب هذا، كتبت أن عرفة الزاهد روائي مرموق يسطر رواية لن يُكملها، لكن ليس لدرجة أن يكتب فعلا رواية. الغريب أن عنوان الرواية هو نفسه عنوان روايتي، والأغرب أنه يكتب رواية عن روائي خبيث يدعي رفعت الموس...!!

الخوف يقتحم قلبي متسللا في خفوت دون إرادة مني في صده. الأفكار تتشابك في رأسي تقيدني تكبل وتشل حركتي، تجعلني سجين الحيرة التي تنهش عقلي هي الأخرى كما الأسئلة التي تسقط من ذاكرتي المنهكة لتزدحم في مخيلتي. عدت لا أرى ولا أعي شيئا. صمذت، تحاملتُ على نفسي عليّ أستطيع فك قيودي، هدأتُ من روعي. تصفّحت الورق مرة أخرى. هو فعلا يكتب رواية

عن روائي إسمه رفعت الموس متزوج من أمنية التي يخونها مع عليّة أو لي كما تحب أن تُنادي. الحيرة تخنقني، تحاصرني من كلّ الجهات، الأفكار تتردّد في أعماق رأسي المسحوقة، تتلوّى كما الثعبان، تأبّي السكوت والرضوخ، تعاند، لا تقبّع في مكان واحد، لا شكل محدد لها، هلامية، وكأنها تعرف أنني أريد أمساكها وأحكام سيطرتي عليها لذلك تصمد، وتهاجم، وتقاتل ككتلة واحدة حتّى لا يسقط أحد منها في الأسر...

ناديت عليها فزعا فدخلت إلى ملهوفة فزعة قائلة: إيه في إيه؟

- إيه الورق ده؟

دون أن تتقدم أكثر لفحص الورق ودون حتّى أن تأخذه من يدي أجابت:

دى الرواية يا عرفة اللي بتكتبها إيه في إيه مالك؟!؟

- إنتى عارفة بتحكى عن إيه؟

- يعنى إيه عارفة بتحكى عن إيه؟!؟

- إيه الغريب في السؤال يا.. أمانى جاوبى على أد السؤال

بلعثمة ناتجة عن صدمة لما يحدث أجابت: بتحكى عن واحد كاتب أسمه

رفعت الموس بيخون مراته..

سقطت على أقرب مقعد كما الحجر الذي أسقط من علي، أقتربت منى

واضعة يدها على جبهتي تتلمس حرارتي قائلة: عرفة إنت كويس؟، حاسس

بحاجة؟ أتصل بالدكتور..؟

أجبتها أنى على ما يرام وفي النهاية اقتنعت لتتركنى مغادرة حجرة المكتب.
 من منا الحقيقي ومن منّا الذي علي الورق، من خالق من؟، أهو حلم تحول لأبشع
 كوابيس الحياة وفي النهاية سأصحو منه أجلا أم عاجلا، أم هو واقع قد كُتب عليّ
 عيشه...

أنا رفعت الموس، روائي يعمل بالصحافة أحر أعماله غير المكتملة رواية عن
 روائي مشهور يدعي عرفة الزاهد متزوج من خاتنة تدعي أماني. كيف لي فجأه أن
 أنتقل إلي الورق فأصير عرفة الزاهد الذي يكتب رواية عن روائي يدعي رفعت
 الموس. الحيرة لا تكتفي بعقلي مُحكّم قبضتها حتّى علي لساني، فتحت باب فمي
 عنوةً فهرب كل الكلام من بين شفتيّ. من منا الحقيقي، من يكتب من، من خلق
 من وصنعه من خياله ليجعل منه شخصا علي ورق. أين أنا ومن، ومن الذي جاء
 بي إلي هنا...؟؟

(٢)

أين أنا.. ما الذي جاء بي إلي هنا.. أعرف تلك الغرفة جيداً، ولا أدري كيف أعرفها. كأني نمت بها قبل ذلك.. ذلك البورتريه المعلق علي الحائط، تلك التسريحة وما عليها من أدوات تجميل، خزانة الملابس، كل تلك الأشياء أعرفها، وكأني الذي إخترتها، واخترت ما فيها، ورغم هذا هي ليست غرفة نومي. نعم ليست غرفتي، أخر ما أذكره ذلك الدرويش الذي صدمته في غفلة مني ودعوته الغريبة. رجعت إلي بيتي متوجهاً إلي فراشي لأنام. وبسبب دعوة ذلك الدرويش وقرار التضييق عليّ والذي كان مفاده قرار آخر بالسفر أتاني النوم العميق، فعلي مذبح القرار ينام الناس نوماً عميقاً. لكن مهلاً هذه ليست أمانى ... !!

نعم ليست أمانى رغم الشبه الذي بينهما إلا أنها ليست زوجتي. تشبهها نعم وإلي حد كبير، لكنها ليست أمانى. ويغض النظر عن هذا كله كيف لها أن تنام جوارى علي هذا النحو. مالذي يحدث ومن جاء بي وبها إلي هنا...

الأسئلة تنهش عقلي في تلذذ وتنبح كما الكلاب المسعورة، تنازعني باحثة معي عن إجابة، شئ غريب حدث، كل هذا ليس طبيعياً. لا يوجد تفسير سوي أني في حلم وقريباً سأستيقظ منه لأجد نفسي في غرفتي علي فراشي مستلقية جوارى أمانى. لا أدري سبب خوفي وهلعي علي هذا النحو، فالأولي بالهلع التي تتململ الآن في بطء متقلبة علي الجنين وكان لا شيئاً يشغلها، ورغم أنها فتحت

عينها إلا أنها كما هي لم يصدر عنها أي رد فعل ينبع أن هناك شيئاً غير طبيعي يحدث، وكأنها معتادة علي النوم جواري. وبكلمات إستدعيتهما مقاومة من بئر سحيق يأبي أن يملء فمي سألتها: إنتي مين..؟

كان صوتي رغماً عني مضطرباً حين لفظتُ هذه الكلمات، ولهذا أطالت النَّظْرَ إليّ، عرفت من عينها ما أنا فيه من إضطراب، رأيت صفار وجهي فيها وعروقي المتصبب على جبيني والذي مسحته بيديّ لا إرادياً ودون قصد، كان جوابها في البداية صمت، وتحديق مستمر وكأنها تستشف ما وراء سؤالِي لتجيب بعدها: مين يعني إيه؟ أنا أمنية مراتك، مالك يا رفعت إنت حاسس بحاجه، في إيه؟

عزمت التظاهر بالتجاهل حتّى لا يفطن حلمي أني خائف فيزيد من جرعات هلعه ويطول فلا أستطيع الإفلات من برائنه. تركتها لتُكمل نومها خارجاً من الغرفة متحسناً خطواتي التي لم أكن في حاجة لتحسسها فتفاصيل المكان أعرفها كما خطوط كف يدي، فأنا من وصفته بكل ما فيه وهذا يفسر شعوري وارتباطي بقطع الأثاث المتناثرة هنا وهناك وعدم إستغرابي لها ...

الآن أوقن أنه حلم سخييف سرعان ما سأستيقظ منه فتلك التي كانت جواري هي بلا شك أمنية، تلك الحاملة زوجة النجس رفعت الموس بطل روايتي المأفون. الآن عرفت أني أحلم وأنني الآن في عالم رفعت أحل محله. يحدث هذا كثيراً عندما تسيطر الرواية علي كاتبها، تسيطر عليه لدرجة أن أحداثها تطارده في

الأحلام قبل اليقظة. ألم تقرؤا عن كاتب توحد مع بطل عمله؟، أحيانا يتوحد القارئ أو المشاهد مع ما يقرؤه أو يشاهده فما بالكم بالكاتب الذي يكتب...؟!
 طويل وسخيف ذلك الحلم فعلا، ملئ بالتفاصيل. كل شئ حقيقي وواقعي حتي الألم الذي شعرت به حين خطئي ووقوعي متعثراً، فخطأ العثرة آلمني، ذلك الألم الذي يهز ويحرك ويجرد ويوقظ من تلك الأحلام السخيفة إلا أني لم أستيقظ...

رجعت أليها، أيقظتها برفق لأسأها: هو أنا بشتغل صحفى صح؟
 نظرت إلى في أستغراب وتمعن قائلة: لا رئيس جمهورية، بتهزر صح؟،
 واضح يارفعت إن ليك مزاج تتأخر عن الجورنال.

تركنتى مغادرة فراشها لما أيقنت أن النوم جفاها، كل شئ كما وصفته حتي حجرة مكتبه، نفس الكتب علي الأرفف، نفس الأسماء ونفس المؤلفين، حتي المكتب وما عليه من كاسة للأقلام وفتاحة أظرف وأباجورة تمثل قبح نفس صاحبها. كل شئ كتبته علي الورق صار ملموسا وواقعياً، حتي الورق الذي بين يدي، أذكر أني قد كتبت أن رفعت الموس سيموت قبل أن ينهي روايته التي يكتبها والمفروض أن ذلك الورق الذي بين يدي الآن هو الرواية التي لن تكتمل. أمعقول هذا!، أهنالك حلم يحوي كل تلك التفاصيل والواقعية، حتي الرواية التي يكتبها موجودة. نعم أعرف لأنني من كتب هذا، كتبت أن رفعت الموس روائي

حيث يسطر رواية لن يُكملها، الغريب أن عنوان الرواية هو نفسه عنوان روايتي. والأغرب أنه يكتب عن روايتي يدعى عرفة الزاهد...!!

الخوف يقتحم قلبي متسللاً في خفوت دون إرادة مني في صده. الأفكار تشابك في رأسي تقيدني تكبل وتشل حركتي، تجعلني سجين الحيرة التي تنهش عقلي هي الأخرى كما الأسئلة التي تسقط من ذاكرتي المنهكة لتزدهم في مخيلتي. عدت لا أرى ولا أعي شيئاً. صمذت، تحاملت على نفسي عليّ أستطيع فك قيودي، هدأت من روعي. تصفحت الورق مرة أخرى. هو فعلاً يكتب رواية عن روايتي إسمه عرفة متزوج من أمانى...!!

الحيرة تخنقني، تحاصرني من كل الجهات، الأفكار تتردد في أعماق رأسي المسحوقة، تتلوى كما الثعبان، تأبى السكوت والرضوخ، تعاند، لا تقبح في مكان واحد، لا شكل محدد لها، هلامية، وكأنها تعرف أنني أريد أن أمسكها وأحكم سيطرتي عليها...

ناديت عليها فزعا فدخلت إلى ملهوفة فزعة هي الأخرى قائلة: إيه في إيه؟

- إيه الورق ده؟

دون أن تتقدم أكثر لفحص الورق ودون حتى أن تأخذه من يدي أجابت:

دى الرواية يا رفعت اللي بتكتبها إيه في إيه؟!

- إنتى عارفة بتحكى عن إيه؟

- يعنى إيه عارفة بتحكى عن إيه؟!

- إيه الغريب فى السؤال يا.. أمنية جاوبى على أد السؤال
 بلعثة ناتجة عن صدمة لما يحدث أجابت: بتحكى عن واحد كاتب
 أسمه عرفة الزاهد بتخونه مراته ..

سقطت على أقرب مقعد كما الحجر الذي أسقط من على، أقتربت منى
 واضعة يدها على جبهتى تتلمس حرارتى قائلة: رفعت إنت كويس؟ حاسس
 بحاجة؟، أتصل بالدكتور..؟

أجبتها أنى على ما يرام وأنه بعض الصداع الذي يمسك بتلايب رأسى ولا
 يريد تركها وفى النهاية اقتنعت لتتركنى مغادرة حجرة المكتب...

من منا الحقيقي ومن منا علي الورق، من خالق من؟، أهو حلم تحول لأبشع
 كوابيس الحياة وفى النهاية سأصحو منه أجلاً أم عاجلاً، أم هو واقع قد كُتب عليّ
 عيشه...

أنا عرفة الزاهد، روائي يعمل بالصحافة أحر أعماله غير المكتملة رواية عن
 روائي متسلق يدعي رفعت الموس، متزوج من أمانى. كيف لي فجأه أن أنتقل إلي
 الورق فأصير رفعت الموس الذي يكتب رواية عن روائي يدعي عرفة الزاهد.
 الحيرة لا تكتفي بعقلي بل تنخر عظامي التي يسمعها عقلي الآن تنن وتشتكي،
 تُحكِم قبضتها حتى علي لساني، فتحت باب فمي عنوةً فهرب كل الكلام من بين
 شفتي. من منا الحقيقي، من يكتب من، من خلق من وصنعه من وحى خياله
 ليجعل منه شخصا علي ورق. أين أنا ومن، ومن الذي جاء بي إلي هنا ...

(٣)

أهناك أبشع من أن تتعامل مع البهتان علي أنه حقيقة مطلقة؟، تصبح مجبرا علي العيش في الزيف والإيمان والتصديق به والوقوف في صف جنده لنشر دعوته والزود عنه. يحاول قلبك التملص والرفض والمقاومة فتجد الجميع له بالمرصاد حتىّ عقلك!. تسأل نفسك ماذا جري؟!، لم أكن أبدا فريسة، لم صار لزاما عليّ مراوغة الصياد وتجنب شبابه...!؟

كل شيء حولي حقيقي بطريقة تدعو للجنون. أمانى حقيقة، سماح حقيقة، الجريدة حقيقة، عليّ حقيقة، البواب، سائق التاكسي، صاحب الكشك. كل شيء حقيقي، فقط أنا الزائف. أنا من صنعتهم وجعلتهم أناسا. أنا من وهبتهم الوجود. الآن صار كيانهم يهدد وجودي، وكأنها كنت أخلق وحشا وعندما حرّكته غريزة إفتراسه إلتهمني. كلكم تريدون مني شيئا، تريد أمانى الشهرة، أن يرتبط إسمها بإسم روائي إسمه مردد في كل الأنحاء، فزوجة الراهب بالأحري قديسة، ورفيقة درب المفكر غالبا مختلفة. وعليّ يريد المتعة يغب منها وقت ما أراد ولا بد أن أغفل عنه حتىّ لا ينسد نهر شهوته. وسماح تريد القوة والسند ولا ييمها ماذا أريد، لا تفكر حتىّ أن قوتي تتلاشي بنخرهم في عرش مكاتي. جميعكم خونة تريدون الرحمة بينما القسوة تغلف قلوبكم، تمدون أيديكم، تنهشو من لحمي لتقتسموه بينكم ملتسمين مني القوة، تملؤون كؤوسكم من دمي فتتجرّعون شر في

في أكواب ضعفكم. تقدروني في العلن وتوقروني، تجعلوني نصب أعينكم جهرا حبا وتبجيلا وفي الخفاء تتناوبون علي طعني . مغفلون تظنون أني لا أراكم. أنا الآن أبصر وأري، أنا لست كعرفة، أنا رفعت الموس، جاءكم من صنعكم بيديه وسواكم ومن غيري أدري بنقاط ضعف صنّعه، جاءكم من نفخ فيكم من روح خياله، جاءكم من يعرف خباياكم أكثر منكم. لا داعي للترين فزيتكم باهتة، وقناعكم فاضح لا يستر شيئا...

كنت أري نفسي إلهًا، يهب الحياة لمن أراد. لم أكن أعرف أن طردي من كتابة الواقع ودخولي لعالم صنّعه هو الجحيم بعينه وكأنه آن الأوان لأحصد ما غرسته يداي ولوثة عقلي. لم أكن أعرف أن كل الشخصيات التي خلقها خيالي وكساها قلمي دعيّة مريضه دنية بهذا الشكل. لو كنت أعرف أني في يوم سأحمل عنها ذنبها ما كنت خلقتها ضعيفة رخوة. أمانى تقبل يديّ قبل خدي ولا يخلو لها النوم إلا ورأسها علي صدري وكأنها لم تضع رأسها علي صدرٍ غيره. تدعوني لمقابلة علي الفراش وكأنها جاءت من صحراء قاحلة تستنجد بيائي الذي سيحييها. معذور يا عرفة فقد زوجتك من شيطانة تستحق الأوسكار علي كل مشهد تعيشه لتبيع لك فيه الشرف والوهم. عليّ يقابلني مهللة أساريره، يراني عن بعد فيفتح يديه راغبا في احتضاني. يسأل عن صحتي، يعاتبني علي عدم إتصالي به. يتوهم أني لا أري دم غشاء شرفي الملطخ علي ثوبه المحنّاة به يده. تهازني سماح، توصيني بزوجتي وتستفسر عن صحتها، تنتظر الجديد في أمرها مع عليّ . سألتها عن رأيها

في أمني فكان جوابها.. إنت بس اللي دايم مشغول عنها، حاول تتقرب منها أكثر، دي بتحبك . ملعونة أنتي الأخرى يا سماح تضعين القاعدة وتطلبين مني الإعتبار بها. أو هذا مبررا لكل من إنشغل عنها زوجها، أو صار واقعا أن كل من إنشغل زوجها عنها فلا مؤاخذه عليها إن خائته..!؟

ظلمتك يا عرفة حينما جعلت منك طيبا متسامحا في زمن مسخ قمى لا يحترم طبيتك ولا تسامحك. أخطأت في حقك لما حكمت عليك بالطرد من مخيلتي والنزول لأرض الحفارة والدياثة والمجون والجنون أحيانا. وكان الطيبة والتسامح كانا لك دين وعقيدة أجمتك بهما دون أعطائك سلاحا تدافع به عن نفسك وعن شرفك المهدر علي عتبات الخائنين والبغايا في أرض الدنس. جعلتك ضعيفا ووضعت لك ميثاقا ومنهجا لا تتخطاه ثم أتى لأحاسبك على ما أقرفته يداك لتدافع به عن نفسك، تخطى فأتوعدك بالعقاب تتخلي عن طبيتك وتسامحك فأرميك بالألحاد والهذيان ومخالفة طبيعتك الحسنة...

الغريب في الأمر أي من سويعات قليلة كنت أجد للخيانة مبررا وللفسوق عذرا. كنت أري أن إعتلائي لزوجة صديقي لا ضير منه ولا كراهة طالما أن محسن لم يحسن الركوب. كنت أري أن ليس من حقه الغضب علي شرفه وفراشه الذي جامعت عليه زوجته. الآن أنا الغاضب المستشيط الذي إتخذ من الإنتقام فريضه سيتمها برميهم بجمر غضبه. أحيانا يسؤل لي عقلي الصمت ويزينه لي، فأمانى ليست زوجتي، وهذا ليس بصديقي ولا هذه أختي، أنا كما أنا، رفعت

الموس متزوج من أمينة، صاحبي محسن وأخي سامح لكنني سرعان ما أترجع عندما لا أجد إجابة لسؤال أسأله لنفسي. ماذا لو كنت فعلا عرفة الذي يكتب رواية عن رفعت الموس فتأثر ببطله فتقمص شخصه بضع من وقت؟! . الأسئلة في عقلي كالحمم، تحفر لنفسها مكانا لتصل إلى لساني علها تجد لها سدا من إجابات. من أنا؟، كيف جئت إلي هنا، أنا غير مناسب لذلك العالم. أنا من صنعته، أنا سيده وحاكم أمره، مناصه بيدي فمن جاء بي إلي هنا، وما الغرض الذي جئت لأجله، أنا رفعت الذي وهب أناسا الوجود حين جمعهم في رواية مستحضرهم من خياله؟، وشاءت المقادير أن يصبح بينهم أم أني عرفة الذي يكتب رواية عن كاتب عرف من أين تؤكل الكتف؟، من منا الحقيقي ومن منا الزائف. أنا لا أعرف شيئا كل ما أعرفه أني لن أتركهم ينتهوا من مأدبة لحمي فيتكثوا علي أرائكهم مستمتعين بحاسة الشبع، من أكل سيدفع، لا شئى مجاني، وإن كان ضميري يؤنبني علي فعلتي بمحسن صديقي فسأجبره علي الإرتياح والإقتناع أني كنت علي صواب فأنا لم أطلب من محسن السكوت والإقرار بخيانتني، كما أني لست بعرفة حتى أرضي لهم أن يمروا سائرين بأرجلهم علي كرامتي دون الغضب والثورة وهدم المعبد علي رؤسهم جميعا . كان دورهم والآن حانت قيامتهم وحسابي لهم...

(٤)

أنا الخائن والمخان. القاتل والمقتول، قابيل الذي ألقى أخيه حجرا، وهابيل الذي أخرج ما رأته عيناه كان الخيانة والغدر. أنا كل هذا، وكل هذا أنا. أنا عرفة الزاهد...

أكاد أجزم أنني فعلا كنت مجرد بطل في رواية. شخص يتنفس مدادا ويحيا علي الورق، نسج عالمه روائي فصنع منه عبثا يخونه الجميع. ليس من المنطق أن ما كنت فيه كان الحقيقة وما دونه كان الزيف والعدم، أكاد أجزم بوهم ما كنت فيه، خيالا صنعه وحي شيطان في عقل مؤلف فاسد. أهنك وجود بكل تلك القذارة والفجور؟!، وجود خرج من رحم الخيانة فصار زرعه دنسا ونتاجه خبثا وعلقا. أجميعهم خونة؟!، أما من شريف واحد؟!، أما من نفس إهتزت وحنت علي نفسي، حتى أختي التي كنت لها رسولا ينير لها الحياة بالرحمة والنور والبركات نكرتني قبل حتى أن يصيح الديك ووقفت مثلما وقفوا تشاهد صليبي في صمت. لما التعجب فجميعنا أبناء القاتل الذي غدر بأخاه منتظرا طيرا يعلمه كيف يداري سوئته...

رفعت علي صواب، لم ينتظر أن يخونه أحد، خان الجميع بما فيهم نفسه، أعلن كفره بالضائر المشوهة والقلوب التي أدامها الموت قبل أن يجهز عليها. أدعو الله تضرعا وخيفة بأن يكن رفعت هو الحقيقة، أن يكن هو من كتب عرفة

وصنعه من وحي خياله فقلبي لا يحتمل أن تكون أمانى خائنة وأن الحياة التي أسقنتني إياها ما كانت إلا خمرًا في كؤوسها. خمرٌ أفقتُ منه لأعرف أن من كانت بين يديّ في الليل ما كانت أكثر من عاهرة تُوهمني الحب حتّى أشتري من خمرها أكثر فأنهّل أكثر فأسكر فأكمل بين يديها ليلتي ثملا لا أري الحقيقة. أتمنى أن لا وجود لي وأني ما كنت أكثر من رفعت الذي توحدّ مع بطل روايته فتقمّمصه ليصبح مافونا يخونه الجميع، الخيانة كالجلب تُطبق علي أنفاسي حتّى الموت، ولكم أخاف الموت وأخشاه، أخافه لدرجة أني تنازلت عن مبادئي كلها دفعة واحدة، فصار سهلا أن اصبح خائنا بدلا من أن اكون مُحانا . أكره الخيانة مفعولا وأترجاها فاعلا، أعتب عليهم أنهم خانوني في غفلة مني، غافلا أني ولربما أكون من خان صديقه الذي لا ذنب له سوي أنه إستأمني وأعطاني ثقته، وحتى لو لم أكن . فأنا أتمناها وأريدها، أريد أن تكون زوجتي أمنية التي لم تتمكن منها الخيانة بعد، أريد أن أكون رفعت الذي خان صديق عمره مع زوجته لي لي علي أن لا أكون عرفة الذي خانه الجميع وتناوبوا على هتك شرفه...

محسن صديقي، ولكم أشفق عليه، ومن يشفق عليه أكثر ممن تجرّع من نفس كأسه. أخشي عليه من اللحظة التي تأتيه فيها الحقيقة داعرة عارية بين يديه فيري كل تفاصيلها التي حجبتها دخن الخيانة عنه . إلي الآن لم أقابله، أخاف أن تأتي عيناه في عيني فيبصر الخيانة والغدر فيها. أتهرب منه هروب الصحيح من المجزوم، جاهلا من منا الصحيح ومن وجب الفرار منه. أهنالك إحتمال أني فعلتُ

ذلك بمحسن؟!، ساحني يا صديقي الوفيّ، فأنت وإلي الآن غافل عما حدث وراء
ظهرك، لو كنت مثلي عرفت أنك شربت من بئر الخيانة ونهلت منه لعلمت وقّعها
ولوددت أن تخلع من عليك ثوب الرهبان ولشلحت نفسك بنفسك لتنضم لزمرة
الخونة وناهشي لحم المسيح.. ساحني...

(٥)

من دفتر مذكرات دكتورة مريم فاروق

وكانك أمام باب خشبي عتيق بحشوات نحاسية مجمعة، تنظر إليه فتتسلل الرهبة لأوصالك. تدفع راحتك جانبيه فتسمع ذلك الصرير المحمل بعقب الماضي وتراثه وما أن يأتيك على مصراعيه إلا وتجد الصخب، أضواء ليزيرية ماجنة، تومض متخبطة من السكر، موسيقى نافرة لا أيقاع لها ولا نظم تتلوى عليها أجساد تنتفض وكأنها ترقص رقصة للموت. هذا ما فعله رفعت...

يسير بروايته كما النهر الذي يعرف ماؤه كيف يجري. إنتظرتّه وتوقعت منه أن ينهيها مثل الآخرين. هذا ما كان ظاهرا، هو نفسه كان قد نوه في بداية روايته ان زوجة بطل روايته الخائنة والتي تدعى أمانى ستقتل تلميذ زوجها وبذلك لا تنزوج سماح من على الخائن ويأتى القدر بانتقامه من أمانى حين تسجن، وتصبح خاتمة الرواية أن هناك من قضى نحبه غير مأسوف عليه وهناك من ينتظر خلف غيابات السجون، أو ليس هو من قال...؟

ما الحدث الذي أستفزه وجعله يعرج بروايته لذلك المنحى. كتبها آملا أن يجعل منها كوكب درى ينير له طريق ظلمته فصارت له ظلمة الزيف التي تاهت فيها الأفئدة وخارت فيها العقول. وسوس له شيطان الوحي فجعل منها معبدا يتعبد فيه الغافلون لأغرب آلهة الأرض، يقدمون المنطق في مذبحه قربانا،

يسدلون علي كل يقين ستارا قائما حتّى لا يبين ولا يظهر، تلتقى أكفهم عند صدورهم في توسل للبهتان وشكر، تترنح أجسادهم في سكر، يأتيهم الحق جليا صادعا فيضعون أصابعهم في أذانهم مستغشين ثيابهم في كبر رافضين لكل ما هو حق...

هل كانت تلك هي خطته حينما شرع في الكتابة، أن يحدث ذلك التبديل فيحل محل بطله في روايته ويصبح هو عرفة وعرفة هو، أكانت تلك هي الفكرة من الاساس وذاك كان خط سرده، روائي يكتب عن روائي ولسبب ما يحل محله؟، أم أنه فعلا يري في نفسه هذا، يعتقد أنه قد صار غير نفسه...؟

بحثى عن أعماله التي سبقت يجعلنى أجزم أنه ما كان أكثر من مدعي للكتابة مثله مثل كثيرين ممن ينضح فرش البائعين بأعمالهم، تقرأ له فتجد أن نفسك قد ماعت من كلماته الفاقعة ضحلها والتي لا تسر العاقلين، وتيرة واحدة من الكتابة، مقام شحيح غير معبر، من مثله لا يجوز الموهبة ولا الملكة التي تجعله يكتب مثل هذا فخياله أبخل من أن يجود عليه بمثل ذلك النوع من الكتابة. كما أن أصراره أن يكن عرفة ضده في كل سلوكه يجعلني على يقين أن ما كتبه ليس بخيال مبدع بل هو نوع من أنواع الأنفصام جعله يصنع شخصا مناف له في كل شىء، شخص تمنى أن يكونه أو حتّى شخص خائف من أن يصير إليه. شخص خانه الجميع، بداية بزوجته مرورا بتلميذه نهاية إلى أخته التي إرتضت الصمت.

يبرر لنفسه أنه لو صار مثل عرفة شريفا ذا مبدأ فنهايته ستكون مثله مخانا من الجميع مضطهدا حتى من الدولة...

رفعت غير راض عن نفسه . فألقى بحجر توتره في مائه الأسن فكان مرضه وكانت روايته . زكمت قاذوراته أنفه، رنت على صدره خيائته، باتت روحه غير قادرة على التنفس ولا على فك قيد أسره من الفساد الذي يستعبده . يتعمد أحيانا الإستخفاف بشخص عرفة والتهكم عليه والسخط على ضعفه وطيبته الزائدة، وأحيان كثيرة تجده يتأرف به ويستغلبه، يعذره ويويخ نفسه أنه قد صنع له عالما مليئا بفوضى المشاعر منعدم فيه كل القيم والمبادئ. تجده مثل عرفة بل إنها كثيرا ما يشتركا في نفس الألفاظ والتعابير وأحيانا تجده غير ذلك، قلم غير القلم ورجل ليس كمثل الرجل...

رفعت هو عرفة وعرفة ليس بأكثر من رفعت، رفعت يري أنه هو من خلق عرفة وجعل منه شخص ينبض بعد أن كان على الورق وكذلك عرفة هو الآخر يري نفسه صاحب الفضل في وجود رفعت . كلاهما شخص واحد ينظر لنفسه في مرأة، لهذا عندما تبدل رفعت بنظيره سعى في انتقامه من كل الذين خانوه وجعلوا منه اضحوكة غافلا أنه هو من صنع الخيانة وغذي عنكبوتها وتناه لينسج خيوطه في حياة عرفة...

الغريب في الأمر أن رفعت على هيئته الجديدة قتل زوجته؟!، قتلها نافيا عنها تهمة الخيانة وحتى لو خانته فهي ليست زوجته حسب ما ترائى له. كيف

بعرفة الهادئ صاحب القيم والمثل والذي على يقين من طهر أمنية أن يقتلها؟!، أذا كان عرفة يري في نفسه أنه من صنع عالم رفعت وخلق شخوصه فهو إذا على علم بحب أمنية له، هذا غير أنه على دراية تامة أنها ورغم خياناته كانت مثالا للشرف يحتذي به فكيف له أن يقتلها؟!، ما الوازع الذي جعله يقدم على جريمته بذلك الشكل البشع؟، الأولى أن يقتل رفعت أمانى لا أن يقتل عرفة أمنية. هناك شيء حدث أجبر عرفة على أتيان جريمته، شيء جعله يري في أمنية أمانى أخري فانتقم منها، لكن سيتبقى سؤال وهو طريقة تنفيذه للجريمة، لماذا نفذها بذلك الشكل الوحشي، ما الرسالة التي أراد أن يوصلها ألينا، هناك حلقة مفقودة لم تأت بها أوراق الرواية ألى الآن. حدث جلل قد حدث جعل عرفة يأخذ قراره منفذا جريمته بكل عمد وقصد وهدوء دون أن يعتلج صدره أي رحمة بأمنية. حدث علّ الأوراق الباقية تبينه وتأتيه...

مريم فاروق

(٦)

- هو حضرتك زعلان مني في حاجة؟. هكذا بدأ عليّ حديثه..
 ينتظر مني أن أقسم له أنه ما من شيء حدث، وأنه الجو العام والظروف
 المحبطة التي تدعوا الجميع للكتابة والحزن. إلا أنني وبعد أن نظرت في عينيه بشيء
 من تفحص أجبته: وهو إنت عملت حاجة ممكن تكون زعلتني..؟
 تلعثم علي غير عادته، فلم يكن أبدا هذا أسلوب أستاذه عرفة، عرفة الذي
 إعتاده هينا، طريا لا يرفع الأذي عن نفسه ولا يري ألا ما ستدوسه قدمه هذا إن
 رآه من الأصل..

جمع كلماته التائهة في حلقه بعد أن بلع ريقه ليحجب: معملتش حاجة، بس
 يمكن تكون حضرتك فهمت تصرف من تصرفاتي غلط ولا حاجة .
 - لا لا مفيش حاجة، وكل تصرفاتك أنا بفهمها صح متقلقش إنت، هو
 يمكن بس موضوع صاحبي هو اللي شاغلني ومخليني مش علي بعضي..
 رأيت وجهه يتنفخ من تنفسه الصعداء، حتّى جلسته بانث عليها الراحة
 ليستمر في الحديث قائلا: موضوع إيه، ومين صاحب حضرتك..؟
 تأملته كثيرًا . حتّى أصبح الهدوء سيّد الموقف والصمت هو اللغة
 الوحيدة المسموعة لأجيبه بعدها: أبدا.. ده واحد صاحبي إكتشف إن مراته
 بتخونه، لا وإيه دي بتخونه مع أعز صحابه!!..

وكان صاعقة نزلت من السماء لتختاره تحديدا فجعلت من جسده هشيما. يرتعد وكأنه تخلي عن ملابسه في أوج البرد وصقيعه، ينظر إليّ ببلاهة ممزوجة بخوف وارتياب، ورغم أن ما ألمّ به لا تُحطّطه عين طفل إلا أنني تعمّدت إنشغالي بورقات كانت علي مكتبي لأُكْمِل ما بدأته قائلا: هو طلب مشورتي وأنا مش عارف أقوله إيه، إنت إيه رأيك يا عليّ؟.

وكانه غادرنى، فجاء صوته من واد سحيق بكلمات خفيضة مرتعشة تبذل الأذن مجهودا لساعها: مش عارف، بس مش يمكن يكون صاحب حضرتك ظالمها؟..

- ظالمها إزاي بس!!، هو متأكد إنها بتخونه وعنده ما يثبت ده..

- طب هيا بتخونه وصاحب حضرتك متأكد أنها بتخونه، ليه شايف إنها

بتخونه مع صاحبه؟، إشمعنى صاحبه مش جازي أي حد تانى؟

الآن تبرء نفسك، تسعى في أبعاد التهمة عنك، تنفض غبار الخيانة عن كاهليك أمامي، كما إبليس لا فرق ولا فارق، ما أنا بمصرخكم ولا أنتم بمصرخي، لكنها تستحق...

نظرت إليه فرأيتة يحدق في وجهي منتظرا منه أي قراءة تنجيه مما هو فيه فيستريح عقله ويهدأ. منظره كان مضحكا ورغما عني فلتت مني ضحكاتي، فحاله يوحي بأنه علي مشارف الموت خنفا فالصمت كان يرخي حباله حول عنقه منتظرا كلماتي، كنت أتمني التهادي في الصمت والتحديد في وجهه أكثر، لكنني

علمت أن أكثر من هذا سيتوقف قلبه لا محالة. سارعت بحرق كل مراكبه التي أعدّها لنقل ما سأقوله إلي عقله فتهدأ أمواج أسئلته فبادرته بالقول: متشغلش إنت دماغك يا علي، وخذ المقال ده إبعته للمطبعة تحت وخليهم بيدلوه بالمقال اللي إتبعث من يومين، ومتناساش تجيبه معاك متسيبهوش لحد...

قام من علي كرسية كمن حكم عليه بالإعدام وجاءه الإفراج وهو علي منضدة التنفيذ. قام تائها في صحراء عقله، يصرخ فيها ألف سؤال وسؤال ولا يأتيه إلا صدي أسئلته وهذا ما أردته، أردته أن يشهق الخوف دون أن يفره، أردته أن يصطلي في جحيم خوفه قبل أن أكبّه في سكير إنتقامي. فالغل في قلبي يكفى لصبغ السماء بحمرة الدم وجعل الحياة في سواد ليل مستمر يدوم ولا ينقطع. هو لا يعرف ما سأفعله به، لو يعرف لكان حديثي الآن أقل ما سيسخله، فأنا لو أريد موته لفعلتها، فأنا لا أريد له الموت فالموت راحة لمن هم علي شاكلته، سأصفي دمه قطرة قطرة، سأجعله يشتهي الموت ولا يناله، هو جاهل بما فعلته وسأفعله، سأصلح كل ما أفسده أستاذة المأفون عرفة، سحبت المقال الذي كنت أهاجم فيه الدولة وأرسلت آخر يشيد بمواقفهم ويثني علي إنجازاتهم، ومن هنا سيرضي عني النظام، ومن هنا أستطيع وبتوصية بسيطة أن أضعه في غياهب السجون وخصوصا أني أمليت عليه كثيرا وكتب بخط يده الكثير والكثير...

دقات قلبه تأتيني طواعية فأسمعها بوضوح رغم خروجه، أكاد أسمعها تهزول مثله في طرقات الجريدة جزعة مني، تتمدد وتنقبض بشده فتصنع زحمة

مرورية في شرايينه تجعل الدم يغادر عروقه فيغيب عن وجهه الذي تحول لونه للزرقة. مسكين، نخونني وتظن نفسك قادرا علي النجاة بفعلتك. كان جائزا هذا لو أنك ما زلت مع عرفة، كان من الممكن أن تظل علي خيانتك ويظل هو علي غفلته، راقدا في نومه الذي لا يصحو منه أبدا. أما أنا فأنا لست بعرفة أنا رفعت الذي سَيُصْلِيكَ في جهنم الدنيا محاسبا إياك علي ما كل إقترفته يديك ووسوسه لك عقلك الضال، أنا الذي فُرض عليه الجهاد وأصبح لزاما عليه أن يسترد أرضه التي وطأها بخيله لا حبا في أمانى ولا رغبة فيها، لكنها كانت لى وأنت أخذتها منى . كنت لك جنة حينما كنت لى مخلصا لا تشتهي الذي في يد غيرك وسأكون لك نارا لا تستطيع أعاصير الأرض أن تُطْفئها من أجلك ولا تجزع فالخائنة الأخرى حسابها سيأتي سريعا وساعتها ستقفان أمامي يرمي كلا منكما التهمة على الآخر حتى يفر مما سيلاقيه منى . إنتظر قليلا فقيامتك قد دنت وكتابك ستأخذه بشمالك، وناري ستحيا فيها إلي أن تأتي ساعتك...

سيأتوك قريبا.. أنتظرهم فالسجن مصيرك، أنتظرهم وانتظر زيارتي لك

هناك..

(٧)

- سامح أخوك إتصل عليا أكثر من مرة واتكلم معايا في موضوع ورثه
 - وليه إتصل عليكى إنتي؟!، ليه ميتصلش عليا؟!
 - وهو يا رفعت من إمتي وانت بترد عليه، حاول يا رفعت تديله حقه،
 سامح طيب وببيحك، ولو لا ظروفه مكنش طلب منك حاجة زي كده..
 - غريبة والله يا أمنيه، شايفك مهتمة بموضوع ورث سامح ده أكثر مني
 ومنه، والأغرب إنك بتعرفيني علي أخويا وظروفه، يا أمنية ده أخويا وأكيد يعني
 هبقي عارف إن كان طيب ولا لا، وليه بيطلب
 - يعني أقولّه إيه لو إتصل تاني؟
 - مش هتقوليله حاجه لأنك باختصار مش هتردي عليه تاني، بعد إذذك
 متدخليش في الموضوع ده، ممكن...؟
 قبل أن يغادرني أخبرته بأن بينى وبين لى لى ميعاد في أحد الكافيهات القريبة
 من البيت لينظر ألى بنظرة حاوية مغادرا منصرفا صافعا باب الشقة ورائه. قمت
 من مكاني متجهة إلی البلكونة حتّى أراه يستقل سيارته فأتبعها بعيني لتصغر
 وتصغر حتّى تصير كما برشامة دواء يبلعها الطريق المريض، الآن يخرج من رحم
 عمارتنا، ستبحث يده عن مفاتيحه في جيبه وقبل أن يطعن بها باب سيارته سيرفع
 نظره إلی أعلي حتّى يراني أبتسم له فيبادلني إبتسامته الزائفة إلا أنه لم يفعلها...

تغيّرتَ كثيرًا يا رفعت، لا أستطيع جزم إلي أين سيذهب بنا تغيّركَ
فكل طُرقك حالكة . أهو تغير للأفضل أم رغبة منك في إستمرار الهبوط إلي
الدرك الأسفل من القسوة؟ . لكن أتدري؟، فسواء كان تغيّركَ للأفضل أو
لعكسه فهذا لا يهم كثيرًا، فظني أنه ليس هناك أبشع مما كنت عليه فلقد كنت في
القاع، وحتى وإن كان تغيّركَ هذا إجتهد منك ومحاولة في الوصول لمناطق أبعد
من موت المشاعر فإنه الآن يكفي. يكفيني أي عرفت أنك قابل للتغيير وأن
هناك أمل فيك. فالشر الذي كان في عينك خبي، بل أنها سُفِيت أخيرا من داء
الخرس، صرّت أكثر حدةً وكان الثلج الذي كان في عروقك ذاب، صارت تهمّك
أشياء غير رفعت، بل أي ولأول مرة أشعر أنك تغار عليّ، أعلم أن هذا لم يكن
لنقص فيك أو عيب، بل كان ثقة في وفي نفسك وباليتمك ظللت علي هذا، فبرغم
أن غيرة الرجل علي المرأة هوائها وزاد أنوثتها، إلا أن غيرتك الآن تقتل، فالغيرة
شأن والشك شأن آخر . أعي أن كرامتك كرجل تنهاك عن الإفصاح عن ظنك
في، لكن شكك واضح في كل سؤال تسأله، في كل نظرة أضبطك فيها تنظر بها
إليّ. حتّى لما تغيّرت ما زلت مصمما علي دهنس كرامتي، وكأنك لا تحيا إلا لبرحي
واستنزاف روحي من بين أضلعي..

الغريب أي الآن أستشعرك إنسانا آخر، لا أتكلّم عن حدثك التي صارت
تلازمك في كل تصرفاتك، ولا عراكك المستمر معي في الأونة الأخيرة والذي بدأ
وأظن أنّه لن ينتهي قريبا، لا أقصد غيرتك وشكك وأسئلتك الدائمة وتضييقك

عليّ، كل هذا لا أقصده رغم أنه لم يكن موجود قبل ذلك، لكنني فعلا أستشعرك
إنسانا آخر، لا أدري كيف أصبغ الكلمات، لكنني أشعر وأنا بين ذراعيك أنك
لست رفعت، رائحتك ليست رائحة رفعت، أهاتك ليس أهات رفعت، حتّى
ذروتك إختلفت. لكن الذي لم يختلف فيك هو قسوتك وشح مشاعرك وصممتك
وتفننك في إيذائي. طاقة حبي تتبدد علي عتبات قلبك، اليأس يتسلل لأوصاله
فيخف الطرق علي بابه رويدا رويدا فيخفت في النهاية ويتلاشي. قلبك موصل
كخزانة عتيقة تأبي الفتح، ولا حل لسبر أغوارها سوي كسرهما وفتحها عنوة أو
انتظار أن تُزِيل صدها الذي إعتراها وهذا لن يحدث أبدا. إني أحبك وأعلم أنه
سيأتي يوم أرحل أخذةً معي بقايا حب قد قتلته بإهمالك وأنايتك. كنت أغمض
عيني عن كل شيء، كنت أريدك حبيبي فتغاضيت عن كل حماقاتك وخياناتك، إلا
أنك أبدا لم تحبني، غبي مثل قلبك ظننت أني أبدا سأظل أحبك حتّى لو حوّلت
قلبي غمدا لسكينك ...

الجميع ينفذ من حولك، حتّى الذي لا يريد تركك متمسكا بتلابيب ما
تبقى في الذاكرة من أيام أعطيته فيها البسمة والدفء تطرده، تُجره علي الرحيل.
أنا، سامح أخوك الأصغر الذي إنتظرك لتكن له سندا حاميا من عبث الدنيا تُزود
عنه حين جحودها فإذا بك تنضم لجمع الأكلّة علي قصعته، محسن صديقك الذي
إكتفي بك وإكتفيت به دون الجميع متحملا كل أنانيتك وبغضك والذي ما وإن
واتته الفرصة للتقرب منك يهرول متقربا مادا كل أواصر الأخوة والصدقة

فيجذبك مثله تغتنم أي فرصة لكن في الإبتعاد عنه. الجميع يرحل، منهم من تلاشت قدرته ولم يعد قادرا علي تحمل قسوتك أكثر، ومنهم من تُجبره أنت علي الرحيل . تظن أنك قادر أن تحيا بمفردك، تستمر بمفردك، أنت لا تعرف أنك لا تستمد حياتك إلا من عطائنا لك، وأنا لو رحلنا فستصبح كما الشجرة اليابسه التي ضربت جذورها في غفلة عن الجميع . ثابتة نعم، صامدة ريبا، لكن وجب قطعها لأنها تسد عليهم كل الطرق...

عابتك، ولأول مرة أعاتبك، تعلّلتَ بما يحدث في البلاد، فإنتخابات مجلس الشعب الأخيرة جعلت مقطوعي اللسان ينبت لهم شجرة ألسنة يملؤا الدنيا صراخا وعويلا بها علي ما يحدث، فالنظام يُهَيء البلاد للوريث المنتظر ...
لطالما كنت دوما الخائفة، كنت دوما الطرف المُدْعَن، الطرف الذي يُملي عليه الشروط فينفذ خوفا من الخسارة . الآن حان الوقت لتدفع، حان وقت أن تخاف الخسارة، حان الوقت أن تشرب من الكأس الذي ملتهما وحسرة وهجرا وخيانة . سأرحل يا رفعت، فقلبي لم يعد يحتمل أكثر من هذا، سأرحل وأنا أعلم أن في الرحيل نهايتي، لكن بقائي جوارك أكثر هو الموت بعينه، في الرحيل سأموت مرة، وبقربك أعاني الموت وسكرته ألف مرة.. من أجل هذا سأرحل...
فاقت من سرحتها، ومن شجون حديثها لنفسها مهاتفه لى لى لتؤكد عليها ميعادهما حتّى يتسنّى لها الحديث بما يعتلج في نفسها وما في الصدر من حزن...

(٨)

في طريقها لمقابلة "لى لى" التي تنتظرها في أحد كافيها منطقة وسط البلد حسب ما أتفقا فكرت كثيرًا في حالها وحال صديقتها، فبرغم من أنها قد تعارفا على يد أزواجهما محسن ورفعت ألا أنها وجدت في "لى لى" الصديقة المخلصة التي تؤمن والجل الذي يستقبل أئينها فيمتصه ولا يخرج صداه. لا تنكر أنها أحيانا تغار من "لى لى"، فقد أعطها الله زوجا يعيشها، يعيش من أجل أسعادها وحتى وأن كان غير ذلك أو ذاك فهو ليس كرفعت الذي يجعلها دائمًا وأبدًا تحيا في جحيم القلق الذي لا يخمده ناره او تهدأ. حرمت "لى لى" نعمة الإنجاب ولا تدري أمنية السبب و العائق، ف "لى لى" لا تتطرق ابدا لذلك الموضوع ناهيك عن هروبها الدائم بمجري الحديث وشق فرع أخر له أن تم ذكره. ف "لى لى" لا تحب الحديث في تلك النقطة تحديدا رغم أن أمنية لا ترى في حرمانها هذا نقصا أو عيبا فمحسن يغنيها عن كل شيء ولا يطالبها بشيء مطلقا...

في الكافية على أحد الطاولات المتطرفة في العزلة كانت "لى لى" تجلس واجمة. تنظر كعادتها إلى العدم وكأنه يناديها. لا يشغلها ما يدور حولها من صخب وحركة. عينان واسعتان فشل الهم في مداراة جماها. شعر ترك على حاله فانسكب كشلال ماء على ظهرها، تشعر حين تراها ان الزمن قد توقف بها، أو أن عقرب الثواني أخذ وظيفة نظيره المختص بالساعات فصار كل شيء بطيء لا يتحرك. لا

تشعر بوجودها الا بين الحينة والأخري عندما ترفع يديها فتمسح بطرف أصبعها
دمعة جاهدت فنجحت في الخروج. كانت تائهة كطفلة فقدت أبيها في الزحام ألا
أنها تستبسل لتبدو للغرباء متماسكة ألى أن يجدها...

- لسه برده بتشربى سجاير

هكذا بدأت أمنية حديثها معاتبة لترد "لى لى" بسحق سيجارتها في المطفاة
التي أمامها قائلة: دي سيجارة يا أمنية كل فين وفين وأهى حاجة بحرقها وبطلع
فيها زهقى

- وهيا السجاير هتخلصك من الزهق اللى أنا مش عارفاله سبب ده

- سيبك منى ومن سجايرى وقوليلى أخبارك ايه مع رفعت

وبعد أن تجلس أمنية وبعد مقاطعة النادل تجيبها: رفعت هو رفعت مش
هيتغير، لو الأرض كفت عن دورائها فرفعت برده مش هيتغير بس عارفة من
يومين صحى من النوم وقعد يقولى أنتى مين، هو أنا بشتغل أيه، قال يعنى تعبان،
حوار جديد من حواراته اللى مبتنتهيش

- حوارات أيه بس، رفعت بيحبك يا أمنية

بكلمات يغلفها الأنين تجيبها: رفعت مبيحبنيش يا لى لى، رفعت أصلا

مبيحبش حتى نفسه

- متكبريش الموضوع، رفعت بيحبك

- وهو اللى بيحب حد بخونه؟

تحمق "لى لى" فى وجهها متوترة تحاول ان تخرج الكلمات من حلقها

فتفشل فتكمل أمنية قولها: أه بيخونى متستغريش

بتردد وبكلمات ملجمة: بيخونك أزاى؟

- أه بيخونى رفعت يعرف ست عليا وبيتردد عليها كثير

- عرفتي مينين؟، مين قالك؟

- مش لازم حد يقولى، ده جوزى وأنا أدري واحدة بيه

تبلع "لى لى" ريقها قائلة

- إيه اللى بتقوليه ده، هيا الحاجات دي فيها أحساس...!!

- أه فيها أحساس أصلك مجربتيش.. مجربتيش جوزك يكون فى حضنك

وفى خياله واحدة تانية، مجربتيش أن جوزك يبقى معاكي لمجرد أنك متكونيش مع

حد تانى. مجربتيش أن جوزك يرجعلك وعنيه لسه فيها صورة غيرك ايده تبقى

لامسة جسم غير جسمك بس عارفة يا "لى لى" إيه اللى واجعنى أكثر من خيانتته

ليا، أنى مش قادرة أواجهه، أو تقدرى تقولى خايقة أواجهه، باقية عليه، أحساس

بشع أوى أنك تبقى على حد بيحارب كل دقيقة عشان يرجعك، تحاولى تكرهيه

يصعب عليكى. تحاولى حتى أنك تتعايشى مع وجعه وخيانتته ليكى كل شوية

فتلاقى نفسك مش قادرة. كرامتك مش سايباكي فى حالك وقلبك بقى زيه

مصمم أنه يدوس عليها. فتلاقى نفسك ومن غير ما تحسبى بتكرهى روحك

وكانك مش قادرة تكرهى حد غيرها...

تجاوبها بالصمت مقطبة جبينها متأملة وجهها لتكمل أمنية قولها: أنا
تعبت ومبقتش قادرة يا "لى لى"

تنظر للحائط ويديها تجبى جانب وجهها حتى لا يري أحد دموعها فتجيبها
"لى لى": إهدى يا أمنية مش كده، الناس حوالينا

تقاطعها: أنا تعبت يا "لى لى"، مبقاش عندى قدرة على المقاومة، مبقتش
قادرة اتحمل أكثر. نفسي أعرف بيخونى مع مين، نفسي اقولها ترحمنى، بس برجع
ويقول لنفسي دى واحدة عاهرة ازاي هتحس، ازاي هتقدر أن كل مره يروحلها
بتدبح فيها بسكينة تلمة

بصوت خفيض وكأنها تود أن لا تسمعه: مكن معذورة

بصوت عال كاد أن يصل ألى أذن الجالسين على الطاولات الأخرى:

معذورة؟! تاخذ منى جوزى وتقوللى معذورة!؟

- مش يمكن رفعت هو اللى ضحك عليها واستغلها

- صدقيني شبيهه، اللى يروحلها رفعت أكيد شبيهه، لا حد يعرف يضحك

عليها ولا حد يعرف يستغلها، رفعت مبيعرفش ألا اللى شبيهه، وانا خلاص

مبقاش عندى طاقة أتحمل كل ده، أنا هطلب الطلاق

- طلاق أيه اللى بتتكلمى عنه، أهدى يا أمنية متهديش كل حاجة في لحظة

غضب

- لحظة!!، أنا من يوم متجاوزت رفعت وأنا عايشة في جحيم،
وهتصدقيني لو قولتلك أن اليومين دول حساه غريب، حساه حد تانى، مش
عارفة أقولك أيه واقولهالك أزاي، بس ده مش رفعت جوزي، ده حد تانى أنا
معرفهوش

أستمرت أمنية في الحديث مستفيضة فيه تذرف الدمع أحيانا ضاحكة أحيانا
أخري، ضحك كما النحيب لا يفرق عنه شيئاً. تسترسل في وصف الخيانة وقبحها
غير واعية أن كل كلمة تنطقها ما كانت ألا طعنة تغرزها بين ضلوع "لى لى"
تعذبها بالكلمات، تجلدها بالنظرات حتى أوشكت أن تعترف لها طالبة الغفران
والصفح...

لم يكن رفعت لـ "لى لى" غير نهاية أختارتها لبداية فُرِضت عليها، موت لا
جنازة فيه أو دفن. حملوها خطاياهم لينقوا ثوبهم من الدنس فصارت كل ثياب
الدنيا غير كافية لسترتها ومحو البرد القابع بين ثناياها. كان رفعت أنتقامها من كل
من أذوها وجعلوا منها خطيئة تقدم للشيطان تقرباً ورضاً. خانها الجميع حتى
أبيها الذي ما زال يأتيها في رؤياها باكياً. لا تدرى سبباً لبكائه، هل عتاباً لها، أم أن
الموتى كما يقولون يعرفون الحقائق كلها وقد عرف أنه ظلمها مرتين، مرة عندما
صدق زيفهم ووصمهم لها ومرة عندما فاتها وتركها لهم يلوكونها بين أسنانهم
كقطعة لحم. الذكريات تشق عقلها كقاطرة هادرة تنهب الأرض بحثاً عن محطة

وصول، لا يخاصمها دخانها الأسود بل يسير أمامها صانعا لها عتمة حالكة تغلق عليها كل أمل في الراحة والسكينة...

تركها أمنية مغادرة لتظل على حالها جالسة منتصبه الظهر تنظر

لل فراغ دون أن ترمش عينيها أو تجفل. تراها فتحسب روحها فارقتها، لا تميز وجودها ألا عندما تمد يدها على علبة سجائرها لتحكم بأصابعها على واحدة منهم بالحرق. أمرها لا يشغلها ولا يعينها فهي وكما قالت أمنية لا تفرق عن رفعت شيئا. ودت لو بحثت في هاتفها عن رقم أمنية فتخبرها لتخبرها أنها هي الخائنة التي تتكلم عنها فتطلب منها المغفرة والصفح، ودت لو أن محسن الآن أمامها فترمى روحها بين أحضانه سائلة أياه فرصة أخرى تبدأ فيها معه من جديد فيبقى فيها كما أعتادته يسرج فناديلها المطفاة فينير لها عتمة القلب والروح. تلملم حاجاتها وما تبقى من روحها التائهة عازمة أن لا تعود لمثل ما كانت فشك أمنية ورغبتها في الأنفصال كان أيضًا كافيًا لأن تقرر أن تنهى كل ما بينها وبين رفعت...

(٩)

في غرفة ضيقة كما قلبي، المجترئة من شقتي التي ورثتها عن والدي،
ومساحة صممت أن أشغل كل شبر فيها بمحتوي كنت أنظر إليه . أتأمل ملامحه
التي فيها كثيرًا من والدنا، طبيته، وجهه الملئ بكل جمال الدنيا، عينيه التي ما وإن
تنظر أليها إلا وترى فيها دفء الدنيا وحبها، حتى جلسته فيها من والدنا...
بدأ كلامه قارئًا بصوت عال المكتوب علي ورقة أخذها من أمامه " أمّا
أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلي هنا واذبحوهم
قدامي "

يتركها ناظرًا إلي متحدثًا بأسى: يا جو مش كده، إنت بتخلط الأمور بطريقة
غريبة، هتا فين الأعداء دول؟!، إنت مواطن وهو مواطن، إنت ليك كل الحقوق
زي ما هو ليه كل الحقوق

يحمر وجه جوزيف، منتقلًا من مقعد إلي آخر ليقرب أكثر من محسن قائلاً
بحدة وغضب: إنت بتضحك عليّ ولا علي نفسك، هو مين اللي ليه حقوق؟!، ده
عشان أبني حيطة في كنيسة بحتاج موافقة من الأمن وتوصية من الرئاسة، ده
عشان تبني كنيسة لازم واحد واتنين يموتو، ده في اللي إتعرّت في الشارع لمجرد
إنها مسيحية

- مش المسيحية بس اللي بتتعري، ولا المسيحي بس اللي يموت وهو بيدور علي
حقه. النظام مبيفرّقش بين مسلم ومسيحي وهو بيأرس إستبداده، الكل عند

النظام مهان وملوش حقوق، واللي بيحصل حاليا ، النظام هو اللي زَرَعَهُ ودلوقتي بيحصلده.

- خلاص متزعّش نفسك، هسكت، هتضرب بالجزمة واسكت، هتهان في بلدي واسكت، أختي تعري واسكت، هتقتل واسكت، حلوكده؟
- مقولتش تسكت، ومقولتش سيب حقا، دافع عن حقا، بس الأول لازم تعرف حقا عند مين، لازم تعرف وانت بتضرخ هتضرخ في وش مين، هتضرخ في وش واحد زيك مسلوب كل الحقوق، متهان، ولّا هتضرخ في وش اللي أخذ منك ومنه حقكم وداس عليكم إنتو الإثنين، وحوّلكم لأعداء، بعد ما كتتم إخوان

- إخوان!!، عمري ما كنت أنا والمسلم إخوان
- بلاش يا جو إخوان، مشيها جيران، شركا في وطن واحد، شاءت الظروف إن إنت وهو يتولدوا فيه
- وطن!! إديني فيزا وتذكرة وحلال عليك الوطن ومتبقاش تنسى تسلملى عليه

- طب بمناسبة الفيزا والتذكرة، مش ناوى تروح لأختك، دى ماشية الخميس وتسلم أنت بقى عليها
ينظر جوزيف لمحسن دون أن ينبس بحرف فيعاود محسن سؤاله:
بسألك مش ناوى تروح لاختك؟

بامتعاض يجيبه جوزيف: ربنا يسهل

- جو.. أختك مش رايحة تصيِّف دى مهاجرة يعنى ببساطة ممكن

الوشوش متعلقاش تانى، روح لاختك يا جو أن مكنش عشان هيا أختك

فعشان خاطر بابا الله يرحمه

- أنت عارف أختى مكلمتنيش بقالها أد أيه؟

- مش عارف ومش عايز أعرف، أنا كل اللى عارفه أننا أخوات وانها

مهاجرة ويا ضامن نتجمع تانى أو حتّى نشوف بعض تانى ولا لأ، بلاش

قساوة يا جو، يسوع وضع نفسه لاجلنا، فنحن ينبغي لنا ان نضع نفوسنا لاجل

الأخوة، مش ده كلام الرب؟

- طب ما انت عارف أهو كل حاجة؟!

- أه عارف وعارف برده أننا قد عرفنا وصدقنا المحبة التي لله فينا، الله محبة،

ومن يثبت في المحبة، يثبت في الله والله فيه..

- ولما إنت عارف كده مبروحش ليه الكنيسة؟، بقالك أد إيه لا إعترفت

ولا إتناولت؟ ولا حتّى صليت في كنيسة

- مال الكنيسة ومرواحي ليها بإنك تزور أختك؟، وكان أنا مبروحش

الكنيسة لأن ده أسلم حل للجميع

- أسلم حل إنك تهجر بيت الرب وطاعته؟!

- إنت ناسي آخر مرة حصل إيه؟، ناسي أبونا في العظة قالي إيه " سؤال خبيث من نفس خبيثة " مش ده برده اللي قاله أبونا؟
- أبونا عنده حق إنت اللي إتجاوزت، وف كل مرة بتتجاوز وبتتاول أكثر.

إنت اللي مصمم تخرج من رحمة الرب يسوع

ينظر إليه محسن بشئ من رافة وعطف، فهو لم ينس أبدا كلمات والده وهو علي فراش الموت يوصيه بجوزيف، ورغم الخمس سنوات التي بينهما، ورغم ما فعلته أمه بمحسن وإيفون، إلا أن محسن كان يتعامل مع جوزيف علي أنه الإبن الذي لم ينجبه، كان محسن يري فيه الأمل والمحبة القادرة علي نسف جبال القسوة والكراهية، ومد جسور السكينة. والسلام. إلا أنه ومثل كل شيء خيَّب ظنه، صار متطرفا كارها لكل شئ، شاكيا من كل شئ، لا يري إلا مواطن الإضطهاد، ولا يسمع للكنيسة إلا ما يعزّز فيه ذلك الشعور. شعور الإضطهاد والمذلة، لا يعرف أنه وإن كان مضطهدا فليس هذا لدينه، بل لأنه يجيا في مجتمع خرب، مجتمع أراد حكامه تجهيله لإذلاله وقمعه ومن ثمّ إستعباده. ليس المسيحيون فقط هم المضطهدون بل حتّى النبتة في بلادنا مضطهدة، تلك النبتة التي شقت الأرض لنفسها علي إستحياء متمنية أن يأتي اليوم فتصير شجرة وارفة الظلال توتي أكلاها للمسلم والمسيحي. الذل لا يفرق بين مسلم ومسيحي، عصا الحاكم معصوبة العين تضرب غير ناظرة لدين، فالحاكم لا يضمن بقائه إلا بفرقتنا، فمشايخه يفسرون لك أية الجزية التي ستدفعها وأنت صاغر، متناسين أية " وَكَتَجِدَنَّ

أَقْرَبُهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى " يكررون علي مسامع جُهاهم
أن الخروج علي الحاكم فتنة لكن بناء كنيسة في قرية للصلاة والتعبّد هو الشر
المستطير الذي سيقضي علي الإسلام مقيمين الحرب غير قاعديها مستغلين الجهل
الذي كما الحطب هش لكن نيرانه أعلي...

يخرجه جوزيف من حديث نفسه قائلاً: أنا هعمل شاي، أعملك معايا؟

- لا أنا هقوم، شايك ميتشربش، إتحوز بقي عشان حتّي أبقى أشرب كباية

شاي زي الناس لما أجيلك

- أتحوز؟!، ده بعينك، إنت كده فعلا بتطلب المستحيل

- خلاص إنت حر أنا هقوم، بس عايز أقولك قبل ما اقوم إن يسوع وهو

علي الصليب دعا وقال يا ابتاه، اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون. يعني

دعا لبي بيعذبه، عذر الناس بجهلهم وقال إنهم لا يعلمون، دعا للمخلص

والخاين بالرحمة والهداية. حبّ الناس يا جوزيف عشان الناس تحبك. وحتى لو

كنا كمسيحيين مضطهدين، معذبين فالألم بيغسل وبيطّهر. طريق الخلاص

مبيقاش مفروش إلا بالشوك، فإن كنت عايز تكسب ويكون ليك مكان في

الفردوس بجوار الرب لازم تتحمل، وتقنع إن الله حبة.. متنساش أختك ماشية

الخميس، متنساش تروح تزورها.. سلام...

قالها قائما من مكانه ليغادر شقة جوزيف التي يعيش فيها بمفرده وقبل أن

يفتح محسن باب الشقة إلتفت إليه قائلاً: إنت أخويا يا جو، وإيفون أختك

وإحنا ملناش غير بعض عشان خاطري روحلها بيتسم جوزيف إبتسامة إطمثنان
 وحب قائلنا: هروحلها، بس لو سَمِّت بدني كالعادة هجيلك إنت بقي وأخذ
 حقي منك

يتعاقق الإثنين عناقا حارا لينصرف محسن تاركا جوزيف لنفسه، تعاركة
 كلمات محسن محاولة التسلل لعقله فيسد عليها كل الطرق والمسالك حاجبا عنها
 كل ما تحتاجه لأن تحيا في صدره ولو لدقائق فلا
 يتشبث بها قلبه مبرره، في ذلك طيبة أخيه...

يسوع عاش بالمحبة، جاء بالسلام، إرتضي الألم ليحمل عنا خطايانا لكنه لم
 يدعونا أبدا للهوان والإستسلام، بل مَنَّا بأنَّ مَنْ يغلِب فسيعطيه أن يأكل من
 شجرة الحياة التي في وسط فردوس الله. اليأس عار، والغيرة علي دين الرب
 شرف، ومن غار فالرب كفيله وسنده ولنا في إيليا عظة لما باع الجميع وهانت عليه
 نفسه ظل صامدا يحارب، لم تلمس ركبته الأرض سجودا لبعل. كان كما صوت
 العصفور وسط أتون المعركة وصليل السيوف، صوتا خفيضا غير مسموع لكنه
 غير منقطع، قلب ينبض وسط موتٍ وسكوتٍ عجزِ الذين قالوا للشيطان نعم.
 الكل خرّ، قرط، خجل من عبادة الرب الواحد وصارت اسرائيل هي الشاة
 المذبوحة يأكلها أبنائها علي موائد الحكام إلا إيليا الذي كان لا يملك إلا غيرته
 علي الرب ويقين أن من قال لا هو الفائز في آخر الأمر حتما. لم يأت إيليا برسالة
 سلام، بل كانت رسالته رسالة نارية، دعوة بسقوط نار الرب، رسالة دم، من الألم

للألم جاء إينا له، لم يدعوا للخائنين بالتوبة بل دعا عليهم، صلي صلاة واحدة أن لا تمطر فخاصم المطر الأرض وانقطع وإستشري القحط وغطت المجاعة بثوبها الحالك البلاد والرعية. كان يستطيع أن يدعو لهم، كان يستطيع أن يرأف بجهلهم، يطلب لهم الرحمة والعفو، كان يستطيع أن يعطهم خده الأيسر ليصفعوه، إلا أنه لم يفعل من هذا شيئاً بل ذبح أنبياء البعل ذبح الخراف لما دانت له وتمكّن، كسر كل تلك الرُكابي التي لمست الأرض وسجدت لغير الرب يسوع . لم ينسي الرب عبده إيليا الذي غار عليه ذابحا له الكهنة في سبيله فطمأنه ووقف جواره شادا من أذره لما تمني إيليا الموت بعد إضطهاد أخاب له...

العالم لا يعرف الضعيف ولا يرحمه، يدوس عليه بشغف وراحة ضمير، إذا أردت العيش فلا تخشي من خوف باغت ولا من خراب الأشرار إذا جاء لأن الرب معتمدك، يصون رِجلك من أن تؤخذ. هذه هي كلمات الرب، كلمات الراعي تدعوننا للوقوف في وجه الأشرار، يعلمنا ويناجينا ويثبت فينا الأيمان. يقول لخائفي القلوب تشددوا لا تخافوا، هوذا إلهكم، الإنتقام يأتي، جزاء الله يأتي ويخلصكم. فإذا كانت الكراهية التي تحكم الأرض ومن عليها فكيف لنا أن نبادلها بالحب والتسامح؟!، ليس للكره إلا الكره، وليس للبغض إلا العداوة وإن كان هوذا أحب أعدائه وباركهم فهو الرب واسع الرحمة والمغفرة أما أنا فلن أستطيع، فلا تظنوا أنني جئت لألقي سلاما علي الأرض، ما جئت لألقي سلاما بل سيفا . ومن عنده أقوال أخري فأنا ماكث في انتظاره...

(١٠)

غريبة نظراته، أَصْبَحَتْ واثقة من نفسها. هو نفسه عرفة لكنّ أوداجه
 أنتفخت، بانت عروقه تحت جلده صارت تتسلق جسده عنوةً وكأنّ الدم إستيقظ
 بعد غفلة فبدأ بالعمل بجِدٍ ليعوّض ما فاته، أصبح أكثر صرامة وقسوة، يعرف
 الذي كان لا يعرفه أبداً، جفت الطيبة التي كانت تملء عينيه واحتل الغموض
 منبعها، كل شيء في عينيه تغيّر حتّى نظرته لي، في الأمس كانت نظرتَه تفيض حبا
 أما اليوم فباتت خاوية، خالية من أي معني، تهيج كما البحر دون مبرر وتهدأ
 أمواجه دون أسباب، حتّى فراشه تحول لساحة كوليسيوم رومانية، معاركة حامية
 الوطيس لا تنتهي إلا بطرح أحدنا صريعا، حتّى وهو نائم يتقلب قلقا طوال الليل
 وكأنه يقاتل في أحلامه...

كنت أظن أن إعتقال عليّ سيزعجه، سيُزبِكه، سيجعله حزينا، لكنني
 فوجئت به يتقبل الخبر كمن يتلقي خبر أن اليوم هو الثلاثاء. غريب أمره، صار
 لا يهجه شيئا وأصبح أكثر لينا في كتاباته، يرقص بالقلم علي الأسطر، يتذلل
 للنظام ويمتدح أصحابه، كلماته تحولت لفرشاة تلميع لأحذية السادة المسؤولين
 مثل عباراته التي لا شغلة لها إلا مسح جوخ كل أصحاب الوظائف الحساسة. لا
 أُتكر أني كنت أريد هذا لكن ليس لمثل هذا، فرائحة النفاق أصبحت تفوح من
 كتاباته تزكم أنف من يسير عن بعد...

الآن يدخل. يرمي بسلسلة مفاتيحه علي الطاولة فيزجها بقدمه التي وضعها هي الأخرى لما جلس علي أحد المقاعد. حتّى طلّته وجلسته إختلفت. وبعد أن نظرت إليه مليًا بادرته بالكلام قائلة: مفيش جديد في موضوع "علي"؟

دون أن يكلف خاطره فيتزع عينه وإهتمامه من شاشة هاتفه أجنبي: لا جديد ولا قديم، بس سمعت إنهم خلاص خلّصوا تحقيقات وقريب أوي هيرحلوه علي السجن..

غازني إستمرار إهماله وعدم نظره لي وهو يخاطبني إلا أني تحاملت وأخفيت غضبي من ثنايا كلامي لأكمل قائلة: وانت ناوي علي إيه..؟
هنا فقط وضع هاتفه علي الطاولة منزلا قدمه مقربا نصفه الأعلى ألى حتّى أصبح وجهه قبال وجهي تماما ليحجيني بكلمات تعمدها بطيئه: وانت عايزاني أعمل إيه أروح أتسجن مكانه مثلا..؟

- مقولتش كده، لكن كلّمه حد من المسئولين أهم كلهم بقو حبايك، إتصرف يا عرفة وخصوصا إنك عارف إن "علي" مش ممكن يكون عمل كده، "علي" طول عمره لا بتاع سياسة ولا عمره فكر فيها، أكيد في حاجة غلط، إنت هتقف تتفرج؟!، إنت لازم تعمل حاجة يا عرفة..

- وهو إنتي مالك متأكده كده ليه إن "علي" ميعملش كده، منين جييتي اليقين ده، التحقيقات ومن قبلها التحريات والورق اللي لقوه في شقته وف مكتبه

بيقول عكس كده، بيقول إن "علي" كان بيتأمر علي البلد. عايزاني بقي أنا
وغيري نكدّب كل دول ونصدّقك إنتي..؟!
- أيوه لأن "علي" ميعملش كده..

- إنتي مش ملاحظة يا أماني إنك مستميتة أوي في الدفاع عن "علي"

- إنت ناسي إنه خاطب سماح أختك وقريب كانوا هيتجوزوا..

- لا مش ناسي، وعشان كده فسخت الخطوبة..

- إنت بتقول إيه؟!، إزاي تعمل كده؟! إنت أخذت رأي مين؟!!

- وهو مطلوب مني أخذ رأي مين؟ إنتي مثلاً؟

- علي الأقل صاحبة الأمر

- بصي يا أماني وياريت توصلي ده لسماح، أنا معنديش إستعداد أناسب

واحد زي ده، واحد إتبرع بخيانتته للبلد، وكمان ياستي ولنفرض إن ده محصلش

وإن "علي" برئ، هل ده هيمنع إنه خاين..؟ بعد إذنك متتكلميش معايا في

الموضوع ده تاني...

قالها ليستعيد هاتفه مرة أخرى داسا عينيه في شاشته وكأن شيئاً لم يكن. ماذا

يقصد بقوله هذا، هل يعرف ما بيني وبين "علي"، لو يعرف فما الذي يجبره علي

السكوت. الأسئلة في عقلي يصّر عرفة علي ربيها يانتظام في الأونة الأخيرة لتنمو

وتكبر فيطرح كل سؤال ألف سؤال دون إجابة أو حصاد. ألم أقل أنه تغير. عرفة

الذي لم يكن قادراً علي السير شبرا في الحياة بمفرده إلا ماسكا في تلايب من

(١١)

- إنت مش هتغير الكون يا محسن، اللي بتعمله ده مش صح، مفيش حد يقدر يجارب علي كل الجبهات اللي إنت بتحارب عليها دي وميخسرش..
 ينظر إليها محسن ليحبيها بلهجة الواثق قائلاً: ومين قال إني عايز أكسب!،
 أه المكسب حلو وطعمه أحلي بس مبفكرش فيه. أنا يهمني أشيل الخوف المزروع
 بالأمر في قلوب الناس، أحلي الناس تعرف إنها متولدتش ساكته وإن صريخها كان
 دليل حياتها، أقول للناس إنهم ممكن يتكلموا، يعترضوا، يقولوا اللي قافلين عليه
 قلوبهم بميت قفل وترباس..

- يا محسن البلد علي كف عفريت، والإعتقال بقي عند النظام ممارسة
 طبيعية من مقومات بقائه، وإنت مش ساكت، في الجامعة بين الدكاترة، في
 المدرجات بين الطلبة، حتّى الكنيسة يا محسن بقيت ممنوع تدخلها..

يضحك بشدة فتستدركه قائلة: هو محدش منعك، إنت اللي منعت نفسك
 تسود لحظات من صمت تتلاقي فيها الأعين فتلبي لي لي النداء جائية علي
 ركبتيها سائرة عليها حتّى تصل إلي كرسيه فتقترب منه أكثر حتّى تصبح بين قدميه
 فتمسك يده بكلتا يديها مقبلة إياها لتضعها علي خدها وكأنها تلتمس منه الوجود
 قائلة: عشان خاطري يا محسن بلاش، أنا مليش
 غيرك، أنا من غيرك أموت، متموتينش ببعادك..

ينظر إليها محققاً في عينيها حتى تدمع عينيه فيرفع رأسه أعلى حتى لا
تري دمعة يمسحها، يعاود النظر إليها مساوياً خصلات شعرها برقة
ونعومة، مهنداً من ملابسها، مربتاً علي ظهرها قائلاً بعد صمت: متخافيش يا لي
لي.. متخافيش.. أنا جنبك، وعارفة كمان أنا لو مت مش هسيبك برده، برده
هتلاقيني بجيالك يوماتي في الأحلام..

تضع يدها علي فمه حتى لا يكمل قوله سائدة رأسها علي فخذه فتمر
لحظات يوقفها بعدها مسنداً إياها برفق قائلاً: خلاص أنا مش هتكلم لا مع
الدكاترة ولا مع الطلبة، وهروح الكنيسة وبرده مش هتكلم، مش هتكلم
خالص، أقولك أنا مش هتكلم مع حد حتى معاكي، كويس كده..؟
ختم كلامه ضاحكاً لتكمل لي لي قائلة: إنحجج بقي عشان متكلمنيش، لا..
كلمني أنا زي ما إنت عايز، متكلمش حد غيري..

يحتضن وجهها براحتيه طابعا قبلة علي مفرق شعرها قائلاً لها في مزاح:
حبيبتي كلها أنانية، عايزاني متكلمش خالص مع حد غير معاها، اسمي ده
حب..؟

- سمّيه زي ما تسمّيه، سمّيه خوف من إنّي أبقي لوحدي، سمّيه إنّي
بحبك، سمّيه إنّي خايفة عليك، المهم تنفذ يا محسن.

بتهمك يرفع يده لتلمس أذنه ملقيا التحية العسكرية قائلا: تمام يا افندم،
عُلم وينفذ، بس إئذنيلى بقي أروح الجامعة لأن أكثر من كده هيتكلمو معايا،
وهيجبروني أتكلم وإنتي عارفاني بحب الكلام

يضحك الإثنان، يأخذ حقيبتيه هاما بالأنصراف فتناديه قائلة: أه صح

كويس أنى أفتكرت، متنساش موضوع رفعت وأمنية، أمنية تعبانة جدا

ومبقتش متحملة سخافاته أكثر من كده

- رفعت!، أنا تعبت من الكلام معاه، رفعت هو رفعت مبيتغيرش ومش

ناوى يتغير، عموما هتصل بيه النهاردة وأقابله بعد الجامعة...

يعاود الأقتراب منها طابعا على جبهتها قبلة قائلا: يلا بقى كفاية، مش

هينفع أتأخر أكثر من كده، خدى بالك من نفسك، سلام يا حبيبتى

تستمر لي لي في النظر إلي باب الشقة بعد أن خرج بأرادة منها أن تخترقه

بعينها لتعبه حتى تطمئن علي محسن أكثر...

تَعْرِفُ يا محسن إني أخاف الوحدة، أرتعب حينما يكون جليسي نفسي،

ولكم أخشي من نفسي. تعلم ورغم هذا تحارب وتسعي لتركني، أولم يكفك من

هجروني لتأتي أنت الآخر فتهجرني. أعلم أي لا أستحق غير هذا فأنا الذي رميت

نفسي في السعير حينما خنتك، حينما إبتعدت عن الرب وتعاليمه، فالنار أظنها

ليست كما يصفها بابا الكنيسة، فلا هي بنيران تشتعل فتتقد، ولا هو بشيطان

رجيم جاحظ العينين ينتظر إشارة الرب ليرمي له أحدا فيطعنه بشوكته قبل أن

يقذفه في نار لا تُطفأ. النار ليست كما وصفوا، النار هي التي أعيشها الآن وأحيها، نار الذنب، نار الندم، نار الخوف من أن تتركني. إني أخونك وأدس فراشك وأدوس علي كرامتك ورغم هذا أحبك، لا تسألني كيف فأنا لا أعلم. إن كنت أحبك فلما أخونك، وإن كنت أخونك فلم أحبك...!، أنا التي أجمع النقيضين، أنا النعيم الذي لن يأت إلا بألم الذنب، أنا الغفران الذي لن يأت إلا بالصلب، أنا المصلوبة والصالب، أنا المُعذِّبة والمُعذَّب، أنا كل هذا وكل هذا أنا... خيانتني لك ما كانت رغبة في متعة أنت حرمتني منها، هل سَتُصَدِّقني لو قلت أي كنت لا أطيع رائحة رفعت وأنا بين برائته، هل سَتُصَدِّقني لو قلت أي أكره الجنس ولا أريده سواء جاء منك أو كان من آخر. يهوذا خان المسيح بحفنة من دنائير لَمَّا وشي عنه وكان موته ندما علي خيانتته، أمي خانت أبي من أجل متعة رخيصة ورغبة في أن تُعيد صباها فأتت وخانتني، وأبي خانني لَمَّا صَدَّقها ليموت كمدا وحزنا علي ذنب لم أقترفه، وأنا خنتك وأنا أحبك . وكان يسوع يبعث ليُخَان ويصلب من جديد...

هل تقبل توبتي يا محسن؟. هل لو جئتك بخطيئتي نادمة تائبة لتسمع إعترافي أستقبلني في زمرة التائبين النادمين، أتغلق باب الرحمة في وجهي أم ستفتح لي رحب الملكوت لأنعم فيه معك بقرب اليسوع. يسوع قال إنَّ جباة الضرائب والزواني أحق بالنعيم وسيسبقونكم إلي ملكوت الله هذا إن تابوا، أنا لست بخائنة بل كنت أنتقم من نفسي لنفسي. كنت أنتقم من كل زوجة وأم خانت، كنت أنتقم

لكل زوج خانته زوجته من كل زوج خائن، إتهموني بالعهر وأنا العذراء البتول
 فرميتهم بالخيانة التي يستحقوها، وحتى وان كنت خائنة ألم أدفع؟!، أنسيت أنى
 حوسبت على ذنب لم أقرّفه؟!، وصموني بالعهر وأنا منه براء، أو ليس ما دفعته
 كافيا لتسامحنى؟!، اوليس موت أبى كمدا على وعلى شرفي الذي ظنه قد لطح
 يشفع لي عندك؟! . هناك صوت صارخ في البرية، هيثوا طريق الرب، مهدوا في
 البادية الدرب، دربا قويا لإلهنا. كل واد يرتفع، كل جبل وتل ينخفض، يسير
 المعوج قويا، ووعر الأرض سهلا، فيظهر مجد الرب ويراه جميع البشر معا لأن
 الرب تكلم. هذا هو الرب الذي تؤمن به يري أن للمعوج طريق قويم، الرب قد
 قبل توبة الغانيه وجافي من إعترض طريق توبتها، يسوع يقبلني في ملكوته هذا إن
 تُبّت. وأنا لم أعد أقدر فالذنب علي كتفي كالجبل ثابت لا يتزعزع. ليس لي غيرك
 يا يسوع أنر ظلمتي، إحمل عني ذنبي، أرحمني، أولست أنت من قال تعالوا إليّ يا
 جميع المتعبين والرازحين تحت أثقالكم وأنا أريحكم، ها أنا جئت إليك تائبه
 صاغرة نادمة معترفة مقرة بذنب جناه الآخرون، فأرحمني وأحمل عني حملي فلقد
 ضاق الصدر وحلّك طريق الأمل...

لا تتركني يا محسن...

(١٢)

رأيتك في الحلم ورأيت نفسي. رأيت نفسي في غرفة مكتبي أبحث عنك بين الكتب علي الأرفف، لا أدري لماذا كنت علي يقين أنك بين الكتب، الأوراق كانت متناثرة في الهواء وكان الجاذبية إنعدمت في الغرفة، أوراق مبعثرة كما أفكاري، أمد يدي فأمسك ورقة لأقرأها علي أجدك بين السطور، أفتح المطوي فتشرد أفكاري ويتناهي القلق لأنني أظنك بعيدة، أقلب أكثر وبهيمّة، وفجأة ظهّرت، خرجت من بين السطور، كنت حمامة بيضاء، أخذت تجوئين الغرفة طائرة في كل ركن، يرفرف جناحك فيخرج منها رحيقا يتناثر في الغرفة، حاولت الإمساك بك. وفي كل مرة حاولت فيها كنت تفقدين ريشة من جناحك، حتّى صار الريش كما الأوراق متناثرا في الهواء مبعثراً، أي تعويذة وأي سحر أسود حولك لحمامة بيضاء منزوعة الريش، حاولت تهدتتك إلا أن دموعك غلبتني مشيت بيدي علي جسدك علي أهبك السكينه، دموعك صارت شلالا يملأ الغرفة حتّى وصلت لكتفي، أحاول الهرب من الغرق، أشرب بعنقي رافعا جسدك إلي أعلي بطول يدي، أتشبث بالحياة، إلا أني رأيت عينيك تفقد بريقها، رأيتك ميتة بين يدي، طيف روحك كان ينظر لي مبتسما في سقف الغرفة راضيا، يمد يده إليّ، هنا فقط توقفت عن محاولة التشبث والنجاة من الغرق في بحر دموعك، هنا فقط تيقنت أن الموت معك حياة فرحبتُ به، إستسلمت، تركت جسدي يغوص في بحر دموعك، دون ألم، دون أن تصرخ رثتي مستنجدة طالبة للهواء . لأستيقظ بعدها...

كل شيء كان في مساره علي النحو المضبوط، جاؤوني ليلا، أخذوني من علي فراشي بلباس نومي، لا أعلم كيف وصلت لسيارتهم، بشريطة سوداء حجبا عني الرؤيا حين وضعوها علي عيني، في غرفة تخلوا من كل شيء إلا من دخان سجائرهم، هم لا يعرفون أني أعاني من ضيق التنفس، وأنا لم أخبرهم، ولو عرفو هل تراهم يمتنعون؟! . خرج مَن كان بالغرفة، رفعت غمامتي، حجرة ضيقة لا تتسع إلا لما هو فيها، كرسي، منضدة، وحبل متدلي من السقف ليعلقوا منه ذبائحهم. أعرف ما أنا مقبل عليه. ما عدت أخشي عذابهم، يعرفون أنني جئتهم قبل ذلك، ويعرفون أيضًا أني من أول خمس جلدات خارت قوايا وعرضت عليهم خدماتي تطوعا، هربت من سياط الجلد لأقضي عمري يلهبني سوط الضمير، هربت من جحيم غلظتهم وقسوتهم لأعيش في سعي مهانتي وذلي وهواني علي نفسي وأنني لم أكن أبدا رجلا. الجلد والكهرباء يجعلان أعتي العتاة يصرخون بين أيديهم . الجسد يئن ويصرخ فيصرخ معه الفم، العظام تتفتت وكأنهم استخلصوها من ثنايا اللحم بعد أن صار عجينا هريا. لن يتركوني إلا ضعيفا هشا ليئا باكيا ففي كل هذا انتصارهم فحياتهم لا تستقيم إلا بكسري واغتتيال كرامتي. إن تحملت وكتمت صراخي فهذا سيغيظهم وسيحولهم إلي وحوش ضارية تنهش لحمي كما تنهش الضباع فريستها. سيوصلون الكهرباء لأماكن حساسة في جسدي فتتكفل بصراخي فيهزأ بي أحدهم قائلا " متجمد يا مرة أmaal عامل فيها راجل ليه " هم لم يجربو جحيمها، لا يعرفون أن الكهرباء

حين تسري في الجسد وتستشري تجعل العقل يغلي ويفور، تمنى الإغماء وما إن تقرب منه إلا وتجدهم قد توقفوا، فترى نفسك وكأنك عائد من اللذي فيناوبوا ليوصلوك إليه مرة أخرى...

بعد ساعة دخل غيرهم، من هيئتها عرفتها، أحدهما شاويشا وهذا ظاهر من شكله الضخم وملبسه وبذلك سيصبح هو المسئول عن ضبط زواياي واتجاهاتي إن رأي الأخر أنني في حاجة إليها. الأخر كان في مثل عمري تقريبا وهو الذي بدأ معي التحقيق، سأل عن إسمي وكأنه لا يعرفه، سأل عن وظيفتي وكأنهم لم يتحروا عني، سأل عن أبي قائلا: يعني أبوك كان شيعي؟

أجبتة محاولا إظهار تماسكي: معرفش أنا كنت صغير لما إتقتل، وبفرض إنه شيعي، دي مش تهمة

- أبوك يا علي متقتلش دي حادثة، خيانة بينه وبين أهل الشارع، كانت النتيجة إنه مات..

- حضرتك بتسمي إن واحد يتأخذ من بيته، ويتولّع فيه في نص الشارع وفي عز الضهر يتسحل في شوارع بلد إنها خيانة؟

بإبتسامة مستفزة تحمل كثيرا من المعاني أجاب: خلاص يا عم متزعلش نفسك إتقتل، وأكد الواد طلع لأبوه

- لا يا افندم أنا مطلعتش لحد وأكد حضرتك عارف

- أيوه عارف إنك إنضميت لجماعة الجهاد وبتأيد أفكارهم

فهمت ما يرمي إليه المحقق والفتح الذي يريد إيقاعي فيه فأجبتة بطريقة
توصل إليه أني أستشعر فحه قائلاً: بص يا افندم أنا لا شيعي ولا جهادي ولا أي
حاجة وحضرتك عارف كده كويس، وعارف برده إني في فترة كنت متعاون
معاكم

- ليه بتجمل المسميات يا علي، مسمهاش متعاون، إسمها مُرشد، عيل
مرشد كان بيكتب تقارير في زمايله يعني من الآخر خاين وشموط ومعندكش
أصل..

لم أكن أعلم أن سياط الكلمات أشد وعورة من سياط الجلد، هو لم يخطيء،
كنت خائناً، هانت عليّ نفسي فهان عليّ الآخرين. وكرغبة مني في عدم إظهار أن
كلامه لم يدحض إرادتي أجبتة: أنا صحفي وإسمي مدرج في نقابة الصحفيين
واللي بيحصل معايا غير قانوني ومش هتكلم إلا في وجود محامي ومندوب من
النقابة...

بعد شخرة وإشارة من المحقق أعلن الشاويش عن وجوده الذي كنت قد
نسيته في غفلة مني ساحبا من تحت بنطلونه هرواة كاوتشية ضاربا بها إيايا في
أنحاء متفرقة من جسدي غير مكثفيا بهرواته مشاركا إياها قدمه ويده الأخرى
فتكومت أرضاً...

وبعد أن إنتهي الضخم من ضربي غادر المحقق كرسيه أتيا إلي مكاني نازلا
علي ركبتيه دون أن أن تلمس الأرض واضعا يده علي رأسي قائلاً بكل هدوء: هنا

لا في محامي ولا في مندوب، كام مرة أقول سيبوكم من الأفلام اللي مبوظة
دماغتكم دي ومحفظاكم كلام عبيط، هنا مفيش غيري، واللي بعوزه هيحصل
وإنت هتتكلم باللي أنا عايزه وبس.. متفقين..؟

قالها وهو يشدني من شعري ليجبرني علي الوقوف ليكمل كلامه:

طب تمام إنت لا شيعي ولا جهادي ولا أي حاجة زي مبتقول، إيه بقى
بيوديك للعيال بتوع ٦ إبريل، إوعي ياد كان في حاجة بتاكلك فقولت أروحلهم
يمكن الأقي حد يربجني

أجبتة بصمت لم يطل بسبب تدخل الضخم ليصنعني علي مؤخرة رأسي
قائلا: رد علي الباشا "...

وقعت أرضا من قوة الصفحة، تحاملت علي نفسي لأغادرها واقفا ودون أن
أدري هجمت علي ذلك الضخم محاولا ضربه، لم تنجح محاولتي بل أنها لم تبدأ،
ركلني بقدمه بين فخذي لأقع أرضا مرة أخري متألما، ليسحب المحقق صاعقا
كهرييا كان علي المنضدة التي أمامه فيصعقني به مرة تلو الأخرى قائلا بلهجة
يملؤها الحزم والقسوة: إنت فاكر نفسك راجل يا روح أمك، وشرف أمك اللي
مكنش ليها شرف لعرفك إن كنت راجل ولا مرة، يصرخ بإسم أحدهم فينفتح
باب الغرفة علي رجل لا يقل ضخامة عما بداخلها فيقول له المحقق: هات حد
معاك وتعالى

يدخل إثنان أخران الغرفة فيأمر المحقق الثلاثة قائلاً: قلعوه كل هدومه

لم أقاوم، فلم أكن أستطيعها، فالألم كان يحتل كل أنملة من

جسدي، لم أقاوم لأني لو كنت أملك بعضاً من مقاومة ففي تلك اللحظة

كنت أدخرها لوعبي الذي كاد أن يغيب بسبب عدم قدرتي علي تحمل الألم أكثر...

أوقفوني ساندين إياي بعد أن عروني تماماً، كان المحقق منهمكا في

هاتفه يتصفح شيئاً ما ليرفع عينيه صوي فينظر إليّ ملياً ليقول مبتسماً

- إنتو بتوروني عضلاته يا معرصين، قلعوه البوكسر عايز أكشف علي إين

الوسخة ده أشوفه راجل ولا نتاية..

هنا قاومتهم إلا أنها مقاومة لم تستمر، فقد صنعو حولي دائرة ضارين إياي

بكل ما أوتو من قوة، بالأقدام، بالأيدي، بالهروات، حتّى فقدت الوعي..

من قال أن الغائبين عن الوعي لا يُدركهم الألم، لا تأتيتهم الأحلام، فقدت

وعبي فرأيتك حلماً. كنت أظن أنك ستأتيني مؤازرة ودعماً، كنت أنتظر منك أن

تحثيني علي التحمل والصبر والمقاومة، لم أكن أتوقع أن تأتيني لتموتي إثناء غيبي

عن أرض الألم، موتك حتّى وإن كان في خيالاتي فاق كل الألم الذي سببته

هرواتهم وأقدامهم. لم أتحمل ألم موتك في إغمائتي فعدت إلي وعبي فوجدت يدي

خلف ظهري معلقاً منها بذلك الحبل المتدلي من السقف، مربوط في قدمي

أسطوانة غاز منزلي، كتفاني يكادان أن ينخلعا من مكانها، مهما وصفت قدر الألم

الذي كان يتتابني فكل أقلام الدنيا أن تبارت فلن تستطيع وصفه، لا أدري إن

كنت ساعتها أصرخ أم لا فصراخ جسدي كان يغطي علي كل شيء، لم تكتفي
 زبانية جهنم بتعليقي بل تناوبوا على ضربي حتى أشار إليهم المحقق بالتوقف.
 إقترب مني واضعا يده علي الإسطوانة المعلقة في قدمي. كانت كل لمسة منه علي
 الأسطوانة تجعل الألم يتفاقم، كل هزة بسيطة تزلزل جسدي بمقياس عشرة ريختر.
 دفع الأسطوانة دفعة بسيطة فبان الألم علي وجهي فقال لي بشيئة: مستعد

أفك الأنوبية، بس ميرضيكش إني أفكها ببلاش، هفكها لو قولت أنا مره..
 ضحك بشدة، تحاملت كثيرًا، جاهدت الكلمات التي تأتي الخروج من فمي:
 أنا مش مره.. أنا أرجل منك..

هذا آخر ما أذكره، هذا آخر ما نطقته. أطفأ سيجارته في مؤخرتي، تناوبوا
 علي ضربي وتعذيبي. لم أفق إلا علي همهمات تقبلتها أذني لأسمع أحدهم يقول:
 إبتدي يفوق

فتحّت عينايا لأري كثيرًا من الوجوه واللحي، تلفت في بطاء لأتبين ما أنا
 فيه، عرفت أني في حجز مخصص للإسلاميين، حاولت النهوض لكني لم أستطع،
 شعرت أني علي وشك الإغماء مرة أخري، لم أقاوم، بل تمنيت الإغماء لعلكي
 تأتييني..

من قال أن الغائبين عن الوعي لا يُدركهم الألم، لا تأتيهم الأحلام..

(١٣)

لم أصدّق أبدا أنك مريض. حدّثتني نفسي أنك تدّعي المرض، وأن مرضك هذا ليس أكثر من عملية إستدراج خائبة فائحة الرائحة لآتي إلي شقتك. في البداية قررت عدم مجاراتك وغلق باب إستدراجك لي مثلما أغلقت الهاتف بعد تلقي مكالمتك، لكنني لا أعلم لم فكّرت في مطاوعتك وتلبية ما ألت إليه نفسك، أهو رغبة مني في أن أرى في نفسي أن هناك من يريدني، أم أنه تصديق مني بأني كشفت لألعيبك وأني قادرة علي حماية نفسي حتّى وإن كنت أنا وأنت بصحبة شيطانك. كأن عقلي وقتها غادرنى هاربا من كثرة عصف أفكارى. لم أشعر بنفسى إلا وباب شقتك مفتوح علي مصراعيه وأنت واقف أمامي مذهولا لمجيبى داعيا إياي للدخول...

لما دخلت عرفت لم قررت المجيء، لم ساقطني قدماي إليك، عرفت أيضًا أنك لم تكن تدّعي المرض بل أنك من الأصل لم تتوقع حضوري، كنت مريضا بحق، أيقنت لحظتها أنى جئت لأعرفك أكثر، أقرب من عالمك في غفلة منك دون تجمل لأعرف كيف تعيش، كيف تحيا بمفردك، كنت أريد أن أراك على طبيعتك عن قرب ودون رتوش...

حاولت الجلوس لكنك لم تستطع ولم تقو، أسندتك، أدخلتك إلي فراشك، دثّرتك بغطائك، لا أدري لماذا حينها أتاني اليقين وأشرق قلبي بالحنين لطفل

منك، لا أدري لماذا لامست يديّ جبهتك، لا أعرف لماذا مرّت علي شعرك وكأن أصابعي تزداد من خصلاته من بعد سفر طويل، ضببت نفسي متلبّسة وأنا أربّت علي كتفك بعدما أخذت يدك بين راحتي لأقبلها

فأضعها تحت غطائك، لِمَا فجأة إختلفت نظرتي إليك، لم عصتني عيناى وأعلنت تمردها فلم أستطع أن أرفعها عنك. أنظر إليك، وكأن عيني تتعرف علي النور لأول مرة في وجهك. ما أبشع الإبحار في الضباب، الحقد والكراهة يجعلك في ليل دائم، يغيب القمر وينظفنيء فتيله فتنتشر الظلمة فلا تري حتّى نفسك، كل شيء في العين بقايا، فتات، الصورة مهزوزة غائمة، تستحسن الليل في بدئه فترى فيه العزلة والهدوء لكن سرعان ما تخشاه حينما يأتيك اليقين بأن المجهول فقط هو رفيق الليل ومؤنسك. كفاني غربة وتيها، أن الأوان ليستريح قلبي فيرسو علي شطآن حبك فيلم شرعه خافضا مجدافه منكسا راية ألمه . في النهاية وقبل أن أغادر غرفتك خلعت حجاي متوجهة إلي المطبخ لأفعل مثلما رأيتهم يفعلون في الأفلام فأبحث عن شيء صالح للأكل فأصنع منه وجبة غذاء تُقويك وتجعلك قادرا علي مواجهة ضعف جسدك الظاهر والجليّ، وكما هو الحال في نفس تلك المواقف لم أجد شيء...

لا أستطيع نسيان ذلك المشهد أبدا، لما عاودتُ إرتداء حجاي مستعينة بمرأة غرفتك، عازمة المغادرة للتسوق . فرحت كثيرا، رقص قلبي لما واتتني فكرة أن أخذ مفتاح الشقة، حتّى لا تغادر فراشك مرغما لفتح لي حين عودتي. شعور لا

أستطيع وصفه وأنا أنظف شقتك مرتبة محتوياتها المبعثرة، عشقت نفسي وأنا أطهو لك متذوقة ما أطهوه لأجده أشهي وأطعم ما طهوته في حياتي بأسرها رغم كونه طعام مرضي خال من كل محسنات الطعم . قاومت نفسي كثيرا ألا أحتضن قميصك وأشتم

رائحة عرقك فلم أستطع...

الأن أعترف أنني أحببت دون قيد أو شرط. أحببتك دون إرادتي، دون وعي مني، كالعادة جانبنى قلبي، حتى حبك لم أختره، فقدت القدرة علي التحكم، لم أعد قادرة علي مواصلة إدعائي أني لا أذوب فيك عشقا، أني لا أتففسك، لم أعد أقوي، رضخت رغما عني وأعلن قلبي الإستسلام خارت كل قواي في صد عشقك، حبك فرض عليّ، لم أكن أريده، فعلت كل شيء حتى لا يتسلل إلي قلبي، جاهدت وحاربت حتى أتوقف عن حبك، ال أن أحبك، وفي كل مرة كنت أحاول فيها كرهك كنت أحبك أكثر. كعائم ضل البر، يسبح بكل ما أوتى من قوة جاهل أنه يتعمق في البحر. كنت أظن أني سأظل ثابتة علي موقعي ويظل قلبي متمسكا بها إكتسبه من سنين القسوة التي مرت عليه فجعلته صلدا مجوفا تتردد فيه المشاعر وسرعان ما تنمحي ليقف في وجه أي محاولة للتغير. لم ساقك القدر إليّ، كنت إعتدت الحياة علي منوالها، كنت أظن أني سأظل أكره ما دمت أحيأ إلا أني أحببتك، هذا قرار قلبي الذي ليس لي دخل فيه، إختياره وقدري، أنفاس روعي ونبضي، شمسي التي تشرق بين كفيك دون غروب، غدي

الذي أراه كامنا في عينيك. أتذكر أخي فأرغب بالهروب والبعاد لكن من يعشق لا يملك حرية الإبتعاد، فالفراق رفاهية لا يملكها العشاق وياليت الأمر قرار يأخذه عقلي لكانت الراحة نصيبي فقلبي هو الذي يسيرني، هو الخصم وهو الحكم...

وقفتُ أمام فراشه أنظر إليه، لا أنبس بكلمة حتى لا يستيقظ، أتأمله في صمت ورغبة لأشبع منه فيرتوي قلبي الذي لا يفارقه الظمأ . حتى صوت أنفاسي ودقات قلبي أحاول منعها فأجدهما يهتفان بإسمه. فتح عينيه فأشرقت الأرض بنور ربه، رأني أنظر إليه وأتمعن في تفاصيل وجهه سارحة فيه فابتسم في عذوبة ودفء فابتسمت الدنيا لأول مرة. إقتربت منه لأساعده علي الجلوس بعد أن وضعت وسادة وراء ظهره، لمس جسده جسدي جعل كلي يرتجف، سرت بجسدي رعشة لا أستطيع وصفها، رعشة لم تكن لإضطراب أو لخوف، وكيف أضطرب وقد وهبت جسدي له، جسدي الذي أقسم بحبه وصار عشقه يسري في أوردتي وشراييني، وبمثل ما كرهت جسدي قبل ذلك بمثل ما عشقته وقتها...

إكتشفت فيك شيئاً جديداً، إكتشفت فيك خجلك وأنا أطعمك بيدي، كانت عيناك تفر كلما تلاقت عينانا، كنت كما الصغير الذي تُطعمه أمه فيأني، حتى يريها أنه قد كبر وأنه يستطيع الإعتماد علي نفسه. لماذا فعلت بنفسك هذا؟، لماذا سلّمت نفسك لأول شار علي الطريق، كنت تستطيع أن تصمد حتى نلتقي فتصير لي وأصير لك...

عاودت نومك كما صغير شعر بالطمأنينه لوجود أمه جواره تداعب شعره
 في حنان. قمت من مكاني لأكمل ما بدأت في تنظيف شقتك. لم أدري سببا
 لسعادتي، لم يرقص قلبي فرحا هكذا. أنا سماح التي كانت لا تعيش إلا لتكره .
 كيف لم أفجع ولم أنتفض لما تلامسا جسدانا دون قصد. قبل ذلك كنت لا أطيق
 أن يلمس أحدهم جسدي حتى لو كانت إحدى صديقاتي، لما لم أجدع بل وددت
 لو أن يكمل...

فوجئت بك ورائي . ببطء مددت يدك، لمست كتفي، أدتني بهدوء، كنت
 مستسلمة لك فأزيلت كل المسافات بيننا، لم يبق منها غير المسافة التي بين شففتينا،
 أسبَلْتُ جفناي، أردتُ الإرتماء بين ذراعيك، لم أكن أبدا خائفة منك كان يقيني
 أنك ستحافظ عليّ، أردتني أن أسكن في صدرك، هكذا قالت عيناك، إحتضنتني
 لأستقر في المكان الذي خلقت خصيصا لي وخلقت من أجله. أملت رأسي علي
 كتفك، إحتضنتني أكثر حتى صار قلبك بين ضلوعي فتسللت يدك تداعب
 شعري، أدركت مطلبي وعرفت كم أنا في أمس الحاجة لتلك اللمسة الحانية
 والتي لا أريد غيرها لتخرجني من الظلمات إلي النور ومن جحيم القسوة والكره
 لجنة الخلد التي لا تعرف غير الحب. إحتضنتك بذراعي وكأني أخشى أن يأخذك
 أحدهم مني، لم يرسل نخي إلي يدي أي إشارة، ورغم هذا رأيت يدي تذهب إلي
 يديك ليستقر كفي علي شاطيء كفك فيرتوي عطشه وتنساب خطوطه وتجاويفه
 سهولا وبساتين، بيدي رفعت يدك فقبّلت راحتك قبل أن أضعها علي خدي

أستقي منها الحب والحنان، كانت شفثاي مثل كفي تصرخ عطشا، نادتني شفثاك، أرادت أن تزيل حتّى المسافة التي بين شفثينا، تُسقط كل قيم المسافات فتصبح المسافات عدم والوقت خواء لا تتحرك عقاربه. نادت فلبيت النداء، أجابت شفثاك شفثاي، تعارفا والتحما فتلاقى نهرانا لتوقفني دموعك التي لامست خدي، أيقظتني، جعلت من نفسها سدا حتّى لا تنهل من جسدي فينسب نهر عطشي أكثر من هذا، أخرجتني من حضنك، أبعدتني برفق، رأيت دموعك تتهادي علي خدك، مددت يدي لأمسحها قائلة: ليه بتعيط يا علي

- مين قال إني بعيط؟ أنا مبعيطش، إنتي إتأخرتي ولازم تمشي

- لا بتعيط. في إيه؟

- مفيش حاجة صدقيني، تعبان بس شوية

قالها ليستند متكئا علي المقعد الذي يقابله فيجلس عليه، فجلست قبالته علي ركبتي تحت قدميه لأمسك براحتي وجهه قائلة: مش موضوع تعب، إنت في حاجة مخيها عليا..؟

نظر إليّ وفي عينيه حنين الدنيا ونعيمها، سافرت أصابعه بين ثنايا شعري ليلمس خصلتين تاهتا علي وجهي فيرجعها خلف أذني. خساً من قال أن الشيطان يكمن في التفاصيل. فكل خلجة من خلجات وجهك، كل لمسة، كل نظرة، كل تفصيلة منك نحتتها عيني علي جدارات قلبي. إلى ال أن ما زلت أذكر تلك النظرة التي رأيتها في عينيك، كانتا مغرورقتان بالدموع، ترغب الكلمات كما

الدموع الخروج منها. تحملني يديك، تساعدني علي النهوض لتجلسني علي مقعد قائلا: أقعدي يا سماح واسمعيني كويس عايز أقولك علي حاجة.

بكلمات ثقيلة علي لسانك تأتي الخروج، بصوت خفيض وأنت تفرك يديك ببعضها بدأت الحديث. حكيت لي كل شيء، عن أماني وخيانتك لأخي، حتى ماضيك وتعاونك مع الأمن والأبلاغ عن أصحابك، كل شيء حكيتك وكأنك تعترف بين يدي راهب متخلصا من كل أثامك...

سمعتك دون تعليق، لم تصدر عني ولو كلمة واحدة، أردت مساعدتك في أن تلقي ما علي كاهلك من أحمال، أردتك أن تتحرر من قيد شرك وأغلال ما تخشي أن أعرفه. جلّ ما قلته كنت أتوقّعه . ولكم تمنيت أن يخيب ظن توقعي، كنت كما الغارقة المستنجدة أبحث بين كلماتك ولو كذبا عن ما يخفف وطأة حديثك وقسوته، كم تمنّيت أن يكن حديثك كذبا ملفقا. ورغم معرفتي إلا أنني صُدمت وكأني أعرف لأول مرة، كانت كلماتك كما السكين الثلم يقطع في قلبي دون رحمة. تركتك مغادرة وكان هذا آخر ما بيننا قبل أن يعتقلوك..

خمسون يوما علي فراقك، كل يوم يمر كهلا، يسير ببطء، يمر وكأنه دهرًا. خمسون يوما بدونك، خمسون صباحا، خمسون ليلا، في غيابك لا أشعر أنني أحياء، تثن ضلوعي في كل نفس تأخذه رثائي رغما عني. في بعدك تخمد ثورة نبضاتي فتغادر ميدان قلبي معلنة إستسلامها لاستبداد غيابك، تعصاني إرادتي، تذوب كمكعب ثلج أخرجوه من مُبرّد ليضعوه في قلب صحراء اليأس القاحلة. لكن

ورغم هذا لن يفت عضدي، سأناضل مدافعة عن حبك حتى لو وقفت وحيدة أمام جحافل اليأس، سأناضل حتى وإن لم يتبقي لي إلا قلبا يحمل ذكري ذراعك التي إحتوتني في ذلك اليوم. سأظل أنتظرك، لن يروا مني غير بأس إرادتي في إنتظارك، لن يشموا خوفي وخشيتي من أن تشيخ روحي بدونك فتخبوا ثريات عشقي لك فأرجع مجبرة للظلام مرة أخرى. لكن حتى وإن رجعت سأظل أحياء علي أمل لقياك لتُخرجني مرة أخرى من غياهب سجن ظلمتي...

لو كان الأمر بيدي ساعتها لأوقفت عقارب الساعة، لا اعتزلت العالم إلاك، لأختزل فيك الحياة فأجعل من حضنك شرنقة لا أخرج منها أبدا. نعم تمنيت وقتها أن يتوقف الزمن، فيثبت المشهد، لتتوقف كل الأشياء، فتسكت كل الأصوات إلا صوت أنفاسك، وهمس شفتاك لشفتاي فيسمع قلبي سرها الأعظم فيظل يتردد بين ثنايا روحي إلي أبد الأبدين. تزيد الأمنيات تترجاني أن أتمناها. ففي حضنك شعرت أني ملكت الدنيا فزادت رغبتني في توقف الوقت بنا في نقطة شفق فوق سحابات شتاء دافئة أو نقطة مطر تحملها ريشة طائر مهاجر لما وراء الوجود. إني أحبك وسأنتظرك لعلك في يوم تأتي، لعلك في يوم ترجع، فتتبر ظلمتي، وتهدأ امواجي المتلاطمة. فترسو سفيتني على شاطئ. سأنتظرك حتى ولو ضج الأنتظار من أنتظاري وأضحى أنتظارك لا أمل فيه ولا رجاء...

(١٤)

في منتصف الصالة جالسة أرضا بين المقاعد المتناثرة يلامس مشطى قدميها الأرض، تتعانق يداها بعد فراق مرتاحة على ركبتيها، يختبئ وجهها بالكامل في الفراغ الكامن بين فخذها ويديها المتعانقتين فلا يظهر منها غير شعرها المنسدل والذي تبرع هو الآخر بتخبئة ظهرها المحنى بفعل العجز. يتخطاها شعاع نور بخيل نحيل خجل متقطع يأتي على هيئة نبضات من لوحة إعلانية على سطح البناية المقابلة، شعاع نور يأبى الدخول طوعا فتسرب مجبرا من بين خيوط الستارة الحالكة التي على النافذة. فلتات نور تعارك الظلام المنتشر فيتصر عليها فلا يبقى غير بقايا من ضوء باهت أتى مستقره على صورة المسيح المعلقة التي تجلس قبالها...

ترفع وجهها، دموعها على خديها مفتوح هويسها، دموع غزيرة متواصلة تروى الخد فينبت الحزن أوراقا وفروعا فيصير شجرا يغمر الوجه. تنظر ألى الصورة فترى مسيحها ينظر أليها معاتبا خاصبا بعين حزينة. تلتاع نظراتها، تغمض عينيها معاودة طمس وجهها. تخرج الكلمات فلا تدري حين تسمع من أين يجيء صداها، وكأن جسدها هو الذي يتكلم لا فمها..

الآن أعرف لما تعذبت لتحمل عنا خطايانا، غفرت وأنبت إلا أنك لم ترفع عنا العذاب والألم، غمستنا فيه، تركتنا له ينهش صدورنا فيقتات علي حياتنا حتى ينهيها. ضننت بكرمك فتركت فينا ما يفوق ألم الذنب إحتمالا. كنت تستطيع أن

تميتني فترفع عني كل عذاباتك وتجنبي إياها، كنت تستطيع أن تترك لي أبي ولا تأخذه مني بحسرتة عليّ. سلاحك الموت وأيضا كلمتك، تلقيه وتلقيها دائماً في أذن من لا يسمع وعقل من لا يدرك وقلب من لا يشعر أو يريد. لم يرد أبي الموت ولم أرده له فأردته وأمته، دعوتك علّك تستجيب فتمن براحة الموت وخلاصه لي فبخلت به، كتبت العذاب والألم، تأخذ منا ما نتمسك به وتترك فينا ما لا نتحملة ولا نطيعه، تصنع من حياتنا تيهًا وتحاسب إن ضلت خرافك الطريق.. كيف السبيل.. كيف الخلاص...

ظلت على حالها ساقطة راسها بين قدميها، تخرج الكلمات منها فتسمعها واضحة أو مهمة ثم تصمت بعدها كثيرًا فلا يميزها عن الأحياء إلا صوت أهات تذرفها بين الحينة والأخرى. تقاطعها رنة هاتفها فتقاطعها. يصرخ جرس الباب فتأبى سماعه..

تسمع أمنية من وراء الباب تهاتف أحدهم سائلة عنها قائلة: أيوه موبيلها جوه سامعاه، عمال أرن الجرس محدش ييفتح

تتحامل لي لي علي نفسها مغادرة جلستها لتفتح لأمنية الباب

- أيه يابنتي معقول كل ده نايمة!! الجيران صحبوا

تدعوها لي لي للدخول فتكمل أمنية

- وليه الضلمة دي؟ قاعدة في الضلمة كده أزاى..؟

تتحسس أمنية الحائط حتى تصل أصابعها لمفتاح الأنارة فتضغطه،

تصعق حينما تري وجه لى لى قائلة: في آيه!؟، أنتى كتنى بتعيطى؟

تمسح لى لى وجهها بطرف كمها قائلة

- لا بعيط ولا حاجة يمكن عشان لسه صاحية

- في آيه يا لى لى، أنتى بقالك كذا يوم مش مطبوة مالك يا لى لى هتخبي

عليا!؟

- صدقنى مفيش، أنتى بس اللى بيتهيا لك، تشري آيه؟ أنا هعمل لنفسي

نيس كافي، أعملك معايا؟

تومى أمنية بالموافقه فتغادرها لى لى متوجهة للمطبخ..

تخاطبها أمنية معلية من صوتها قائلة: طب مكتتيش بتردى على موبيلك ليه

ده كمان بيتهيا لى؟

بصوت عال: عاملاه "سيلنت" ومببصش عليه خالص ولا بمسكه

قالتها ليات صوت أشعار من هاتفها يكذبها..

تنحنى أمنية أخذة هاتف لى لى الملقى على الأرض فتجد على شاشته المضيفة

أسم رفعت زوجها، ودون أن تدري تعبت أصابعها بكلمة مرور مرسومة فيليبها

الهاتف مفتوحا..

تقرأ أمنية الرسالة فيظهر الدهول على وجهها، تدخل لى لى حاملة

صينية عليها كوبين من الخبز يتصاعد منها دخان ما فيها، ترى أمارات الدهول

على وجه أمنية فتظهر الصدمة جلية على وجه لى لى..

بعد صمت مطبق تكسره أمنية: ايه ده؟ تجاوبها لى لى بالصمت فتكمل أمنية:
أنتى تخونينى؟

بتلعنم: أنتى مش فاهمة حاجة

بغضب وصراخ: مش فاهمة ايه؟، ايه اللى مش فاهماه؟،

أقرب صاحبة ليا جوزى باعتلها رسالة يقولها أنه جايلها بليل وبسلامته

بيقولها على القميص اللى نفسه يشوفه عليها، ايه اللى مش فاهماه يا لى لى؟

ترتعد لى لى مرتجفة من صراخ أمنية فيسقط من يديها ما تحمله لتكمل أمنية

- وأنا اللى كنت بجيلك اشتكيلك؟!، مصعبتش عليكى؟!، مقولتيش مرة

لنفسك كفاية دى صاحبتى، دموعى مآثرتش فيكى؟!، هنت عليكى للدرجادي

عشان تعملى فيا كده؟!!

بصوت خفيض مكتوم: ممكن تسمعيني؟

- أسمعك!!، هتقولى أيه؟!، هتقوليلى أزاى خنتيني؟!، ولا هتقوليلى كنتى

بتحسي بأيه وانتي في حضنه؟

- لا مش هقول اي حاجة من دى، أنا هقول أنا أسفة

بصراخ: أسفة؟!، تخونينى مع جوزى وتقوليلى أسفة؟!، والمطلوب منى

بقى أيه دلوقتى؟، أقولك لا عادى ولا يهملك؟!!

- مش مطلوب منك حاجة غير أنك تعرفي أنى ندمت، وأنى حاليا بمقابلوش، وان كل كلمة كتتى بثشكيلي فيها منه كانت بتدبحنى، وأنى والله أكثر من مرة حاولت اقولك واعترفلك، بس كنت ببقى خايفة أخسرك

- وأنتى كده كسبتينى؟! ولما أنتى خايفة تخسرينى ليه عملتى كده؟! ليه رميتى نفسك في حضنه، ليه ختتينى، عملت فيكى أيه عشان تعملى فيا كده؟

تتهاولى أمنية على أحد المقاعد باكية بشدة واضعة وجهها بين كفيها، تقترب منها لى لى، دون أن تشعر تدوس على بقايا الأكواب المكسورة التي كانت تحملها فتجرح قدميها، يختلط الدم ببقعة المشروب المسكوب على الأرض، تتردد في وضع يديها على كتفها، تضعها في نهاية الأمر لما أستمر نحيب أمنية، تربت عليها
قائلة: ساحينى..

تتوقف أمنية عن البكاء لتنظر أليها صامتة مستنكرة فتكمل لى لى: عارفة أن أي حاجة هقولها مش هيبقى ليها لازمة، لكن ساحينى، غضب عني كانت واحدة غيري مكنتش أنا، وصدقيني ندمانة، بتقطع وبموت كل دقيقة، كفاية اللي انا فيه، ساحينى

- أسامحك؟!، أسامحك على أيه ولا أيه، أسامحك على الليالى اللي عدت عليا دمعتى فيها منشفتش من على خدى، ولا أسامحك على كل مرة كان بييجينى فيها من عندك وابقى شامة ريحة جسمك على كفه وشايفة صورتك في عينه، بسهولة كده أسامحك؟، عارفة أنا كان ممكن أتحمل خيانتته مع ميت ست غيري لكن فعلا

خيانته معاكى حاجة تانية، أنتى خلصتى على اللى باقى منى، قتلتى فى آخر حاجة
ممكن تخلىنى مجبرة أنى أعيش

يعلو بكاء لى لى ففتوه الكلمات بين نحبيها فلا تميز أمنية من كلماتها غير
كلمات مبعثرة مثل، أنتى أعز صاحبة ليا، انا تعبانة أوى، أنا محتاجالك،
متسبينيش، أنا أسفة، أنا بتمنى الموت

بغلظة تدفع أمنية يد لى لى التي على كتفها قائلة: موت!، الموت لى
زيك راحة، اللى زيك المفروض ميموتش يفضل يتعذب فى الدنيا بذنبه
يتمنى الموت وميطلوش..

تقف أمنية على قدميها فتبادها لى لى التداعى على ركبتها متوسلة قائلة:
عشان خاطرى ساعينى أنا أسفة

ناظرة أليها نظرة تحمل كل غضب الدنيا ومقتها قائلة: ممكن ربنا يسامحك
مع أن اللى زيك شيطان أتخلق بس عشان يثذي، أما انا وحتى لو حاولت أسامحك
فمش هعرف، أنتى قضيتى عليا..

تغادرها أمنية صافعة باب الشقة ورائها لتظل لى لى جاثة على ركبتها كما
كانت ناظرة شاخصة ألى الباب لتتهاوى أرضا على جنبها متكورة على نفسها عاليا
نحبيها...



يا صديق، في الطريق كنت معي،
تلك الجثة التي زرعتها في أرضك
هل بدأت تورق؟،
أم أن صقيع المشاعر قد أقض مضجعها..؟

(١٥)

الحقيقة.. تخيل انها في صندوق مغلق، لا تعرف ما بداخل الصندوق، احتمال الحقيقة يتساوي باحتمال الزيف طالما لم تفتح الصندوق، ما بداخل الصندوق ينتظر لك تحدد ماهيته. أنت الذي تجعل من الحقيقة حقيقة ومن الزيف زيف، عقلك فقط هو الذي يحدد أمر الشئ بناء على ما استوعبه، فيظل السؤال قائما هل ما استوعبه عقلك هو الحقيقة؟، وهل لما استوعبها فإنه قد استوعب الحقيقة كاملة؟، باختصار هل يستطيع أحدكم أن يري ضوء الشمس كاملا...
 ينحي الميكروفون قائلا: دي آخر محاضرة في المادة، اللي عايز يسأل يفضل، وبلاش سؤال إيه الملغى لأن مفيش حاجة ملغية، كل اللي في الكتاب ممكن بييجي منه الأمتحان..

يضحك الطلاب بادئين برفع أيديهم منتظرا كل منهم اختياره لي طرح سؤاله فيختار محسن أحدهن قائلا: نحاول نكون متحضرين ونبدأ بالبنيات الجميلات، قولى سؤالك
 كده حضرتك بتشكك في كل حاجة، حضرتك كده بتقول أن مفيش حاجة أسمها حقيقة.

يشير إليها محسن بالجلوس قائلا: كنت واثق أنكم هتفهمو كده، مع أنكم لو ركزتوا في كلامي هتلاقوني بقول العكس تماما، هفرض مثال. لو حالا سألت واحد فيكم كام واحد في القاعة هلاقى أجابات كتير مختلفة وكلها صح هلاقى

واحد يقول أن اللى فى القاعة هو عدد الدفعة، هو صح لكن مش ده العدد الفعلى الموجود حاليا. هلاقى واحد تانى هيبص على عدد المدرجات ويخمن أن كل مدرج فيه عدد ما وبطريقة حسابية هيقول المدرج فيه كذا، برده هو صح لكن برده مش ده العدد الفعلى، وهلاقى برده واحد تالت وهيكون على يقين أنه صح لأنه عد كل الموجودين فعليا وقال على عددهم لكنه وهو يقول على عددهم مأخذش باله من الأستاذ المتأخر اللى لسه داخل حالا متأخر قالها مشيرا على أحد الطلبة الداخل توا من باب القاعة

يضحك الجميع فيرتبك الطالب قائلا: أسف يا دكتور والله المترو

يشير إليه محسن بالجلوس قائلا: طبعا هفترض أنه صادق وأنه مبيكدبش بس فى الحالة دى هكذب النظام اللى قال فى نشرته من شوية أن المترو متعطلش النهاردة وغالبا النظام هو اللى بيكذب

تعاود الطلبة ضحكها فيكمل محسن قائلا: الإيمان هو الفيصل، هتفضل الحقيقة حقيقة والزيف زيف لكن بالأيمان، بالتصديق القلبى أنا مسيحي ومن حقى أشوف المسيحية حقيقة وأنا فعلا شايفها كده، لكن هل ده معناه إن الإسلام زيف..؟؟

تسرى همهمات بين الطلبة معترضة فيكمل محسن: لا، الإسلام مش زيف ولا أنا شايفه زيف، وعلى فكرة بحب المشاوى وبتسلطن منه، وبعشق نصر الدين طوبار والنقشبندى وقلبى بيهدى لما بيسمعهم. وهقولكم مثال يبين ده.. فى

أيتين في سورة المدثر يقولو " كأنهم حُمُرٌ مستنفرة، فرت من قسورة " حد فيكم يعرف يفسر الأيتين دول..؟

يرفع معظم الطلبة أيديهم فيتعمد محسن إختيار شاب ذا لحية ظاهرا علي هيئته التدين قائلا: إتفضل إنت

- كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة.. أبتين في وصف أهل الكفر يوم القيامة بأنهم سيفرون من النار فرار الحمر جمع حمار إذا رؤوا أسدا قويا
- برافو إنت فعلا قسورة، صقفوله

تصفق الطلبة فيشير إليهم محسن بالتوقف قائلا: طبعا إنتو فهمتو إني مدحته، للأسف أنا شتمته، أصل لو بصينا علي كلمة قسورة هنلاقي إنها كلمة مش عربية دي كلمة حبشية معناها الأسد القوي وبكده يبقي زميلكم مغلطش في تفسيره. بس تقولو إيه لما تعرفو إن نفس الكلمة موجودة في السيريانية ومعناها الحمار العجوز الذي لا يقوي علي الحركة، طب بصو كده علي الآية من تاني، كأنهم حُمُرٌ فرت مستنفرة من حمار عجوز هرم لا يقوي علي الحركة حتّى لا يعيقهم إذا هم أرادوا الفرار، وبالمناسبة وخارج السياق ده من طبيعة قطعان الحمير ييلفظوا ويبنادروا المكان لو ظهر منهم حمار لا يقوي علي الحركة. هنا الكلمة الواحدة طلعت مشتركة في لغتين وليها معنيين مختلفين تماما عن بعض، دول مش بس مختلفين دول يكادوا يكونو عكس بعض ورغم كده إدونا نفس المعني وهو معني الفرار الشديد، الآية هنا ثابتة نظرتنا ليها هيا اللي أختلفت، وده راجع

لثقافتنا وبيئتنا وعقولنا اللي بتستوعب. حقيقة؟، أه حقيقة بس نظرتك ليها اللي ممكن تكون زيف، إستيعابك ليها هو اللي ممكن يكون غلط، إنت اللي بتشوف الحقيقة أو بتنكرها عشان كده لازم تكون مدرك فكرة وجود أكثر من حقيقة، فكرة أقاراك أن الحقيقة اللي أنت بتدافع عنها ممكن أوى متكونش حقيقة وحتى لو كانت ففكرة فرضها على ناس مش شايفها حقيقة هو درب من الجنون. كملوا أسئلة.

يأخذ أحدهم سبق فيسأل: البلد دي رايحة على فين؟

يظهر أستنكار هزلى على وجه محسن قائلا: وايه علاقة ده بالفلسفة الوجودية، كده انت هتزعلمهم مننا..

يضحك الجميع فيكمل محسن قائلا: عموما مفيش حاجة ملهاش علاقة بالفلسفة زى ما قولت قبل كده، ولو عايز تعرف البلد رايحة على فين أنا أقولك البلد رايحة على المنطقة الرمادية. أستنوا هوضح بلاش كلام جانبي.. يعنى إيه منطقة رمادية، يعنى ببساطه هو نفس الموضوع اللي بتكلم فيه، البلد فيها ناس شايفة أنها الأحق بالحكم، وناس تانية شايفة أن الناس الأحق بالحكم مدعين وأنهم الأحق، وناس غيرهم مصدقة الفصيل الأول، وناس غير دول مصدقة الفصيل التانى، وناس غير كل دول بتتطحن وبتتفرم عشان يبقى كل دورها في الحياة أنهم يترصوا فوق بعض عشان الناس اللي شايفة في نفسها الحقيقة تقف على جشهم وأحلامهم وتعلى أكثر وأكثر. الكل شايف إنه صح، إنه حقيقة، إن اللي

بيتبناه من أفكار هو الصواب بعينه. مع إن في حقيقة كبيرة وواضحة محدش عايز يشوفها إن في ناس بتضيع ووطن بيتحرق. كفاية كده نتقابل في الأمتحان ويا ويلكم منى...

قالها لما رأى ثلاثة أفراد عند الطرف الأخر من القاعة لتبدأ الطلبة في الأنصراف واحدا تلو الآخر، فيدخل من كانوا ينتظرون خلو القاعة..
يتجاهلهم محسن حتى وصلوا إلى مكانه ليقول أحدهم: دكتور محسن ممكن تتفضل معنا.

- مين أنتو واتفضل معاكم فين؟

- تعالى معنا وأنت هتعرف كل حاجة

إقتادوه في طرقات الجامعة وشوارعها حتى وصلوا به إلى إحدي السيارات فأشاروا إليه بالركوب فبان إعتراضه قائلا: مش هركب معاكم، واضح من شكلكم إنكم أمن، أنتو دخلتو أزاى الجامعة، مين سمحلكم، وازاى تدخلوا لحد المدرج وتقبضوا عليا، أنا مش هتحرك ألا لما أشوف إذن النيابة، أنا مش هسكت ولا مجلس الجامعة هيسكت

يدفعه أحدهم بقوة فكاد أن يقع أرضا لولا أنهم أسندوه، ليقول آخر بلهجة ذات مغزي: أحنا لحد دلوقتي محافظين على شكلك قدام الطلبة، بتتعامل معاك وحاطين في بالنأ أن دي جامعة وأنتك دكتور جامعة، لكن فعليا أحنا معدناش

مانع إننا ننسى كل ده ونوريك وش تانى خالص وبرده هتيجى معانا بس ساعتها هتيجى متشال مش ماشى على رجلك، أتفضل معانا بهدوء أحسن..
 يتلفت محسن حوله فيري أحد طلابه قادمنا نحوهم بوجه ينبى عن نية التدخل فيهرع بدخول السيارة لتنتلق مسرعة في شوارع القاهرة وضواحيها المزدهمة...

بغرفة ضيقة تحتوى على منضدة وكرسيين وضعوه، كانوا قد جردوه من هاتفه وحقيبته حتى ساعته التي كانت على معصمه، لم يكن يدرى كم من الوقت كان قد مر عليه. كان يعلم أن ذلك هو منهجهم في التعامل وأن تلك طريقة من طرقهم الكثيرة التي يضغطون بها على من يحققون معهم حتى ينهاروا...
 غادر كرسيه ليواجه نافذة زجاجية قاتلا: عارف إن في حد بيراقبنى، أنا معنديش مشكلة تسيبوني كده يوم واتنين، بس هاتولى أدويتي، أنا مريض وباخذ علاج ومينفعش مخدوش

يدخل أحدهم فجأة قاتلا: مش أنت يا دكتور اللى تقول ينفع ومينفعش، أحنا بس اللى بنقرر ده، أتفضل أقعد مكانك عشان محتاجين نتكلم مع بعض شوية، قالها وهو يسحب الكرسي المقابل جالسا عليه بطريقة جعلت المسند أمامه، يلقي يده على حافة مسند الكرسي ليكمل قاتلا: أخبارك إيه يادكتور - بعد إذنك ممكن أعرف أنا هنا ليه، وإيه اللى أنا عملته

- هو لازم تكون هنا عشان عملت حاجة، مينفعش تكون هنا عشان عايزين نشوفك، نسلم عليك، تتعلم من فلسفتك. بس أنا عاتب عليك أزاى ياراجل تقول على النظام كداب وإن الإسلام زيف، إنت ناسي إنك في دولة مسلمة

يتغاضي محسن عن تهكمه الواضح في كلامه ليرد عليه قائلا: مقولتش أن النظام كداب ومقولتش إن الإسلام زيف، أنا كنت بدى أمثلة للطلبة.

- تخيل كده معايا بكره في الجرايد يطلع مانشيت بالحجم الكبير يقول دكتور جامعى يلقي محاضرة للطلبة يزدري فيها الإسلام ويتهمه بالزيف، وياريت على أد كده وبس ده أنت عارف الصحافة والجرايد الكلمة بتعمل منها مجلة. هتلاقى اللى يقول أنك بتبشر بالمسيحية في الجامعة، هتلاقى اللى يقول أنك بتسب الرسول ومش بعيد تطلع ماسونى، أه والله ماسونى

يقف محسن قائلا بغضب: بلاش تهديد، وياريت تدخل في صلب الموضوع مباشرة، حضرتك عايز منى أيه..؟

بيتسم المحقق قائلا بهدوء شديد: تسكت. ده الموضوع وأدينى دخلت فيه

مباشرة

- يعنى أيه أسكت؟

يعني تسكت، يعني تبطل تتكلم في الجامعة، في الكنيسة. أسكت

- لا

كان أجابة محسن رغم قصرها الشديد مانعة لأي محاولات أخرى للكلام أو المساومة. فوجهه كان مثل أداة نفية حازما قاطعا ينبع أنه لن يصمت أبدا.

يغادر المحقق كرسية فيدور حول المنضدة ليقف خلف كرسي محسن منحنيا إلى أذنه قائلا بهمس: إلا إيه أخبار مدام لى لى؟

يحاول محسن أن يلتفت إليه ألا أن المحقق يجبره على عدم الألتفات قائلا بصوت تعمده خفيضا: هسسس.. بلاش تبص وراك، الكاميرات بتصور وبتسجل، كده ممكن كتير يعرفو أنها على علاقة بصاحب عمرك رفعت وبتجيبه على سريرك. واضح أنك مقصر أوي مع مدام لى لى، بس متقلقش صاحبك قايم بالواجب..

يظهر الغضب على وجه محسن فتتصلب أصابع يده متحفزة قائلا: أنت بتقول أيه يا حيوان.

يحاول النهوض مرة أخرى إلا أن المحقق يضغط بيديه على منكبه عند التقاء الكتف بالرقبة تحديدا قائلا: بلاش قلة أدب أنا لغاية دلوقتى ماسك نفسي عنك ومقدر ظرفك وبقول مسكين مراته مقرطساه

يظهر الألم مقرونا بالذهول الذي لم يفارق وجهه قائلا بكلمات لا تكاد تبين: عليه دى أشرف منكم كلكم يا حيوانات يالى متعرفوش الشرف

يضغط المحقق أكثر على كتفه قائلاً: مش أنا قولتلك بلاش قلة أدب،
واضح إنك زي المدام تموت في السفالة وقلة الأدب
يحاول التملص من يد المحقق فتبوء كل محاولاته بالفشل، يجر وجهه،
تلثث أنفاسه، يحاول الصراخ فتعصاه الصرخة..
يشعر أن المحقق لا يكذب، ينبئه قلبه أن ما قاله هو الحقيقة، عليه دائمة
البكاء، رفعت يتحاشاني في الآونة الأخيرة يهرب عند كل لقاء متحججا بشئ ما.
أمعقول هذا!، تحونني عليه! يهوذا يبعث من جديد في ثوب امرأة فيأكل الأخ لحم
أخيه؟ لما فعلت هذا وكيف، لم أطلب منها الأخلاص ولا الحب، كيف لي أن
أستجدي منها الحب؟، الحب المستجدي إن أجيب فهو ليس إلا نوع من أنواع
الخيانة. هي قالت أنها تحبني، أقسمت أمام الأب والروح والأبن أني لها الأب
والروح والأبن، ورغم هذا خيرتها بالفراق لعجزي الذي لا يد له فيه. خيرتها
رغم كونها الحياة والروح، خيرتها نازعا قلبي من بين ضلوعى ليكون بين يديها
فتهبه الحياة أو تحمده فيسكت رغم دقائقه، لم وهبته الحياة ثم أتت وطعنته بكل
خسة وقذارة. كانت لي الأم التي حُرمتُ منها ولم أرها، سرتُ في الحياة كطفل
يمسك بتلابيب أمه خشية أن يتوه فيها، توقعتُ القسوة من الجميع إلاها، كيف
تحون الأم وليدها؟!، كيف تذبحه بسكين ثلم ودم بارد لتقيم علي لحم جسده
الموائد لكل مار. كانت لي الوطن والسكن والملاذ، مدينة عشقي التي حاربتُ من
أجلها لأنصّبها عليها حاكما فكانت الخيانة والغدر واستباحة مدينتي. رائحة

العفن في كل مكان، ما كنت أراه ليس بقبس، ليس بطاقة نور، بل نيران مشتعلة أسير نحو جذوها ظانا أنني سأستأنس بضيها فأكلت سفنى محرقة قلاعي التي كنت أشيدها عمري كله لتكون لي النجاة يوم الخلاص. ماذا فعلت لها حتى تسقيني من كأس الخيانة وترميني في بثرها، أكل ما كان كان وهما!، همسها بحبها في أذني ما كان إلا فحيحا!، أتلك اليد التي ربنت وحضنت ما كانت تقربني إلا لتطعنني بخنجر غدرها بين الضلوع، أهنت عليها إلي تلك الدرجة لتذبحني بسكين خيانتها ناهشة لحمي هي وصديقي...!!

وأنت يا صديقي، يا رفيق الدرب ورحلة العمر، أهانت عليك سنينا!، ألم تشفع لي ذكري واحدة معك؟!، أعطيك ظهري فتطعنني دون تودة أو رحمة، ماذا فعلت لك حتى تفعل هذا بي؟!، كيف كنت تبرر لنفسك خطيئتك، خيانتك، دوسك علي كرامتي، خوضك في عرضي، نهشك للحمي؟! . كيف واتتك الإرادة فخلعت ثوب الأخوة والصدقة لترتدي ثوب الشيطان فتنخز قلبي بشوكنه وترميني في ناره. الخيانة فعل دنئ، علقم في الحلق، خنجر في القلب، داء لم يكتشفوا له دواء، كيف تحملتها؟!، كيف استطعت خيانتني، أهنت عليك . كيف استطعت أن تكمل، أن تنظر في عيني، أن تحتضني بعد أيام الغياب . يهوذا باع روحه بثمن بخس، ولم يقو علي حمل خيانتته، قتل نفسه بخيانتته قبل قتله، كتب علي نفسه الضياع في ظلمة الخيانة وقسوتها فظل في زمرة الخائنين

عيشة وميتة . ولأكم من أناس يعيشون وهم أموات، يهوذا باع نفسه ببضعة دنانير
فكان من الظالمين، إلا إن الظالمين في خسار مبين...

يناديه المحقق لما شعر بهمدان جسده وسقوط رأسه على المنضدة فجأة، يهزه،
يرجعه بظهره الى مسند المقعد فتميل راسه بشدة على كتفه...
ينادى على أحدهم فيأتى وبعد فحص سريع لمحسن يجيبه
ده مات يا افندم

(١٦)

أدخلوها عليه.. ممدد علي طاولة يغطيه غطاء كاكي باهت ككل شيء، لم تتحرك إلا قسرا لإعطاء من أدخلها الفرصة ليغلق باب الغرفة فينزع منها الحياة. ظلت علي حالها، قدماها مغروزة في الأرض، تقاوم لتحريكها خطوة للأمام فتنهاها عيناها التي تري الجسد المسجي علي الطاولة..

تتملكها الرعشة، تسيطر عليها فتظهر علي أوصالها المرتجفة، تشعر بقبضة داخلها تطارد روحها المختبئة خوفا بين ثناياها، أو أن الروح هي التي تهول، تعبت، تصطدم، تبحث عن مخرج لتفارق الجسد عنوة...

لم تعرف أن عقاب الخيانة أبدي، خانته فعاقبها بموته، خدعته فكانت بروميثوس آخر محكوم عليها بالنهش والألم الخالد. مشاهد الذاكرة تنقطع، تختفي وتزول، وكان أحدهم يمسحها عمدا لإستقبال ذلك المشهد في ذاكرة البصر، تنزل علي ركبتيها ويديها دون أن ترفع عينيها عنه، تتقدم زاحفة حتى تلمس أصابعها حرف الطاولة فتستعين بها في الوقوف فلا تقدر فتظل علي ركبتيها..

تحتضن رأسه بيديها، تلمس جبهتها جبهته، تطبع قبلة عليها. تتمالك فتقف وكأن قبلة جبهته أعطتها القدرة علي الوقوف. ترفع رأسه قليلاً وبرفق تجذب الغطاء من تحتها لتسحبه ببطء فيظهر وجه محسن. تشهق ملتاعة غير مصدقة، تغمض عيناها التي لا تتحمل رؤية المزيد، تنهمر الدموع كنهر. بيديها تمسح

دمعاتها التي سقطت علي وجهه، ترتب خصلات شعره وتصنفها، تعدل ياقة قميصه رابطة زواره الذي انفك عن صدره قائلة دون وعي " قولتلك ميت مرة إقفل الزرار، البردي محسن وإن مش متحمل "

تنتظر إبتسامته المعتادة، يديه التي تساعدها في غلق الزرار عند كل مرة... يزداد بكاؤها الصامت. ماذا فعلو بك يا حبيبي، من أين جاؤوا بقسوتهم التي إستطاعوا أن يسلبوا بها روحك. لم يعرفوك مثلي، لو كانوا عرفوك ما كانوا قد إستطاعوا. كيف لهم أن يقتلوا ملاكا مثلك، فيم كانت تعيقهم حياتك ليحرموني منها. زاهدا كنت في كل شيء، تعطي دون مقابل، تحب دون كلل، تبتسم حتّى في حضرة الألم. كيف لهم أن يُؤلموك ويوجعوا قلبك العليل، كيف كانت موتتك ولحظاتك الأخيرة، أغادرت روحك بسلام كما عاشت، تألمت، أم كانت سريعة موتتك بلا معاناة...

الآن أعرف شعور الثكالي، علقم في الفم، جمر في الصدر، تيه في الروح والعقل، نار تتقد ولا يكفي ماء الأرض لخمدها، تستعر فتأكل كل أمل ورغبة. كنت لي الملاذ والملجأ، كنت الحياة بكل ما فيها. لا نبصر قيمة العطايا إلا بعد زوالها. كيف سيأتي عليّ صباح فلا أراك جواربي، كيف سأفتح عيني فلا أري عينيك والحب الذي فيها، كيف سأستيقظ فلا أجد يدك تداعب شعري وكأني إبتتك. من لي بعدك وكيف لي أن أكمل دونك...

يفتح أحدهم الباب مفضوح وجهه الذي حاول رسم التأثر عليه
- البقية في حياتك يا مدام.

تنظر إليه دون إجابة فيقترب منها واضعاً في يدها بضع ورقات قاتلاً:
ده الورق اللازم للدفن، طبعاً إنني عارفة إن الشوشرة مش في صالحه،
وعارفة برده إنه كان مريض بالقلب. إحنا كان ممكن نحطه في أي مستشفى أو
حتّى نتكفل بدفنه. بس لقينا إن الأنسب إنه يخرج من الكنيسة وتودّعه الوداع
الأخير.

تأتي كلماتها من بئر سحيق قائلة: إيه حصل؟

- زي مقولتك محملش حاجة، كنا بنسأله كام سؤال وفجأة تعب وحصل
اللي حصل

- أنا مش هسكت، أنا هوديكم كلكم في داهية

يتأفف الرجل عن الكلام زافرا هواء صدره بضيق قاتلاً بلهجة ذات مغزي:
براحتك متسكتيش، الجرايد كلها قدامك، روعي واتكلمي ولو معرفتيش توصلي
إحنا نوصلك لكن هو في بس سؤال، هتقولي إيه، هتقولي إنه متحملش إنه يعرف
إن مراته بتخونه مع أعز صحابه فطب ساكت

يظهر الذهول علي وجهها فتتوه الكلمات: إنت بتقول إيه بي...

يقاطعها بصوت عال: بقول اللي حصل، بقول إنه متحملش لما عرف

وساختك

توج الأرض من تحت قدميها وتهتز فتسند مستيعنة بحرف الطاولة ليكمل
رجل الامن كلامه قائلا: يستحسن نسكت ونلم الموضوع، واحد عنده القلب
وتعب . عادي يعني بتحصل في أي وقت ومع أي حد

ينتظر منها إجابة فلا يجد إلا عين محدقة تنم عن إهنيار فيكمل: إنتي جيتي
لوحديك، هبعت معاكي حد يوصلك لحد باب شقتك وبعدها تقدري
تعلني الخبر، تتصلي بأهلك وأهله تبلغيهم بالوفاة وزى ما قولتلك، معاكي
كل الورق اللازم للدفن، وياريت الموضوع يتم بسرعة..

يعطيها ظهره متوجها للباب إلا أنه يقف قائلا دون التفات: مش هأكد
عليكي تاني، بلاش أي تصرف متقدريش تتحملي عواقبه، وإن مكنش عشانك
يبقي علي الأقل عشان سمعة اللي مات..

يغادر الغرفة تاركا عليا بمفردها، تقاوم لتستمر واقفة غير أن قدميها تنن بها
تحمل فتجنو مرة أخري علي ركبتيها...

ليسوهم بقاتليك، أنا من قتلتك . أنا من رميتك في وحل الخيانة وأسقيتك
مرها. قابلت حبك بكل صلف وغدر. كنت لي الحياة وكنت لك الموت الغادر.
كنت شربة الماء بعد عطش، مغيثا ودليلا في تيهة صحرائي وكنت لك الغدر
والخنجر الذي يطعنك في الظهر.. ظلموني مرة، إتهموني بالخيانة وأنا العذراء
البتول . ظلموني فظلمتك، خانوني فختتلك، طعنوني فغدرت بك، أيها الراعي
العظيم المبجل في السماوات إرحمني فأنا لا أقدر علي مثل هذا العذاب، إعطني

القدرة علي التحمل والصبر، كيف الحياة من بعده، لماذا أنا، ضاقت بي الدنيا
 وخلت من محبتها، اللعنة تطاردني أينما أسير، تصيب كل من يقرب ويدنو.
 يموت أبي بذنب لم أقترفه فيموت زوجي بذنب إقترفه. الرحمة والغفران يا يسوع
 يا مجيد، إجعله مسيحا آخر وابعث فيه من روحك، حتّى أسمع منه أنه قد
 ساعني، لن أستطيع أن أكمل، ثوب يهوذا نارا تسري في الجسد لا أقوي علي
 لبيسه.. إن كنت ظلمتُ فما ظلمت غير نفسي فلما تأخذه بذنبي، لماذا تعاقبه علي
 طبيته، علي غفرانه وساحته، هو لا يستحق منك هذا. وإن كنت ظالمة فهذا ليس
 بوعدك، قد قبلت توبة الزانية وقربتها منك، رضيت و عفوت، فلماذا لم تساعني..
 ساعني يا محسن، ساعني يا زوجي ويا أبي، يامن ظللت عليّ بظل حبك، وربّت
 عليّ بدفء مشاعرك، ساعني وكفاك أن الرب قد أغاثك بمن هم مثلنا، نحن لا
 نستحقك فالملائكة أبدا لا تستقيم حياتهم علي الأرض...

يدخل إثنان الغرفة ساحبين طاولة متحركة ليبدووا في نقل محسن عليها
 فتصرخ في وجههم رامية نفسها علي محسن قائلة: محدش يقربله، محدش فيكم
 يلمسه، إيديكم متعاصة دم، إنتو الي قتلته
 يدخل ثالث، يكبلها بيديه ليعطيهم الفرصة لنقل محسن علي الطاولة
 الأخرى.

في الطريق يقود أحدهم السيارة وبجواره آخر، تحتضن محسن في المقعد الخلفي، تربت علي وجهه بين الحينة والأخري، تقبل جبهته، تهمس في أذنه بكلمات مبهمه، تبتسم أحيانا، تبكي أحيانا أخري. مشتتة تائهة لا تعي شيئا وكأن مس أصابها، تنظر من نافذة السيارة فتجد الطريق قد خلي حتَّى من بناياته، طريق بلا معالم ولا إتجاهات، أضواء منعدمة، ظلام حالك لا بصيص فيه، حتَّى الأصوات خلت من حولها، ساد الصمت ما عادت أذنها تستقبل شيئا ولا تسمع إلا ترانيم كنائسية تنبئ بالرحيل...

أنزلوه، حملوه حتَّى فراشه، ثم إنسحبوا وكان شيئا لم يكن..

أيها الراعي الصالح ضلت خرافك، تاهت فريسة لضواري المنافي.

ضلت ولا رغبة لها في عودة. لم يكن كثير عليك أن تتركه لي. ذلك الذي وجدني في أرض فقر وفي خلاء مستوحش خرب. ذلك الذي حوطني بقلبه فجعله ينبض لي وأدق له، أسكنني فسيح عينه فكنت مقلته ينظر بي وأري له. ألسنت أنت من قال أنك ملجأ المنسحق وملاذه في أزمة الضيق. أنا عبدتك المنسحقة علي عتبات ملكوتك، أنا من ضاع منها مأوى الروح وملاذ القلب، أنا من ضلت الطريق، أنظر حولي حتَّى أري سراجي يهديني الطريق فأجدك تحجبه عني أخذا مني ما تبقي في من روح. أين شوكتك يا موت، أين غلبتك يا هاوية، تعبت وضاع مني آخر ما تبقي لي، ضاع ما ظننته تبقى ليبقى الموت بجناحيه

يرفرف فيمتلئ صدرى بهيفه، سأسير في وادي ظله ولن أخاف شراً فمن رحل
ينتظرنى الآن، سيحمينى كما إعتدت وسيهبنى الحياة كما إعتاد...
ظلت واقفة كثيراً تنظر إليه تتأمله، لا تدري كم مر من وقت علي وقفتها
تلك، فالزمن كان قد توقف بها منذ أن رأت جسده مسجياً في جحيمهم، فتحت
خزانة ملابسها إختارت قميصاً أبيض اللون لترتديه. توجهت للمطبخ ساحبة
منه سكيناً لترجع مرة أخرى فتستلقي جواره قاطعة شريان يدها، واضعة رأسه
علي صدرها منتظرة الموت بكل هدوء مرددة قبل أن تفقد عيناها بريق الحياة..
أخذ الذي لي وسيعطيني الذي له...

(١٧)

في أناء الليل لا يأتيك غير الذكريات والوجع، لا تسمع إلا أنات الأشياء ولا تبصر سوى سوادها. في الليل لا يأتيك غير الذي يخبرك أنك أكثر أهل الأرض أيلاما، لهذا أكره الليل، أكره سدول أستاره، ترتجف روحي حينها أرى تسلله وانزواء أطراف النهار. يأتي الليل بكل ألمه الذي لا سبيل له ولا ملاذ منه إلا النوم الذي أخشاه وأفر منه ومن كوابيسه التي لا تنقطع. أظل على حالي أتردد النوم خوفا فيتوحش ألى جوعا، لا يلهيني إلا تأملك وأنت نائم، أستمد من قسماتك ذكرياتي معك، أتعجب من هدوء نومك، من قدرتك على النوم، تنام على ظهرك لا تتقلب أبدا، بيد موضوعة على صدرك كمومياء مستقرة في تابوتها. أنظر إليك وأطيل النظر، أستقرئ وجهك عليّ أستشف منه شيئا يجعلني أحميد عن قرار أبتعادى عنك. لكنى لا أجد، كل شيء حولى يدفعنى للفراق حتى قسامات وجهك وهدوء نومك المستفز...

لم أسع أبدا للفراق قبل ذلك رغم يقينى أنه كان آت لا محالة، لطالما أجلت ذلك اليوم، هربت منه لمعرفتى أنى لن أسلم من ألمه، ليس لأنى أحبك ولا لأنى أستطيع العيش دونك، بل لأنى أخشاه، نعم أخشاه. أرى فيه جحيما آخر لا يقل عن جحيم وجودى معك، أعرف أن بعد الفراق سيصبح كل شيء حولى باعثا وحافزا للبكاء. بعد الفراق تشعر أن الحياة إنفقت وكل ما فيها تأذر ليبيك. لكنى ورغم هذا سأطلب الأنفصال، سأصمم عليه، سأدعى أنى قادرة على تحمل

تبعاته. أما أنت فلا أظن أن النسيان صعب علي ذاكرتك، وحتى وأن كان هناك شيء مني عالق في ذكراك فلا خوف عليك ولا حزن فالنسيان ليس صعب عليك فمن مثلك يستطيع . ستستدعى امرأة أخرى من خزانة خياناتك وقائمة غزواتك النسائية اللواتي عاشرتهم في وجودي وهن كثير، واحدة أخرى ستتسلي بها، ستجرح فيها وتؤذي، ستجعل من مشاعرها ركاما ومن قلبها بقايا مدينة لا يسكنها غير الأشباح، سينسيك ألمها أنى كنت في حياتك، أنت تستطيع، تستطيع أن تصبح كاتباً يرويه عظيماً فيشار لك بالبنان فتمتلئ الصفحات الأدبية بذكرك، وقتها أظن أنك حتى لن تتذكر أنى كنت هنا. أنت تستطيع وبإيادك تفشل فألمك فقط هو ما سآحيا من أجله، سأصلى وأبتهل أن تتألم...

ستسأل لم الآن . لماذا بعد أن أعتدت خيانتك والفتها، ستسأل وبراءة الأطفال في عينيك وكأن يدك غير ملطخة بدم صاحبك وزوجته، ستنكر وستنفي أي صلة لك بموتها، ستكذب رغم يقينك بأنك قاتلها. لكن وللحق لست وحدك من قتل، فأنا مثلك جررتني لوحل قسوتك، جعلتني أنتقم منك ولنفسى رافضة توبتها. كنت أستطيع أن أغفر، كانت توبتها نصوحة لكنى غلقت في وجهها كل باب للرجوع. مسكينة لى لى لم تستطع أن تكمل، كيف أستطعت أنت أن تستمر بعد أن عرفت بانتحارها، كيف طاوعك قلبك على النبض، قتلناها سوياً. لو كنت سآحتها ما كانت لتنتحر، كيف سولت لى نفسى أن أنتقم منها، أن

أرفض حتى سماعها. كيف تنام على هذا النحو وكأنك لم تفعل شيئا وكأنك برئ من دمها براءة الذئب من ابن يعقوب...

أراك تتململ في نومتك، الآن ستصحو لتبدأ يوماً آخر تبحث فيه عن آخر لتقتله بقسوتك ودنائتك. خلقت لتجرح، تتنفس لتخون، تقتات روحك على دمس قلوب الآخرين...

يتقلب في فراشه ليصبح وجهه قبالتها فيراها تنظر إليه محدقة فيه، يعاود النوم على ظهره ساحبا نصف جسده إلى أعلى ساندا رأسه ناظرا إليها فيجدها على حالها متكورة على نفسها مثل يرقة تلامس ركبها ذقنها مستمرة في التحديق فيه، فيأخذ من جواره سيجارة يشعلها قائلا لها دون النظر إليها: بتبصيل كده ليه؟

- طلقنى

ينظر إليها شاخصا غير مصدق ما سمعته أذنه: نعم

- طلقنى.. بقولك طلقنى يا رفعت

- أطلقك إزاي يعنى؟، ليه أطلقك؟

- طلقنى يا رفعت

بانفعال شديد: هو أنتى اللى عليكى طلقنى، طلقنى. صحيتى من النوم

لقتى نفسك عايضة تتطلقى، في آيه..؟

ينتظر أن تجيبه فلا يجد منها ألا السكوت فيكمل قائلا: في آيه؟، آيه حصل

يخليكى فجأة تطلبى الطلاق؟

تصرخ قائلة: في أنى تعبت، زهقت، مبقتش قادرة أتحمل أكثر من كده،
 قرفت منك ومن خياناتك اللى مبقتهيش، انت مش هتتغير يا رفعت،
 إنت أنانى مبعجبش ألا نفسك، خنتنى وبتخونى، وكل مرة بقول مسيره
 يتغير، كل مرة بضحك على نفسي وانت في كل مرة بتزيد. مكفتش بكل الستات
 اللى خنتنى معاهم وروحت خنتنى مع أعز صاحبة ليا اللى هيا مرات أعز
 صحابك

دون أن يعدل جلسته يقاطعها: أنا مختكيش، أنا عمري ما خنتك

تصرخ أكثر: كفاية كذب، أنت مبعجبش، مبعجبش

يغادر فراشه مقربا منها فيصبح أمامها، يضع وجهها بين راحتي يديه قائلا
 لها بخفوت ووجه هادئ غير مناسب للموقف: أهدي بس، أنا مش فاهم حاجة،
 أنت بتتكلمى عن أيه؟

تدفع يديه قائلا: كفاية تمثيل بقى وافهم انك عمرك ما ضحكت عليا، أنا يا
 رفعت اللى كنت بسكت، أنا اللى كنت بضحك على نفسي وبصدّق أنك بتحبنى
 مع أنى عارفة ومتأكدة أنك مبعجبش حد ألا نفسك ودى كمان ممكن تكون
 بتكرهها، طلقنى يا رفعت وكفاية تمثيل أنت لا حبتنى في يوم ولا هتحبنى، أنت يا
 رفعت اللى زيك مبعرفش يجب

ظلت تحدثه، تزعق في وجهه، تصرخ أحيانا وتنهار أحيين كثيرة، تسومه
 خسف الكلام، يعترف داخله ويقر بأنه لم يجبها يوما فهو ممن ينكرون الحب، يرى

فيه أنه مذلة وهوانا. أن سألته عنه سيجيبها بأنه كائن خرافي لا وجود له في حياتنا، كلمة اخترناها لئلا نمتطيها حتى نصل بها لمرادنا، مشجب علقنا عليه احتياجنا للآخر وأنكسارنا أمامه، وإن عاودت سؤاله عن كل كلمات الحب التي أسقاها أيها، سيجيبها أنه أعطاها ما كانت تنتظره لا ما كان يريد، فالحب عنده وإن كان فهو نسبي يتغير بتغير الأشياء، يأتي ليختفى، يضمحل ليقوى، متقلب كفصول العام التي لا بد أن تتقلب، مرتبط وجوده بما يحدث، تابع ذليل كصاحبه، وهو خلق على غير هذا، خلق ليثور على الشيء حتى يلين له ويستكين فيتركه هاربا باحثا عن غيره...

يفيق على صرختها قائلة: بقولك طلقني

يغيب الهدوء الذي رسمه على وجهه قائلا بحدة: ولما أنا وحش أوى كده،

وخاين أوى كده كملتي معايا ليه؟

بدموع منهمة لا يحجبها حاجب: عشان ضعيفة، عشان حولتني لست

معدومة الكرامة.. أنت شيطان يا رفعت مسيبتش حد من اللي حواليك ألا

ودمرته. محسن صاحبك الوحيد اللي أتحملك، قتلته بخيانتك، صاحبتى يا رفعت

خلتتها تتحر، انا اللي مكنش في يوم بيعدى ألا لما تدبحنى فيه. كفاية بقى يا

رفعت، كفاية، طلقنى، مش هقدر أكمل وانا شايفة دم لى لى على أيدك

- بس أنا مختكيش مع لى لى

تصرخ: يا رفعت كفاية كذب، أنا قرئت رسالتك على تليفونها، يا رفعت افهم لى لى أنتحرت عشان أنا عرفت، ومش بعيد يكون محسن مات عشان عرف ومتحملش، كفاية بقى يا رفعت

بصراخ يحمل كل غضب الدنيا: أنا مش رفعت، أنا مش جوزك، أنا

عرفة

تنظر إليه غير مستوعبة، تحاول أن تقنع نفسها أن ما قاله ليس أكثر من كلمات يضحك بها عليها ألا أنها تري في ملامح وجهه ما يجعلها تنفى زعمها

يكمل: أيوه أنا مش رفعت، أنا عرفة ومتسألنيش أزاى، أنا في كابوس

ومش عارف أصحاه منه.. أنا عرفة مش رفعت

بارتباك: أه تمثيلية جديدة، ومطلوب من المغفلة أنها تصدقك، أنها تصدق

أنك أتجننت وانها لازم تقف جنبك

بهدوء غير مبرر: تصدقى متصدقيش أنتي حرة، لكن باختصار أنا مش

هطلقك لأنى ببساطة مش جوزك

تنظر إليه غير مصدقة، وكأنه فعلا صار شخصا آخر غير التي تعرفه، تحاول

أن تقنع نفسها أن ما قاله إدعاء منه وتضليل لها حتى ترجع عن ما طلبته

وصممت عليه فتفشل فهي الأدرى بزوجها وهو مختلف، ليس رفعت الذي

تعرفه، ليس رفعت الذي عاشت معه سنينا حتى حفظت كل تفاصيله، هو الآن

مختلف...

يغادر الغرفة أخذًا ملابس خروجه وبعد دقائق تسمع صفع باب الشقة..
 تنكفى أكثر على نفسها تحبى رأسها بين قدميها تصنع من يديها المتشابكتين
 سدا يجعلك لا ترى منها سوى شعرها المنسدل المتأزر هو الآخر ليخبى منها ما
 أمكنه. لم يكن ينقصها ما قاله، فادعاؤه الجنون لم يكن أبدا في حسابها، هناك شيء
 داخلها ينبئها أنه لا يدعى، هناك من يهمس في عقلها ليخبرها أن زوجها أصابه
 مس من جنون. هي تعلم أنها ليست من أولئك الذين يولدون من رحم الوجد،
 والفراق لها لن يكون لبنة لحياة جديدة، بل معول هدم، لكنها تعلم أيضًا أن قتلة
 بيديها أرحم كثيرًا من عذابه لها...

تخرج عن سكون جسدها، ترفع رأسها خارجة عن صمتها قائلة وكأن
 أحدهم أمامها.. فليكن ما يكون، مجنون كنت أم مدعيا فالحياة معك مستحيلة...
 تبحث عن هاتفها في أنحاء الغرفة حتى تجده، تهاتف سامح لتخبره أنها في
 الطريق إليه لأنها تريده في أمر هام...

في الطريق إلى سامح حاولت كثيرًا التراجع عن قرارها، بحثت عن مبررات
 تثنيها عن رغبتها، سألت نفسها ماذا لو كان فعلا قد جن، ماذا لو أنه الآن
 يحتاجها، حدثت نفسها لتثنيها، ألا أن كل ما حدثته لنفسها ما زادها إلا أصرارا
 وتوكيدا على ما تتويبه وما ترغبه. لم تشعر بنفسها إلا وهي واقفة أمام شقته
 فاسحا لها جانبا داعيا أياها الدخول، مترددا وجسا لما رأى عليها آثار بكاء
 وحزن...

تجلس على أول مقعد قابلها، ينظر أليها متأملا منتظرا منها البداية فيطول
انتظاره ليبدأ بالكلام قائلا: إنتى كتى بتعيطى؟

دون اجابة منها يكمل: مالك يا أمنية في ايه أنتى شكلك مش مطمئنى، في
أيه أتكلمى؟

- أنا عايزة أتطلق

- مندهشا: تتطلقى!! ليه؟؟ ايه حصل؟

- اللى حصل إنى تعبت، كرهت نفسي وكرهته، أتطلق عشان كفاية،
مبقتش قادرة إنى أكمل

أخذت تحدته عن رفعت وما يفعله، تستنكر أندهاشه لأنه أكثرهم معرفة
بأخيه، أخيه الذي لم يعرف الحب طريقا ألى قلبه

يقاطعها قائلا: لحظة بس، أنتى عايزة تتطلقى عشان رفعت مبيحبكيش؟

- أه، ومش كده وبس وعشان خاين

- طب ما أنتى زيه..

تنظر أليه مذهولة غير مصدقة ما قاله قائلة بلهجة يغلفها شيء من غضب:
زيه أزاي! أنت قصدك أيه؟

- أه زيه، عمرك في يوم ما حبتيه ولا عمرك في يوم عرفتى يعنى أيه حب .

أرتبكت لمهاجمته واتهامه لها على غير ما كانت تتوقع، لم تكن تظن أبدا أنه
سيحملها مسئولية ما هي فيه. أخذت تدافع عن نفسها نافية اتهامه، تذكره

وتحصى خيانات أخيه، وهو صامت لا يتحدث يسمع غير مهتم، يوبخها في سره أنها أته وقت حاجتها، يعاتبها على أصرارها الدائم أن تظل في حياته، ألا تنسيه أنه ما أحب أحد غيرها، لم دائما يا أمنية تشعلين النار، تغذيها باقترابك، تجبريني على رؤيتك على حقيقتك، لا تقتربى فثمة أشياء ينبغي أن تبقى بعيدة حتى يستمر شغفنا لها وقدرتنا على تحمل بعدها. إن أقتربت أكثر ستنهار كل دفاعاتي وقلاعى التي أحتमित بها من حبي لك، دعيني أراك الآن كما أعتدت أن أراك، لا تجبريني على رؤية حقيقتك، ولا تذكريني بأنى أحبك، لا تقتربى ودعيني في ظلى فشمسك حارقة، لا تقتربى ودعيني في ظنى إني نسيت حبك وشفيت من عشقى لك...

- إنت مبتردش عليا ليه.. هكذا قاطعت ما كان يود أن يقوله لها

- هرد أقول أيه؟

- رد وقول أنك هتساعدنى، أنك هتكلمه وهتضغط عليه عشان يطلقنى

- وهو رفعت بينضغط عليه؟!

- يعنى أيه؟ يعنى أنت مش هتساعدنى؟

- وأساعدك أزاى وأنا مقتنع أنك غلط، وبأى منطق تطلبى منى أنى أروح

لأخويا وأقوله طلق مراتك

يعلو صوتها: بمنطق أنك عارف أخوك، وعارف إنى أتحملت اللى مفيش

بنى أدمة ممكن تتحمله

- بصى يا أمنية أن كنتى قدرتى تضحكى على روحك فمش هتعرفى
تضحكى عليا، بلاش موضوع أنك أتحملى ده، أنتى لا كنتى مجبرة أنك تتحملى
ولا حد غصب عليكى تكملى
بصراخ: كنت بحبه.

بغضب شديد وصوت عال: أنتى عمرك ما حبيتى، أنتى زيك زيه،
متعرفيش غير حبك لنفسك . أتجوزتى الكاتب المشهور، اللى الكل بيشاور عليه،
إتنازلتى عن كل حاجة، بعنى كل حاجة، المهم تكونى مرات المؤلف العظيم اللى
كل الأبواب مفتوحة ليه

- وانت مدافعتش عني ليه، موقفتش ليهم ليه وقولت أنا بحبها، مفوقتنيش
ليه . النهاردة بتعاتبنى، بتحملنى كل حاجة، كنت قول لأ
- أقول لأ!! أقول لأ لين، وعشان مين؟، اقول لأ عشانك؟!، كويس والله،
بقيت أنا دلوقتى الغلطان، كان المفروض اقول لأخويا متتجوزش اللى أنت
أتقدمت ليها واللى هيا وافقت تكون مراتك أصلى بحبها. أنتى مدركة بتقولى
أيه؟!، مدركة عملتى فيا إيه؟! مدركة كنت كل ما اشوفك معاه ماسكة فى دراعه
كان بيحصلى إيه!؟

تزداد فى نحبها قائلة: وأهو ربنا أنتقملك

تخبى وجهها براحتيها فيزداد نحبها، يقترب منها جالسا جوارها، يمد يديه
ليربت على كتفها فيجبره عقله على التراجع، يناديه قلبه أن يضمها إليه فينهاه

ضميره ويلجمه. كان يمني نفسه أنه سيأتي يوم ويلقاها، يلقاها كما تمنّاها، يلقاها كما رآها أول مرة حين وقع في هواها، ساعتها سيسكيها كل الليالي التي قضاها وحده غارقا في أئينه، ونوبات حزنه، عن وقفته بالشرفة في قلب البرد والصقيع ناظرا للقمر علّه يراها فيه، كنت يمنيّ نفسه بأنه سيقص عليها معاناته، يضع رأسه على صدرها ليكي ويكي ويرتعش ويرتعش ليعوض كل الليالي التي بكى فيها وحيدا. كان يمنيّ نفسه بأنه سيأتي يوم فيقص لها فيه عن كل شيء، عن دموع التفاصيل والذكريات، عن كل لحظات البكاء التي ظهرت على وجهه على شكل ابتسامة وهو يراها جواره. كان يمنيّ نفسه في يوم أنها ستأتي، لكنها لم تأت..

تفرج عن وجهها فتجد عينيه تنظر إليها فتجاوبه التمني، تطلب منه الغفران والصفح تخبره أنها تحبه وأنها ما كانت أكثر من فتاة صغيرة، مجرد فتاة صغيرة. أتاها برونقه وإثارته، بلحيته الكثيفة ولون ملامحه الداكن. كان مثيرا بمعطفه، بياقة قميصه المشدودة، بشعره المصفف في عناية وكأنه خرج توا من تحت يد أمهر مصففين الأرض. حتّى دخان سجائره كان يزيده هالة على هالته. ينظر دون اهتمام، لا يبالي إذا تحدث غيره، وأذا تكلم فرخامة صوته ومنطق حديثه يجعل الجميع يصمت مهابة. إهماله يجعلك تنجذب له، صمته يجبرك على التودد له لسر أغواره وما يخفيه. لا يهتم بأحد فيشير حفيظة كل أحد، أضف إلى هذا اسمه الذي كان يتردد بين الفتيات وقتها وشغفهم به وهم يتبادلون رواياتهم، كل هذا وأكثر. وفي عشيرة النساء كاف هذا لأحتلال قلاعهم، فما بالك بفتاة صغيرة مثلي.

ورغم هذا رفضت، قلتها لا واضحة، فأجبروني عليه، لم أكن ساعتها أملك أي منطق للرفض، فلقد رفضت كثيراً حتى أتى من بلا عيب، تزوجته مقررّة أن أنساك، أن أسعى إلى حبه، ظننت أنى أستطيع، حاولت ونجحت أحيانا لكن في كل مرة كان أخوك يأتي فيحيل كل شيء للفشل...

تعصاه يداه، تتردد أصابعه قبل أن تأخذ قرارها، يربّت على كتفها فينتفض جسدها وكأنّ مسا كهربيا أصابها، تغمض عينيها رغما عنها، الآن تدري لم أتته، الآن تدري أنها كانت تريد ذلك، بأصابعه يمسح دموعها من على خدها، يساوى خصلات شعرها المتناثرة الهادلة المنهمرة على وجتتها كشلال ماء. ينظر في عينيها أكثر، فيرى فيها خوف الأشتياق وكل كلمات الحب المحرمة على الشفافة، يرى فيها كل عذاباته وكل أيام سنينه التي حاول فيها أن ينساها وفشل وكأنه سيزيف آخر وكأنها صخرة أكتافه. تنظر في عينيه فتري فيها الشوق والرغبة وقليل من مقاومة، تتحرر يداه أكثر من قيود عقله، تسرح على شعرها، فتغمض عينيها هدوء وطمأنينة تريد أن توقفه، أن تبعده، وتريد أن تزيل كل الحواجز فترتمى في أحضانه لتبكي كما لم تبك من قبل، تريد أن تتعد عنه فتختبئ منه بين ضلوعه لتشكيه كل قساوات الدنيا وألمها فينسيها كل ما فات، يمسح بيديه على رأسها فيزيل ما علق بذكراياتها من وجع، يسمع قلبها دقائق قلبه فيستكين ويطمئن، ترتاح بين ضلوعه كمسافر ضنه الرحيل وعاد بعد غيبة. يقترّب منها فتحثه دقائق قلبها على الأقتراب، تناديه عيناها رغما عنها فيليبها النداء منصاعا، ترتمى بين أحضانه، تتهدم أسوارها التي ظنتها منيعة عالية، تدعوه لاحتلالها خائنة مدينتها، تبكى بقوة على صدره وكأنها تتخلص من دموعها مرة واحدة. تثن

عيناه من حجبها للدموع فتبكي عاصية إياه، بطرف إصبعه يمسح دموعه، تبكي أكثر فيضمها أكثر، يزداد نحيبها فيزداد بكائه، للتداعي راحة لا يعرفها إلا من عاش عمره يجارب . يعينها على الوقوف بأصابعه يلمس ذقنها فيرفع رأسها المطأطأة خوفا من افتضاح ما بالأعين من لهفة، تلتقى الأعين، تختلج شفتها منفرجة حينما ترى حنين شفثيه، يتحسس وجهها بأنامله كرسام يضع لسانه الأخيرة في أجل ما رسم من صور . يغمض عينيه مستمرا في لمس وجهها كفاقد بصر يحفظ بأصابعه وجه من يحب، يلمس شفثيتها فترتعش فتغمض عينها هي الأخرى، يلثم شفثيتها عطشا محاولا الأرتواء، تبتل شفتها بخمر ريقه فترشف من شفثيه حتى تتوه ولا تدري ماذا ستفعل، تنهار حصونها واحدا تلو الآخر مع كل قضة جوع يأخذها من شفثيتها تهاوت عند أول اختبار، تداعت تحت وطأة الشوق والأحتياج. تتلامس الأجساد، يضع وجهها بين راحتيه فتتنفض فلا يهدئها إلا نزول يده على خصرها ليضمها إليه أكثر، ينهل منها كتائه في صحراء منفاه أدماه العطش والجوع، تستقى منه كل حب الدنيا ومتاعها فتداوى جراحها، تستشعر أنفاسه فتناديها سخونة جسده، تلتف الساق بالساق، تميد بها الدنيا، تتداعي، تتهاوى يغزوها الأحتياج والشوق، تستسلم، تنادى أن ترفع بيدها رايته، يستلقيان أرضا وكأنهما جسد واحد، تسلم أرضها البكر لزرعه، أحرث كما شئت وازرع كيفما تشاء فالأرض أرضك وقد عادت إليك...

(١٨)

من دفتر مذكرات دكتورة / مريم فاروق

لا أعلم كيف يكتبون الروايات، لكنى أعلم أن الأمر مختلف، فإن كان للحكايات التي كانوا يقصوها علينا صغاراً قوانين وأسس أبسطها عامل الشد والجذب لما يُحكى. فالأولى أن يكون للرواية المكتوبة لوازم وشروط يُعمل بها حتى يصير المكتوب عملاً روئياً يستحق النشر. فما بين يدي من أوراق لا يشبه الروايات التي قرأتها قبل ذلك فهو يحكى عن أناس ليسوا إلا في مخيلته ورغم ذلك يعاملهم على أنهم أحياء يرزقون، يسجن نفسه في روايته فيملاً فراغات خياله ثم يشتكى ألم السجن ووجع ما يحمله خياله من ذكريات. لا يمل من قطع سرده الذي يخل دائماً بالوحدة العضوية لما يحكيه ولا يجد في ذلك عيباً، بحثت قليلاً ووجدت أن أول شرط يجب مراعاته حين الكتابة هو بنیان الرواية ووجدتها، فأى رواية، يجب أن يتوافر لها موضوع يقسم إلى بداية ومنتى ونهاية، تعريف للشخصيات في البداية ليكتمل بناؤها شيئاً فشيئاً بمرور الأحداث، عقدة تواجه شخصها فيسعون لحلها ليأتيهم الحل في الوريقات الأخيرة عندما تتلاقى الخطوط عند كلمة النهاية، شخص خيّر يتمسك بالفضيلة حتى وإن كان فيها مهلكته وشخص تحالفت معه كل الشياطين رغبة في التعلم منه، وهذا لا ينطبق على ما كتبه رفعت. رفعت يتأرجح بين خياله ووهمه من جهة وواقعه من جهة

أخرى. يكتب كعاهرة ضلّت عُهر جسدها لما أكل الزمن عليه تاركا بقاياها لتمتهن
 عهرا آخر من نوع آخر شارعة في كتابة مذكراتها فاضحة كل من وطئها غير غافلة
 تبرير عهرها وأنها ما كانت غير مضطرة لفعل ما فَعَلْتُ أو كُناسك يسبح بعد
 صلاة. تلك التساييح التي لا تبدأ إلا بعد سنده ظهر على حائط ليخلو صاحبها
 بين نفسه ونفسه. تتحرك الشفاه بهسيس أشبه بصوصوة عصفور جائع يهم
 بالتقاط لقييات من فم أمه. تلك التساييح التي كالجسر يختصر كل المسافات
 الشاسعة لعبور النفس إلى الصفاء والراحة من كل عناءات الحياة. تساييح
 كالمفاتيح تفتح كل الأبواب الموصدة فتحرر الروح وتطلق.. إنه يكتب إما عهرا
 فتجد الكلمات عنده ماجنة داعرة، أو نُسُكا فتستشعر الحروف جوقة دراويش
 ترتل كلمات في محراب حياة. يكتب إما هذا وإما ذاك لكنه وفي جميع الأحوال
 يكتب وكأنه يتبرأ من ماضيه، يبرأ من ذاكرته، ينسلخ عن كل ما فات، تتفتت
 وتسقط من قلمه الكلمات، دامية مؤلمة، موجعة واجعة كروح تفارق جسدا
 يتشبث بالحياة معاندا الموت. يكتب فتصبح الكتابة له نرف روح، كلمات أخيرة
 يلفظها كما الشهادة متمنيا أن ينال بها جنة يعرف أنه لن يطؤها...

أما شخصيات روايته فحدث ولا حرج. تبدأ وتنتهى ولا تستطيع
 الحكم عليها، شخوص فاقت الماء في سيلانه فلا تجد لها وعاء يحكمها، تجهل ماذا
 تريد ولا بأى جانب تسكن. تأتي الفعل وتنكره، تغوص لأبعد عمق في الوحل
 باحثة عن غرفة طهر بكف، جميعهم يملكون قدرا من ذكاء يجعلهم يبررون

لأنفسهم أي فعل لا ترضاه ضمائرهم، يشتركون وبطريقة ما في أنهم جميعا أذو وأضروا أحد المقربين لهم وسواء كأن الأذي عمدا أو سهوا فمبرراتهم كانت حاضرة وبقوة، مبررات جعلتهم أحيانا يستمرون في أذي الآخر ونقل الأذي لأخر بل وأذي أنفسهم أحيانا حتى يتساوى الجميع في الضرر كنوع من أنواع العدالة الوهمية وأسكات صوت ضمير بدأ يهمس. فأمنية ظلمت سامح بزواجها من رفعت مبررة ذلك بأن سامح لم يقاوم ليأت رفعت فيظلمها فيكن ذلك ذريعة لأن تذهب مرة أخرى ألى سامح، وهكذا البقية يسرون ويتحولون، شخصيات دعية غير سوية، تستغل ضعف الآخر لتكبر أنانيتها فتتملكها دنائتها يوما بعد يوم...

الغريب في روايته أن هناك بعض المواقف التي تشعر فيها أنها قد مرت عليك، تجزم أن تلك الكلمات قد قيلت وأنت قد سمعتها قبل أن تقرأها، تتوقع ماذا سيحدث فيحدث ورغم ذلك تفاجئك. شخوص ورغم عيوبهم ومرضهم النفسى وأفعالهم لا تملك ألا أن تتعاطف معهم، تشفق عليهم، ترثى لحكاياتهم وتئن. تتوحد معهم وتتأذر دون أن تشعر، ترى نفسك أحد منهم، تشفق حينما يتعرض أحدهم لخطر، تزفر لو أصاب أحدهم وجع. رواية تستدرجك كلماتها رويدا رويدا، ورويدا رويدا تصبح أنت وحياتك مجرد سطر فيها...

أما رفعت ففي البداية شخصت حالته على أنه مصاب بداء اضطراب الشخصية النرجسية "Narcissistic" تلك الشخصية المتطرفة في كل شئ..

لا قناعة بفكر التطرف، وإنما طمعا في الأثر الحاصل جراء ممارسة ذلك الفكر، يهوى نظرة الناس المشدوهة له، يعشق ذلك الأندهاش البادى في أعينهم جراء الفعل الذي مارسه أمامهم أو الفكرة الخيالية التي طرحها فاستقبلتها عقولهم دون أستيعاب. ولهذا كانت طريقة قتله لزوجته، فبقلمه كتب وأكد في أول روايته أنه كان يبحث عن التميز عن كل الذين قتلوا زوجاتهم قبل ذلك وهذا يضعنا أمام يقين أن طريقة القتل لم يكن ورائها أي رسائل بل كان الأمر نوع من التفرد. شعور بالغطرسة والعظمة. فعل أراد به تصنيف الناس له بأنه إستثنائي ومميز، محاولة لإرضاء غرور نفسه، وتأكيدا على ذلك كانت جملة التي كتبها بيد القتيلة على الطاولة والتي ستصبح بلا معنى، مجرد كلمات أراد بها أن يضىء على فعله شيء من العمق والتعالى، رغبة منه أن يوحي لنا أنه مفكر عظيم وأن ما من شيء يفعله إلا وورائه رسالة يجب أخذها بعين الاعتبار مع مراعاة أن رسائله وكلماته لن يتمكن أحد من فهمها وفك شفراتها إلا الذين يباثلوه في الفرادة والسمو الفكرى. وقد عزّز هذا التشخيص لدى هو القروود الطائرة التي في حياته " The Narcissis Flying Mankeys ". هؤلاء الأشخاص الذين حولهم المقربين له، الموجودين في دائرته الضيقة والذين دون عمد عززوا المرض لديه برضوخهم وقبولهم لأنانيته ودنائه المفرطة والتمسك به أكثر عند كل فعل يستوجب الهجر. يخون زوجته فتتقرب له، يأكل مال أخيه ويبخسه إرثه فيرضخ له، حتّى صديقه محسن كلما أبتعد عنه رفعت كلما تقرب له محافظا على أواصر

الصدّاقة التي كانت بينهما بحكم العشرة والجيرة. تصرفات كثيرة ومواقف أكثر كانت أسباب كافية لتعالى الأنا لديه فجعلته غارقا في تعسفه العاطفي من أخصّ قدميه وحتى يافوخه، يحيا ويستمر بإذلاله للآخرين وإساءة المعاملة لهم، عنجهية أتسم بها، غدوها بضعفهم فانعدم تعاطفه لهم، رغبة صفرية في تحديد وملاحظة مشاعر واحتياجات الغير، أستغراق كامل في خيالات وأوهام جعلته يقتل في النهاية زوجته...

كل هذه الأعراض تنطبق تماما على رفعت، كل هذه الأعراض تأخذنا لتشخيص مفاده أن رفعت مصاب بداء اضطراب الشخصية النرجسية، وأن دفاعه عن زوجته القتيلة في أول الرواية لما رماها معاون النيابة بالخيانة ما كان إلا تأكيدا منه أن مثله لا يخان، فغروره ونرجسيته جعلوه يكتّم أمر خيانة زوجته له مع أخيه فمن مثله لا يخان . أما اعترافاته خلال أحداث الرواية بأن ما يكتبه شيء رخيص مبتذل، وأنه فاسد وخائن فهذا ليس تواضعا أو مصالحة مع النفس كما ادعى بل هو أمر أقرب لسب المجتمع وأقرار بفساده وأنه ماهر كونه فاق فساد المجتمع فسادا...

ورغم ثبات أعراض النرجسية عليه وتطابقها مع كل سلوكه وأفعاله، يتبقى شيء هام يأبى أن يتوارى، فكل هذه الأعراض تتناقض وتتناقى تماما مع جزئية يقينه بأنه ليس رفعت وأنه صار عرفة الزاهد الذي يكتب عنه. فشعور الغطرسة والعظمة الذي يمتلكه يجعل من أنتحاله المرضى لشخصية أخرى غير

شخصيته التي يراها استثنائية متميزة أمر غير منطقي، فهو بنرجسيته لا يرى غيره، ولا يحق لأحد أن يساويه فالجميع أقل منه قدرا، فكيف له أن يقتنع أنه صار أحداً آخر؟! خصوصا أن كان هذا الآخر مهان مخان تأمر عليه الجميع وذلوا ناصيته. كيف لرفعت الذي لا يري غير نفسه يرى نفسه شخصا آخر. الأحمري أنه مصاب بمرض "الإنفصام العقلي - Schizophrenia" أو الفصام كما هو معروف ومتداول، فمريض الإنفصام معروف عنه معاناته من إضطرابات حادة في الدماغ، تلك الإضطرابات التي تشوه كل ما لدى الفرد من تصرفات وتفكير فتجعله ينظر بخلل إلى الواقع فتتهتز وتختل العلاقات المتبادلة بينه وبين المحيطين به مسببة له الهلاوس والعزوف عن أي مشاركة إجتماعية لتتعدم في نهاية الأمر. إلا أن مريض الإنفصام ليس كما صوروه في السينما والروايات فهو أبدا لا يتحول لشخص آخر نقيض في آخر الليل يفعل ما عجز عن إتيانه في النهار . فالإنفصام ورغم كونه أحد أشد الأمراض النفسية فتكًا إلا أن أعراضه غير التي أشاعوها بين العامة وجعلوها ملازمة للفصامي، فالفصام ليس إنفصاما في الشخصية، بل اضطراب نفسي "ذهان - Psychosis"، يمتلك الشخص فيه منه الأوهام "Illusions" والهلوسة "Hallucination" التي تجعل الشخص المصاب عاجزا عن التفريق بين الواقع والخيال، يهيا له أن هناك من يطارده، يتوهم أن هناك من يحادته، تسيطر عليه أعراض كالأرتباك والبلبله حين الحديث، عاجز عن طرح أفكاره، تجد أفكاره وحالاته المزاجية غير ملائمة للوضع الذي فيه،

فتراه يجهش بالبكاء بدلا من الضحك عند سماع نكتة، هذا غير أعراض شكلية تظهر على الجسد والحركة والسلوك كاللثمة والتأتأة في النطق، وتكرار حركات بعينها وإياءات معينة، كالمشي ذهابا وإيابا أو بشكل دائري أو حتى الثبات على وضعية جسدية بشكل دائم لفترات زمنية طويلة. أعراض واضحة جلية ظاهرة دون عناء، لذلك صدقوا حينما قالو أن كثيرا من أنواع الانفصام ذا أعراض أيجابية لا يجد الطبيب مشقة في رؤيتها

وتحديدها وتشخيصها كإنفصام عقلي...

لذلك ففكرة التبديل والإحلال الذي فعله رفعت بينه وبين بطل روايته جعلنى أجزم في بادئ الأمر أن رفعت ليس أكثر من مدعى كاذب، روائي أوحى له خياله الساذج الفقير بفكرة ما ليتصل من جرمه، ولو كان قد قرأ قليلا في الطب النفسي لعرف أن ما أدعاه ليس له أساس طبي وحتى لو كان فإنه سيندرج تحت خانة الهلاوس والأوهام التي لا تكفى كمبررات لقتله زوجته، فكما عرفت عن طريق المعلومات التي جمعتها أن رفعت لم يظهر عليه قط أي أعراض شكلية أو سلوكية تجعلنى أخمن أنه مريض بالإنفصام العقلي، فكل ما قيل وما جمعت في رحلة إستقصائي عنه أكد لى أنه كان منمقا لبقا مرتب الفكر يجيد الحديث والمناقشة متفاعلا مع الغير لكن ورغم هذا فليس من الصواب أبدا الجزم بكذبه ونفى واستبعاد مرض الإنفصام العقلي عنه فهناك حالات تم توثيقها عن مرضى

فصام في درجاته العالية لم يظهر عليهم أي أعراض سلوكية أو شكلية تنبئ بالمرض...

في النهاية ستظل الحيرة هي العنوان الأعظم وسأظل غير قادرة على تكوين رأى نهائي إلا بعد الإنتهاء من قراءة ما تبقى من روايته وحتى وإن أتممت ما تبقى سيظل حكمى ناقصا منقوصا إلى أن يجمعنى به جلسة أراه فيها عن قرب ليتسنى لى الحكم عليه وسبر أغواره التي تزداد غموضا مع كل ورقة أنتهى منها... ملحوظة: هاتفى أسامة بأنه قام بالتنسيق بينه وبين أحمد جاسر معاون النيابة، محمدا لي ميعادا، وأن معاون النيابة قد أخبره بأنى سأقابل رفعت في القريب العاجل حين الإتيان به من السجن لإستكمال التحقيق...

(١٩)

الأمر مغاير تماما، فارق أن تنظر للقاهرة وهي تستعد لحفلات رأس السنة من نافذة سيارتك متكئا بكوعك علي بابها، وأن تنظر لها من نافذة سيارة الترحيلات قابضا علي قضبان نافذتها. ستكتشف أشياء لم تسطع عينك رؤيتها وتمييزها قبل ذلك وكأنك غريب ضل سعيه فعاد بعد سنين إنقطاع ليصر قاهرة غير قاهرته التي إعتادها. ستري أناسا غير الإناس. ستراهم وستعرف أن جميعهم يشبهون بعضهم بعضا حتَّى لو ادعي كل منهم الإختلاف، ستراهم ولأول مرة دون زينة أو رتوش، تائهين مسيرين يمشون في طرقهم دون إرادة أو حياة، سائرون كما النيام هربا من أحلامهم المستحيلة الممكنة. تماثيلهم كأجسادهم مثل وجوههم المنحوت عليها الحزن بفعل فاعل. أحاديث إذاعاتهم المنبثقة من سياراتهم والتي تمنيهم بعام آخر تُتلي عليهم تعاويذا كما الأسحار علَّها تعيد لهم الحياة، تمنيهم وتبشرهم بعام جديد خال من موات العام المنصرم، كل الإذاعات واحدة بنفس الصوت والإيقاع حتَّى لو إختلفت المحطات. كل شيء يتوهم أهبيته حتَّى محلات خورهم، الزحام مستعر أمامها وكأن فنانيينهم تصرف مجانا لشفاء جراحات العام الذي فات فتعيد رغبتهم التي فارقت أجسادهم...

رميت لأحدهم ورقة مكتوب فيها رقم هاتف رفعت فارتعب، لو كنت رميت عليه قنبلة منزوعة الفتيل ما كان الرعب سيظهر في عينيه جليا لذلك

المدى. ظل يحدق في الورقة هلعا. يتقاذفها الهواء فتقترب من قدمه لتبعد حينما تبصر رعبه ألى أن وثدتها إطارات السيارات قاضية علي آخر أمل لي في أن يعرف أحدهم مكاني فيتحرك...

ظلت عربة الترحيلات تعرج في شوارع بنت المعز حتى خرجت من رحمها ناهبة الطريق الذي ما عاد بصحراوي وصولا لسجن "وادي النظرون ٤٣٠". أمام بوابة السجن استقرت السيارة ككائن خرافي فقد الحياة قبل أن يدلف لمغارته بلحظات. لا أعرف إن كان مكانها أختير صدفة أم بتدبير فالشمس عمودية، تصب سعيها علي جدران السيارة في محاولة لصرها ليصير صندوقها المعدني جحيم لا يُطاق. دقائق وانهمر العرق من الأجساد كنهز قرر أن يلفظ ماؤه ففاض علي الجنين، ظهرت حالات الإغماء، وكذلك ضيق التنفس. تبرع الذين لم يُصعبهم الدور باستعمال ملابسهم وملابس غيرهم كمهقة للتهوية علي وجوه من سقطوا. وقبل أن يُفقد الأمل وقبل أن تُغادر الروح الأجساد إنفتحت نافذة الباب الضيقة ليظهر فم منها قائلا: كل واحد يغمي عليه بفانلته وتنزلوا واحد واحد.. هكذا قال وامثلنا...

خرج أولنا من اتون ما كنا فيه ليفاجأ بإثنين من العساكر علي سلم السيارة يقذفوه من أعلي فيتلقفه هؤلاء الواقفين المنتظمين علي الجانبين وكأنه حفل إستقبال بالهروات والعصي، منّا من تحامل وأراد العبور هرولة ظانا منه أنه بذلك ينجى ألا أنهم عرقلوه لينال نصيبه من الضرب والركل...

في ساحة واسعة خلعنا ما تبقي من ملابسنا، أوقفونا متجاورين، وجوهنا
للحائط لنسمع بعدها صوت يزعق قائلاً: كل واحد يختار له إسم مرّه يا
مرّه إنت وهوّ

في النهاية ستختار، لا مفر، هربا من جحيم الهروات والجلد. من الجائز أن
تصمد إلا أنك في آخر الأمر ستحاول أن تلد إن هم أرادوا. مِنَّا مَنْ تذاكي واختار
إسم بنت رسول الله وهناك آخر إختار إسم أم المؤمنين عائشة إلا أنهم رفضوا
مثل تلك الخيارات، فأسامي الراقصات وألقابهم هي من كانت محل الإعتبار
والإختيار والموافقة.

- هزي يادينا أكثر.. هكذا قال أحدهم لأحدنا ليتمايل أكثر.. وبدأنا
التصفيق مجبرين إلى أن يأتي دور كل منا.

من باب ضيق لمر يجلس فيه أحدهم علي مكتب خشبي مات صانعه منذ
عقود أدخلونا واحدا تلو آخر بقوة دفع الركل واللطم، لا مجال للسقوط أو
التعثّر فتلك اشياء مفادها أن يقف على رأسك أحدهم بحدائه. اياك وأن تقع
فمزيد ومزيد من الضرب بالعصي والهروات الكاوتشية ينتظرك فاتحا لك كل
أبواب الألم...

أخذ كل منا رقما فأصبح واردا، رقم عُرفت به زنزانتة حتى يتم تسكينه.
ومن ذاك الممر لمر آخر أكثر إتساعا وقفنا أمام أبواب الزنازين. هنا ظننت أن
ذلك آخر القيد ونهاية المطاف وأني سرعان ما سأسمع صوت المفاتيح تفتح

الأبواب الموصدة فتنتهى معاناة حفلة الاستقبال، إلا أني فوجئت بأحدهم يسكب علي جسدي جردلا من المياه الباردة المخلوطة بمسحوق تنظيف الغسيل الذي عرفته من الرائحة . أمروا كل منّا بدعك جسده جتى صار الجسد كما اللحم المفري وبعدها فُتِحَتِ الأبواب ليتم

قذفي للداخل مثل الآخرين كل إلى زنزانتة وعالمه الجديد...

ليست زنزانة فذلك لقباً أطلقوه مجازاً أو أنهم إحتاروا في تسميتها فلم يجدوا أمامهم غير لقب زنزانة، فذلك المصطلح له قوانين وقيم لا بدّ أن تتوافر ولا يصح أن كل أربع جدارات يطلق عليهم زنزانة. في الداخل كانت المساحة لا تعدي الأربعة أمتار عرضاً ومثيلهم طولاً أو يزيد متراً أو حتّى اثنين على أقصى تقدير. في أعلي الجدار المقابل للباب نافذة لا يتجاوز عرضها الثلاثين سنتيمتر وطولها بمقدار نصف الحائط، تلك النافذة التي لا تري منها سوي حذاء عسكري الحراسة حين ذهابه لنقطة ما حددتها قدمه وإيابه لنقطة أخري في رتابة، كما أن النافذة وللإنصاف لا تبخل ببصيص من نور يجعلك قادراً علي رؤية كف يدك أثناء الليل. تلك نافذة، وهناك أخري في الباب تدعي شراعة والتي لا تفتح إلا للسب وإلقاء الأوامر ودائماً وأبداً ما تكون مغلقة بمزلاج يسمع صوته إثناء الفتح والغلق. يستقبلك المقيمون فيواسون جراحك قبل أن يواسوك لتكتشف ما أنت فيه وما أنت مقبل عليه بعد ذلك. فبرغم عددهم الذي يتجاوز العشرون نفساً ألا وتجدهم منظمون ومبتكرون أيضاً فالحوائط معلق عليها أكياسهم

مربوطة في عقدة خيط مثبتة في الحائط بقطعة من لب رغيف أو صابون. ركن من أركان الزنزانة تم أقتطاعه ليكون دورة مياة والتي أستبدل بابها بملاءة مثبتة بنفس الطريقة، هذا غير ركن آخر وضح من شكله أنهم قد أستقروا أن يجعلوه مطبخا، قدم لى أحدهم عصيرا، أضنانى التفكير لأعرف كنهه إلا أنى فشلت ليخبرنى أحدهم بعد ذلك أنه ما كان إلا مربي مذابة في الماء، قدم آخر تمرتين وظل منتبها يقظا عيناه لا تفارقنى حتى أنتهيت منها ليأخذ منى نواتها لأعرف بعد ذلك أنه يعيد أستخدامهم كزرائر يغلق بهما الأكياس والشنط...

ستعرف في الليل أنه محذور عليك مفارقة مكانك لأى سبب كان، فتوجهك لدورة المياة معناه أنك ستكمل الليل نائما كما الخيل واقفا . فهم في الليل ينامون مرصوصون كل على جنبه ولا مناص لأحدهم ليتقلب على الجنب الأخر . فمكانك الفارغ سيدوب وستبتلعه الأجساد العطشى للراحة...

في الصباح سيفتح المسوجر، ذلك المزلاج الذي أغلق أمس في تمام الرابعة مساء. فباب الزنزانة وكما عرفت بعد ذلك يتم غلقه بطريقة من أثنين، أما بالكالون، وأما بالكالون والمسوجر مع بعضهما وإذا تم ذلك فالباب لن يفتح مرة أخرى إلا في الثامنة صباحا من اليوم التالى، اللهم إلا إذا وافت أحدنا المنية . هنا فقط يفتح الباب قبل ميعاده المقرر صباحا لسحب جثة من قضى نحبه معاودا الغلق مرة أخرى وكأن شيئا لم يكن...

تأتيك الجراية والتي تختلف من سجن ألى آخر. فهناك سجن يكون نصيب المعتقل فيه ثلاثة أرغفة من الخبز وسجن آخر تتجاوز فيه الحصاة لأكثر من هذا فتصل أحيانا إلى الخمسة أرغفة . في النهاية ستتعلم أن كسرة الخبز لا ترمى بل تقدد لتستعمل في يوم آخر لا تأتي فيه الجراية لأى سبب. مع الجراية التي قذفوك بها تأتيك مغرفة الفول، تلك المغرفة التي يشترك فيها كل مواطنى الزنزانة، أما الغذاء فهناك الطبخة السوداء هكذا

سموها، حاولت كثيرًا أن أعرف مكوناتها وباءت كل محاولاتي بالفشل... ستتعلم أشياء كثيرة، ستتعلم كيف تستفيد من كل لحظة من دقائق التريض، كيف تعرض أكبر قدر ممكن من جسدك للشمس التي يعرضوك لها حتى لا يتمكن الجرب من جلدك، ستتعلم أن لا ترتبط بأحد فالتغريبة أمر روتينى لكل المعتقلات. ستتعلم وتتعلم لكنك لن تتعلم أبدا كيف تنسى من أحببت، كيف تخلعه من قلبك وتقتنع أنك لن تراه مرة أخرى...

(٢٠)

تبيّننا أن البلاد تمر بحادث فريد جلل . فبرغم ما حدث للشباب يوم الثلاثاء السابق عندما حاولوا الاعتصام بميدان التحرير فقام الأمن بالتعامل المفرط في القسوة معهم طالقا فيهم هرواته ورشاشات المياة بعد قطع التيار الكهربائي عن الميدان بالكامل لإتمام عملية الأخلاء، إلا أننا تأكدنا أن ما يحدث بالخارج سيقرب الموازين على أكفها، ذلك أن الدولة أبدا لم تلجأ لقطع كل شبكات الأتصال كما حدث يوم الجمعة الذي فات...

في البداية ظننا أن العيب في هواتفنا لكن وبعد أن إستطعنا الإنصال في المساء بدأت الأخبار ألينا تتسرب شيئا فشيئا. عرفنا أن هناك أعداد غفيرة لا تحصى ولا تعد نجحت في دخول الميدان والتحصن به، هذا غير أقتحام ليمان أبوزعل وغيره من السجون وخروج من كان فيه من معتقلين وجنائين. لم تتوقف الأخبار ألينا في الأتيان تباعا، لم نصدق في البداية رغم تأكيدها من الجميع للجميع. كيف لنظام عتيّ أن يسقط بتلك السهولة؟، كيف لشباب لم تحمل أيديهم غير أناملهم المشيرة بعلامة النصر أن تسقط نظاما رسخ ظلمه سنينا وعقودا حتّى بدا صرحا غير قابل للهدم؟. كيف لنظام لا يعرف غير البطش لغة أن يفهم ويستوعب لغة أخري لا حروف فيها ولا كلمات سوى أنه لا يقبل لهم اليوم بهم ففر أمامهم مذعورا متخليا عن سلاحه الذي كان يستر به عورته؟،

كيف لشعب عاش شتيتا أن يهّب عن بكرة أبيه فتصير الإبتهالات والترانيم مزجا واحدا، أغنية نصر يغنيها الأبكم فيسمعها الأصم فينشدها الأصح دعاء واحدا لرب السماوات والأرض...

كانوا على موعد مع الأمل، وحى تلقته صدورهم فصاروا رسلا لدين جديد عقيدته الثورة ومذهبه الحرية. خاصموا القدر وعاندوه ولم يساقوا كما كان مسير لهم كما الشاة إلى المسلخ. كفروا بإرث آبائهم ورفضوه، كسروا قاعدة أن الإبن وارث أبيه ومن غيرهم كان لهم أن يرثوا الخنوع والذل والمهانة، لم يرتضوا أن يكونوا عبيدا يحملوا تركة من سبقوهم ليسلموها لمن سيتلوهم، تيقنوا أن الوارث عبد والعبد لا يقيم ولا يقام عليه، ولا يعرف غير أن هذا ما وجد عليه أبأؤه، ولم يأت في الوصية غير الصمت والخوف.. من أجل ذلك ثاروا...

شاهدتهم يعبرون . فيضان لا يعيقه ولا يحصره سد . لوهلة خشيت أن يتهاوي كوبرى قصر النيل من تحت أرجلهم إلا أنه صمد من أجهم وتحمل، وكأنه أستبسل من أجل أن ينول شرف عبورهم، خطواتهم كانت كما قرع طبول الحرب، حرب بلا قائد، بلا سلاح أو عتاد، حرب لا يملكون فيها غير أرواحهم التي يقدمونها عن طيب خاطر، معركة لا يملكون فيها غير إرادتهم المشهورة، رغبتهم في غد يملكون فيه أمرهم. كانوا نهرا فوق النهر، بل أن النهر الذي تحت أقدامهم رأيته يتوارى خجلا من هول أنهارهم. نظرتهم وتعجبت، كيف لأفراد أن يصيروا كتلة واحدة، جسدا واحدا، يسقط فرد فيسندة آخر للوقوف متحديا

الموت الذي يأس منهم وقنط. قابلتهم جحافل الأمن، أفراد ومدركات، سيارات وطلقات، قنابل ومياه فقابلوها بالصلاة. الكل يصل صلاة واحدة لا فرق بين مسلم ومسيحي إلا بالثورة، الكل يبتهل إبتهاالا واحدا لا تفرقة فيه ولا شتات . وقع الكثير إلا أن الجميع عبر وكأن الملائكة تؤازرهم، تعبر معهم، شهيدهم تقدم قبل الذي لم تفارقه روحه. الجميع عبر إما روحا سبقت صاحبها للميدان أو جسدا محمولا على أكتاف من حيا، أو كائنا أسطوريا يخطو فتهز قدمه الخاوية قلوبهم. رأيتها بدرا أخري، سيوف تشهر صنعتها الإرادة وصقلتها روح أبدية خالدة لا تعرف الفناء ولا اليأس، عبور آخر كعبور آبائهم وأجدادهم عندما كانوا رجالا للأرض المقدسة التي ناجى فيها موسى ربه والتي لم ترض ببديل غير الدم يرويا ويطهرها من الدنس...

بكيّت وبكى كل من بالزنزانة من هول ما رأي، الطلقات تأتيهم غادرة فيقابلوها بصدور عارية متسابقين إليها متهافتين عليها، تهتف قلوبهم، تنادى على الشهادة فتليبهم أن اليوم يوم حق وكرامة، الحلم يتحقق، الأمل يأتي خاشعا ساجدا، يردد منصاعا إن الحكم إلا للشعب أمر أن لا يذل وأن لا يستعبد مرة أخرى...

جاؤونا في المساء بوجبات إفطار الغد على غير العادة. عيونهم منكسرة رؤوسهم منكسة وكأن الطير عليها. تداعى كبيرهم الذي علمهم السحر وإغشاء الأعين فانفرط زعم ثباتهم، تلاقت الأعين رغما عنهم فرأينا فيها الخنوع والمذلة،

كانو بالأمس سجانين واليوم صاروا سجناء خوفهم، يبحثون عن شيء من بقايا روحهم ليتجلدوا به فلا يجدوا غير الرعب يملأ صدورهم، ترقص أعيننا فرحة وجلة فترنج أعينهم من سكرة الموات...

في الصباح بدأت المناوشات والأصوات العالية تأتينا من عنابر الجنائين لنصاب بها نحن الآخرين رويدا رويدا لما تحولت مناوشات من الخارج إلي عراك وصرخات بتنا نسمعها بوضوح، حاولنا كثيرا فتح باب الزنزانة على مضض وخجل وهدوء، وعندما استحال علينا ذلك بدأ طرقنا على الباب صرخين من أجل أن يفتحوا لنا. ظللنا نحاول بما هو متاح ونصرخ بما نملكه من صوت ولا مجيب، إلى أن فتح الباب ليظهر أحدهم ملثما فإمرنا جميعا بالخروج لنعرف بعدها أنهم فتحو للجنائين قبل أن يأتونا. منا من رفض الخروج فكان نصيبه طلقة نارية في قدمه فخرج الجميع في النهاية بعدها إما رغبة أو إجبارا...

في الخارج شاهدت ما يحدث وكأنه يوم طامة. الجميع بزيه الأزرق يهول غير واع ولا مدرك، حظيرة فراخ فتح بابها فصار كل فرخ فيها منطلقا في اتجاه. منا من كان متجردا لا يحمل غير أمنيته بالخروج من السجن ومنا من أصر على حمل حاجاته ومتعلقاته وكأنه يجررها معه، ومنا الذين وقفوا هادئين مستشيرين بعضهم بعضا عليهم يصلوا بقريحتهم لقرار يحسنوا به التصرف. رأيتهم وعرفت منهم أناسا كنت قد شاهدتهم قبل ذلك في التلفاز ضيوفا على النشرات التي دأبت في كل مرة على تأكيد حظرهم رغم مشاركاتهم في كل دورة برلمانية وكل عمل

سياسي. رأيتهم واندهشت لدجاجتهم عندما سمعتهم يحاولون الاتصال بمصلحة السجون يسألون أهلها التصرف وعندما أستحال عليهم الرد بدؤوا بمراسلة القنوات الأخبارية هاتفيا ليؤكدوا لهم أنهم قد أفرج عنهم مرغمين وأنهم لا

يريدون الحرية المرغمة المقتنصة...

تركتهم بمجلسهم الواقف، قابعين في حيرتهم جازما أنهم في نهاية الأمر سيجدون أن رجوعهم للإعتقال والزنزانة بجدرانها الأربعة هو أسلم الحلول، فالحرية لأمثالهم لا تأتيهم إلا طوعا على طبق رضوخهم . هذا ما حدث وهائذا أمامك...

تنظر إليه متأملة سرحة فيحرك يديه يمينا وشمال قبال وجهها قائلا: أيه روحتى فين؟

تطيل النظر إليه وكأنه لم يقل شيئا ثم تجيبه خافطة عاتبة: ولما إنت في السجن كان معاك موبيل ليه متصلتش بيا تظمني عليك؟

يضحك على بصوت عال فتظهر نواجزه عندما يسمع كلماتها: يعنى أنتى يا سياح سيبتى إقتحام السجن والثورة بكل ما فيها وركزتى بس في ليه متصلتش بيكى؟!!

تبتسم سياح خجلة: لا عادى أنا بسال بس.

بعد صمت يجيبها: أنا عرفت إن عرفة هو اللى حطلى الورق وهو كمان اللى

بلغ عنى

تجيبه مذهولة: أنت بتقول ايه؟! عرفة مش ممكن يعمل كده...!!

- صدقيني ده اللى حصل ولولا إني متأكد مكتتش قولتلك

تستمر سماح في ذهولها وتحديقها: وليه عرفة يعمل كده؟!

- عادى أكيد عرف باللى كان بينى وبين أمانى

تنظر إليه صامته فيجاوبها بمثله، تلتقى الأعين فتكمل ما عجز

اللسان عن إتمامه . لم يكن على يظن أبدا أنه سيأتى يوم عليه ويصاب بسهم

العشق وداء الهوى. كانت حياته تسير وفق ما يريد وعلى حسب ما يخطط، حياة

يعرف كيف يستغل فيها شخوصها ممتطيا ظهورهم حتى يصل إلى هدفه. لم يكن

يعرف أن سماح ستصبح سدا يعيق استمرار فساده وسريان كرهه، صخرة يتحطم

عليها حقدته. سراجا ينير ظلمته، يأخذ بناصيته، يهديه السبيل. فسماح لم تكن له

مجرد حبيبة يهديها رقيق قلبه وعذب كلياته، بل كانت له الحصن الوحيد الباقي

الصامد أمام أستبداد أنانيته وفساده، معركته الأخيرة والتي يجب أن ينتصر

فيها...

ينظر إليها متأملا فيراها تنظر حولها، تشاهد ما يحدث، تراقب وتبتسم حين

تري أحدهم يصر على إعطاء آخر علبة من عصير دون أن يعرفه فيأخذها الآخر

بعد محايلة ليعطيها لمار آخر. تضطرب ويرتسم الحزن على وجهها النضار حينما

تري آخر محمولا على دراجة بخارية يطمس الدم ردائه. تتفضص صرخة حينما يشق السكون صوت طلقة فتتظر ملهوفة على علىّ تطمئن وتستمد منه الحماية والسكينة فتراه يتأملها فتحاول أن تستمر بالنظر في عينيه ألا أن الحياء يمنعها فيسارعها بالقول قائلا قبل أن تغيب عيناها عن عينه: بحبك

تنظر أرضا خجلة فيكمل مبتسما: هو بس يمشي ونتجوز ولا عايزة ولادنا يقولو علينا سابوا الميدان عشان يتجوزوا..؟

بخفوت ممزوج بالخير نجيبه: نفتكر عرفة هيوافق؟

يفارق جلسته ماذا يده فتمد يدها ليعينها على الوقوف، يراها تضم ثيابها تدثرا من البرد فيخلع من على جسده جاكته واضعه على كتفيها قائلا:
ألبي ده..

تطاوعه مسلمة أمرها تاركة له يدها ليضمها براحة يده بادئة السير جواره.
- على عايزة أحكيك حكاية وعايزاك تسمعني من غير ما تقاطعني..
يهم بالكلام إلا أنها تبدأ وكأنها لا تنتظر منه موافقة، أو كأنها ترغب في أزاحة حجر من على صدرها يثقل عليها ويعيقها التنفس. بدأت الكلام بعين شاردة لا تعي ولا تدرك شيئا سوى أنها تريد التكلم والحكى. بدأت وقالت..
كنت في العاشرة من عمري أو أزيد قليلا. لا أظن أن هناك من هم مثلي.
فأنا بنت الشقاء والألم. بنت أب لم يكن يجد ألما في أن يركلني بقدمه حينما أجري عليه كأي طفلة راغبة في ضمة ذراعه، بنت أم لو كشفت لك عن جسدي فلن تجد

جزءاً فيه نجا من حرق ملعقتها. ماذا أقول لك؟، هناك الكثير والكثير مما أحث ذاكرتى وأتوسلها أن تنساه لكنها دائماً تحذلنى بل أنها تنبئنى بأنى لن أنسى حتى لو كنت على فراش الموت تتسلل منى روحى. ماذا تنتظر من طفلة لم يكن لها غير دميها القطنية تكلمها وتناجيهها، تحتضنها، تبادلها العطف. تسألت مرة لما رأيتنى شغوفة بكلاب الشوارع الضالة، أعطف عليهم، ألاعبهم دون خوف أو وجس، ساعتها كان جوابى عليك أنهم حيوانات غير مؤذية عكس ما هو متعارف عليه. لم تكن تلك كل الحقيقة. فسبب عطفى عليهم وعدم خوفى منهم هو أن أحدهم كان صديقى، أتصدق هذا، أحدهم كان صديقى أنيساً لوحدى، كلياً لعزلى. لم تكن غرفتى بيت أبى غير زنانة قررتها لى أمى، كنت لو تحدثت دون إذن أو سماح تأخذنى للغرفة غارقة إضاءتها. لم أكن أجرو ساعتها على فتح نافذتها الوحيدة التي تطل على حديقة خلفية متهدمة السور لأدخال بصيص ضوء. ما زلت أتذكر خوفى ورعشة أوصالى. بكائى الصامت حتى لا تسمعه أمى فتزيد من عقابى. كنت أظل على ذلك الحال حتى يأتى. كلب ضال اختار تحت النافذة مسكناً له. ينبح هو وصغاره وكأنه يقول لى أن أطمئنى فأنتى لست بمفردك. لك أن تتخيل طفلة تستأنس بنباح كلب، تنتظره حتى يزول عنها الخوف. تصاحبنا دون أن يري بعضنا بعضاً إلى أن قرر أبى حرمانى من صديق سجنى واضعاً له السم هو وصغاره، وكانت تلك الليلة...

ما زلت أتذكرها وكأنها الأمس . ما زالت أصواتها تتردد في أذني، أحداثها منحوتة في عقلي مصورة في عيني، مسيطرة على روحي، تمثل كل ذكرياتي، تطرد كل ذكرى لتصبح هي المشهد الوحيد. كنت بغرفتي على سريري تحت غطائي عقابا، أشكو دميتي ألم روحي وجسدي، أعاتبها أنها لم تحميني من برائن أمي، أحدثها أني حينها أكبر وأستطيع سآخذها ونهرب بعيدا عن كل قسوة وألم، وأذا لم نصمد سنبحث عن أب وأم آخرين يستطيعون أن يلعبوا معنا، يحتضنونا، يضحكوا في وجوهنا، كنت أمنيها وأمني نفسي كأى طفلة قاست وتألمت، حتّى سمعت صوت صرير فتح الباب كان يفتح ببطء وحذر، كان صريره ليس غير رسالة تنبئ بأن القادم مخيف. تقدم بخطوات ثقيلة، كان صوت أقدامه فحيحا، ثعبان يزحف دون صوت لكن أذني سمعته بكل وضوح وخوف. غطيت رأسي بلحافى، أجبرت عيني أن تغمض، أحتضنت دميتي القطنية أكثر ألتمس منها الحماية، أنكملت في سريري، ضممت ساقاي إلى صدرى، تكوّرت على نفسي حتّى شعرت بيده تتسلل من تحت الغطاء. لم أدري وقتها ماذا يفعل ولما يتحسس جسدى بتلك الطريقة وفي تلك الأماكن منه. ما زلت إلى الآن أتذكر صوت أنفاسه اللاهثة عيناه المحملة بكل شر الدنيا عندما خانتني عيناي ونظرت إليه . كان خالى، نعم هو خالى أخو أمى الذي تأخر به الوقت فقرّر أن يبيت ليلته عندنا ليسلبنى عذرية جسدى وروحي معها. كنت صغيرة لا أعى شيئا، لكن طفولتى أنبئتني أن ما فعله خالى بى وما سببه لى من ألم فعل رجيم...

ذهبت إلى أمي لأخبرها بأمر خالي وما سببه لي من ألم وأنه خلع عني لباسي
الداخلي وفعل بي ما فعل، أخبرتها، فرأيت أحمرار وجهها وغضب يكب من
عينها. شدتني من يدي، أخذتني إلى المطبخ، وبكل عنف فتحت أحد الأدراج
أخذة منه سكيناً لتضعها على الموقد بعد أن أشعلته. توسلت إليها أن تتركني،
بكيت حتىّ تسامحني، أخبرتها بأني لن أكلم أحداً في ذلك الأمر ولن أحكى لأي
أحد مرة أخرى، وصل بي الأمر أنني قلت لها أنني لن أتألم مرة أخرى إذا جاء خالي
وأعاد فعل ما فعل. ظللت أبكي لتتركني دون حتىّ أن تسمع بكائي لتضع
السكين على يدي في نهاية الأمر لأصرخ علّ أحدهم يغيثني...

كان على يسمعها محققاً لها ما أرادت، لم يقاطعها، تركها تحكى، تقص ما
تعرضت له من ألم. لم يظن أبداً أنها تعترف له أنها إذا تزوجا فلن يجدها عذراء،
بل كان على يقين أن حديثها لم يكن إلا رغبة منها أن يحمل أحدهم عنها ألمها،
يواسيها، يضمدهم جرحها، يبعث إلى روحها الحياة التي قتلتها الأيام والسنين. لم
يقطع تفكيرها إلا صوت طليقة قريبة جداً منها مصحوب بدخان كثيف مانعاً
عنها وعنه الرؤيا قاطعاً الهواء الواصل إلى صدرهم...

حبست أنفاسها بيدها حتىّ لا تستنشق أكثر من قبلة الدخان الملقاة
بالقرب منهما، حاولت أن تصرخ بإسمه إلا أنها لم تستطع. كان الحديث كان قد
أخذها إلى منطقة مكشوفة غير آمنة دون أن يشعرا. وقعت أرضاً نتيجة

أصطدامها بشيء ما، تحسسته فوجدته علىّ، تحاول أن تجره إلا أنها لم تقو على ذلك...

ينتشع الدخان، يربت على وجهها لتطمئن، تنظر إليه فتفاجأ ببقعة دم تكبر، تأكل لون قميصه بالكامل...

ينظر إلى جسده فيتذكر ألمه يضع يديه على جنبه الأيسر قائلاً: وديني البيت، أنا كويس متخفيش.. هكذا قال قبل أن يغيب عنه الوعي..

في الطريق كان يستيقظ، يللم نفسه، يحاول أن يبتسم ليطمئنها، يجاهد ليتنفس، يسعل كثيراً، يضع يدها على صدره متألماً، على قميصه بقع محروقة لم يبذل مجهوداً في تفسير كنهها، طلقات من خرطوش أصيب بها في صدره وجنبه، تحدته مذعورة في وجوب الذهاب إلى مستشفى، فيرسم على وجهه أبتسامة ساخرة حارب فيها ألمه حتّى يصنعها قائلاً: متكبريش الموضوع، أنا كويس

أسنذته حتّى وصلت به للفراش، فتحت دولا ب ملابسه أتية بقميص آخر غير الذي عليه، تصعق من كثرة عدد الطلقات التي في صدره، تتيقن من وجوب الذهاب لأي مشفى قريب، تحاول أن تحمله، تفشل فقد خارت قواها ولم تعد قادرة على شيء، تتذكر أحاسيسها فتسرع بالإتصال به ليأتى ويتصرف، لم تقل له شيئاً غير.. إلحقني أنا في شقة على.. إلحقني.. ليغلق الهاتف على عجل واصلا بعد دقائق هو وأمانى...

كانت حالته تسوء أكثر. أجلسه سائدا إياه بذراعيها حتى يشرب كما طلب، جاهد ليرتشف رشفة من ماء فسعل بقوة فتناثر من فمه قطرات من دماء. ضمته إلى صدرها ماسحه نقطة دم كانت على شفثيه..

يسأل عرفة عن ما حدث زاعقا. فتنظره سماح وكأنها تراه لأول مرة قائلة له: إنت اللي بلّغت عن علي؟

يصمت عرفة صمت المذنب ليحجب بعدها: أيوه أنا اللي بلّغت عنه، ولو ينفع أقتله مكتشش أترددت، أنتى مش عارفة هو عمل فيا أيه؟! قالها ناظرا إلى أمانى نظرة ذات مغزى فتأكد لسماح ظنها أن عرفة كان على علم بعلاقة علي بزوجته..

يكمل عرفة مفزوزا: كتنى مستنية منى إيه؟، كتنى مستينانى أسامحه بعد ما داس على شرفى، بعد ما وسخه، كتنى مستينانى أسامحه، أسيبه..؟
تهم أمانى بالكلام إلا أن عرفة ينهرها قائلا: أنتى تسكتى خالص، طب هو إتسجن، سد من فاتورته ولسه هيدفع تانى، إنتى بقى لسه حسابك مجاش، هخليكى تتمنى الموت، تطليبه، ومش هتنوليه، الموت للى زيك هيبقى راحة ميطولهاش..

يكفهر وجه أمانى طالا الخوف من عينيها إلا أنها تستجمع قواها قائلة: أعمل اللي أنت عايظه، بس لازم تعرف إن إنت السبب، إنت اللي عملت فيا كده، أنت اللي وصلتنى لكده. دايا ساكت، دايا سايبنى لوحدى، كنت بشحتك عشان

تتكلم معايا، ياما حاولت أتقرب منك مكنتش بلاقى منك إلا الصد، تقدر تقولى
 آخر مرة لمستنى فيها كان إمتى، تقدر تقولى آخر مرة إفتكرت إنى ست ليا رغبة،
 ست عايزة راجل يقدر أنوثتها، يسمعها ولو كلمة تحس بيها إنها عايشة وليها
 لازمة. زعلان إنى خنتك مع على؟!، أبوه خنتك مع على. وهو مين اللى قرّب
 على، مين اللى دخّله حياتنا، مين اللى سابنى ليه يعمل اللى أنت معرفتش تعمله،
 مش إنت يا عرفة..

يصرخ عرفة بشدة: أنا مش عرفة أنا رفعت

يتكهرب الجو، تحملق سماح في وجه عرفة ظانا منها أن جنون قد أصابه
 فيكمل عرفة قائلا: متستغربوش، أنا مش عرفة، وانتو مش حقيقة، أنتو مجرد ناس
 على ورق، ناس مش موجودة إلا في خيالى، عقلى اللى خلقكم وايدى هيا اللى
 كتبتكم

تقاطععه أمانى: إنت بتقول إيه؟ إيه الجنان اللى بتقوله ده؟!!

يقترّب منها عرفة بوجه إرتسم عليه كل الشر قائلا: جنان يا وسخة!! لسه

زى ما أنتى

يهم بالهجوم عليها صافعا إياها إلا أن سماح تصرخ قائلة: بس.. على تعبان،

لازم يروح مستشفى دلوقتى

يلتفت عرفة كما أمانى إلى على الذي نسيه في غمرة مواجهتهما، فيجد سماح

تحضنته بقوة وبخوف شديد، مصفر وجهها كما وجهه باكية بشدة..

بصوت متهدج همس على في أذن سماح قائلا: مفيش وقت، ساحيني، أنا

بجك، ساحيني

تبكى بشدة قائلة: متسينيش

بمجهود ينظر إليها: أنا هموت، همشى، همشى وانا مش قلقان عليكى، أنتي

خلاص إتغيرتى.. يقطع كلامه بسعاله فيصمت حتى يهدأ، يستجمع قواه ليكمل

قائلا متزعليش عليا، أنا رايح مكان أحسن، وأكيد ربنا شاف اللى أنا عشته،

وهيساعنى، أنا هرتاح خلاص يا سماح

بكلمات مليئة بالدموع: متسينيش، أنا مش هعرف أعيش من غيرك..

يجاهد ليبتسم قائلا: لا.. هتعيشى وهتجوزى وهتخلفى ولد وتسميه على

كمان، حاولى تنسينى يا سماح، حاولى تعيشي

يتنفض جسده مرة ومرة، يخور، تترك يده التي كانت تحتضنها فتسقط دون

حياة.. تصرخ صرخة عالية بأسمه، لكن دون إجابة...

(٢١)

تبعد هاتفها عن فمها مخبئة نصفه الأسفل بين راحتها سائلة أحدهم بتردد:
هو مكتب أحمد جاسر معاون النيابة فين؟

يتفحصها مستنكرا ذكرها الأسم دون القاب مشيرا بيده دون أكثرات إلى
غرفة تلى الغرفة التي يقف أمامها فتوجه إليها معاودة الحديث في هاتفها قائلة:
خلاص يا أسامة والله لما هخرج هكلمك على طول

تجد أخرا واقفا مثل نظيره الذي دلها فتخبره برغبتها بالدخول وأن بينها
وبين معاون النيابة ميعاد فيغيب للحظات بالداخل ليخرج إليها قائلا: شوية
صغيرين وهتدخلى حضرتك على طول، الباشا يخلص التحقيق بس

تبتعد قليلاً عن الباب هروبا من الممر الضيق لتقف قبال نافذة محاولة جلب
هواء نظيف إلى رئتيها يعينها على التخلص من ضيق انتابها منذ ولوجها المصعد.
تعبث في هاتفها لفترة وعندما يستحيل عليها صد الملل في محاولة تسلله إليها
تغلقة واضعة إياه في حقيبتها معاودة النظر من النافذة...

لا شيء يشغلها سوى رفعت، لم تنم منذ أمس منذ أن عرفت من خطيبتها
أسامة أن المقابلة اليوم، حاولت كثيرا أن تسقط الموضوع برمته من حساباتها، أن
تحيله لذلك الركن المظلم في ذكراستها لتستدعيه وقت أن يقف أمامها وتقف أمامه

إلا أنها لم تستطع، تملء فراغات الخيال بحديث وهمى بينها وبينه فتسأله فيجيبها فيعطيه الحقيقة كاملة..

يناديا الحارس: إتفضلى حضرتك الباشا مستنيكى

تدخل فيراها فيغادر كرسيه مبتسما مادا يده قائلا: أهلا بيكى يا دكتورة شرفتى مكتبى..

يشير إليها بالجلوس معاودا مكانه قائلا: تشرى إليه؟

بخجل: شكرا.. أنا بس جيت لحضرتك على حسب المعاد وأكد أسامة

كلمك

- أه كلمنى وهتقابليه لكن بشرط

باستفهام: شرط أيه؟

- يفضل موضوع المقابلة ده سر، دى مسئولية

تؤمى برأسها قائلة: متقلقش، محدش هيعرف حاجة عن الموضوع ده

- قبل ما تقابلينه مش عايزة تعرفى التطورات اللى حصلت فى القضية

- تطورات إليه؟

- طبعا أنا قرئت الرواية زيك مرة واتنين وتلاتة يمكن أقدر أوصل حاجة،

وكان باين من الورق إن الدافع فى القتل الخيانة، لكن بسؤال سامح أنكر تماما

الكلام المكتوب، هو أه أعترف أن فعلا كان فى علاقة حب بينه وبين أمنية بس ده

كان قبل جوازها من أخوه، وهو فعلا قابلها لكن المقابلة خلصت بينهم بوعده منه

إنه هيكلم رفعت، وبالفعل لما دورنا في موبيل رفعت لقينا رقم سامح ظاهر كثير إلا إن رفعت مردش على أي مكاملة منهم، يعنى وباختصار رفعت ميعرفش إن أمنية راحت لسامح البيت وإن اللى كتبه مش أكثر من خيال مؤلف

ياستغراب شديد: أمال قتلها ليه؟، وليه كتب إن مراته خائنه ،

- ده اللى مش عارفينه لغاية دلوقتى، هو رافض تماما إنه يتكلم وللعلم مش كل اللى كتبه رفعت خيال، فعلا ليه صاحب أسمه محسن مات من التعذيب في أمن الدولة، وبالتحريرات عرفنا إن كان في علاقة بين رفعت وبين مرات محسن اللى هيا لى لى وسامح أكد الكلام ده وذكر أن ده سبب رغبة أمنية إنها تتطلق

- أنا مبقتش فاهمة حاجة

- إيه اللى مش فاهماه؟

- لما أمنية مش خائنة، ليه قتلها؟

- ومين قال أن أمنية مش خائنة، مش يمكن سامح بيكذب، أو حتى يمكن مش كداب وفعلا مغلطش مع أمنية وهيا اللى كذبت وقالت لرفعت إنها خائنه مع أخوه كنوع من الإنتقام يعنى، وده اللى خلاه يقتله. كل الأسئلة دى هيتفك طلاسمها لو رفعت إتكلم، وعشان كده وافقت إنك تقابليه لعل وعسى تتفك عقدة لسانه

- عايذة أقابله

بابتسامة خفيفة تفهها لحماسها قائلاً: حاضر هتقابليه، بس زى متفقدنا ده سر، هغيب عنك نص ساعة بالكثير، رفعت بيخلص شوية إجراءات بسيطة، وأنا هكلف العسكرى اللى بره يدخله أول ميخلص وإنتى لو عزتى أي حاجة نادى عليه...

يغادر كرسيه ملتفاً حول مكتبه متوجهاً إلى الباب. أمام الباب من الخارج تراه يحدث الحارس بصوت خفيض مشيراً إليها بيده مرةً وبعينيه مرات فتفهم أنه يوصيها عليها وما يجب عليه فعله حيالها. يغلق الحارس الباب تاركاً إيها وحيدة في غرفة المكتب...

خوفها يتزايد وقلقها يسيطر عليها فعلى قدر ما تمت تلك المواجهة على قدر ما تهابها الآن، قرأت روايته دون الفصل الأخير ألا إنها لم تستطع أبداً الحكم عليه، فبرغم أن كل شخص روايته بل كل المحيطين به لما كتب عنهم جعل فيهم شيئاً منه وكأنه يكتب عن نفسه إلا أنه إشتبك مع شخصيات روايته ومن كتب عنهم، عراهم نازعهم الموت قبل الحياة، وكأنه أراد بهم أن يملأ خواء روحه، يقتلع الكلمات من سنيه العجاف فيكتبها فيرجع ليتساءل عما بيده ومن أي أودية من روحه خرجت تلك الكلمات. يكتب فيمد بكل كلمة يكتبها سلماً شائكاً يجاوط نفسه به حتى لا يقترب أحد فيفهم، يعذب نفسه ويعاقبها بإبعاد وإيذاء كل من حاول التقرب منه في مازوخية يشفق فيها عليه

تعاود العبث في حقيبتها فينجح هاتفها في الوصول إلى يدها خارجا من
 محبسه، تعاود فتحه علّه يستطع دحر الوقت المشلول عقاربه فيستحيل عليه ذلك
 فتدسه في الحقيبة معلنة هزيمته مبدلة إياه بكتاب أو هكذا بان لوهلة، فما كان بين
 يديها لم يكن إلا الرواية التي كتبها رفعت والتي جمعتها ونظمتها وأعدت طباعتها
 وتغليفيها. تداعب أصابعها الورق حتى تصل لورقة مكتوب فيها وبينط عريض
 ولون مغاير (الفصل الأخير) فتبدأ في القراءة قبل أن يأتوا بصاحب ذلك
 الفصل...



الآن الوقت مَوَات..
كل الأشياء مَوَات،
اللعبة ضجرة متعبة تهمة بالإنصراف.
من أجل ذلك بهدوء تلمس طريقا
للخروج.

(الفصل الأخير)

(٢٢)

ليست كل الحكايات تُحكى،، وليست كل الحكايات فحواها حروف
وكلمات،، هناك حكايات أخرى غير ذي،، تلك الحكايات القصيرة التي تتلخص
في كلمة وجع.. كيف أصف الوجع..؟!، إن سألتني أحدهم ماذا بروحك من ألم
فكيف أجيبه؟، أوجع الروح مثل وجع الجسد نعبر عنه بكلمات مثل نغز وضيق
وثقل وإذا عظم الألم تستحضر البلاغة فنقول وكان أحدهم ينهش، وكان أحدهم
يقطع. لا أظن أن كلمات ألم الجسد تصلح أن تعبر عن وجع الروح، ولا أظن أن
هناك كلمات كافية نستطيع بها أن نصف ذلك الألم الساكن بين الضلوع...

أتسائل أحيانا كيف إحتملت؟!، كيف قاومتُ وناوِبتُ علي أيامي
أحرصها لتصير شهورا وسنين، كيف لم تخنقني تلك الغصة المعلقة المحشورة في
حلقي، كيف تجاوزتُ الألم، ثم ما الجدوي أن أتسائل الآن؟!، الأسئلة تدفعني
للجنون والسكوت عنها موت. ما المنطق أن أستحضر ما ألمني أمس ليؤلمني
اليوم، وكأنني أستحلب ألمي، من منا يطارد الأخر، من يكتب من، من سيد من
وصانعه، من سبب وجود الأخر ومن يستمد من الأخر الحياة، من منا الزيف
ومن منا الحقيقة، أأنا الصانع الذي صنع لعرفة ذلك العالم الشاحب. فجعله
يتسول الحب في زمن جف فيه ضرع المشاعر وكيف يُلتمس الضرع والضرع يابس

من أناس لم يُفطروا عليه فكان بديها أن تملأ الخيانة أكفه المددوة في تضرع . ماذا فعلت به؟، لم لم أشفق عليه؟، جعلت الجميع ينهشون لحمه، سلبته كل أدوات دفاعه، حرمته من كل أسلحته، جعلته رخوا هيئا تقيده مبادئه وتكبله اغلال قيمه، رميته في أتون حرب طحون مباح فيها كل خبيث واقفا له بالمرصاد إن حاول الحيد عن كتابي، وبعد إن صرت مكانه ملاً صراخ شكواى جنبات روحى متدمرا من الخيانة والخائنين، كافرا بما نصه عقلى وما كتبتة يداي. وحتى وإن كان عرفة هو الذي خلقنى من وحى خياله وكوننى وما كنت أكثر من نطفة في عقله تقوم بعمل المحرض حتى أستسلم فحولنى إلى جنين شكله وصاغه بينات أفكاره، لم جعلنى على حالى خائنا فاسدا لا شرف لي ولا قيمة، أين أنت، ألك وجود، أم أن وجودك في خيالى فقط، سئمت صمتك، وعزلتك في بحر عقلى، لم لا تتكلم، لم لا تنطق وتدافع عن وجودك، غارق دائما في صمتك، لا أدري أن كان سكوتك ترفع وكبر أم لضعف أو عدم وجود...

أعلم أن ما سيقدم من أجوبة سيؤكد غياب الإجابة، فعندما شرعت في كتابة روايتى إخترت عرفة كشخصية محورية تدور في فلكه كل الأحداث والشخصيات لم أجعل فيه ما يميزه، بل كان منفرا أحيانا، ضعيفا، نيا، تحترمه بداية وتتعاطف معه، لكن ومع مرور الوقت ودون أن تشعر تسقطه من حساباتك، تتيقن أنه لو عاش ألف عام وغاب فلن تتذكر حتى أنه قد مر من هنا. كان بإستطاعتى أن أجعل منه بطلا مكتمل الأركان، بطل مثل الذي يسطرونه في

الحكايات والقصص، إلا أنى جعلته مائعا كما أكلة خاصمها الملح. نصف حقيقة ونصف زيف يستقوى ليسيتر ويسود، جعلته أشبه بقط تلك التجربة الذي لا تميزه إن كان حيا ولا ميتا في حبس صندوقه ومن هنا جاء عنوان الرواية واسمها.. شروندجر...

أعترف وأقر أن هناك خلل في عقلي، اضطراب ما، فما يحدث لا يصنف إلا أنه ضرب من جنون، شطط جعلنى أتخيل نفسي غير نفسي، كيف بكاتب يستيقظ من نومه فيجد نفسه مكان بطل روايته على الورق. أتمنى المرض وأطلبه فمجرد التفكير في إمكانية حدوث هذا يصيبنى بالهلع، ما أبشع من أن يعيش المرء شر خياله. لكن إقرارى بمرضى النفسى ليس نهاية المطاف لما أنا فيه من حيرة فاضطرابى مفاده أن هناك احتمالا ولو ضعيفا أنى من الأصل عرفة ذلك الهش البائس ورفعت ما كان أكثر من شخصية خلقها خيالى. عموما بوسعى الآن الإستغناء عن كل تلك الأسئلة المربكة التي لا قيمة لها ولا إجابة فإن كنت سبب وجوده أو إن كان هو فعولنا قد تشابهت واتحدت، هو خاتته زوجته وزوجتى خاتنتى...

سأجعله يقتلها، سيدخل عليها غرفة نومها فيجدها تلملم ملابسها في حقيبة سفر كبيرة دون نظام وترتيب، في البداية سيحاول تجنبها، سيسعى على الحفاظ على كرامته عبر ادعائه أن رحيلها لا يفرق معه، سيدعى رغبته في خروجها من حياته إلا أن الشر سيطرق رأسه مثل كقرع طبول الحرب، ستصرخ

نفسه صرخة المقبل على المواجهة، سيجهل إن كانت صرخته خوفا من شره وإيدانا منه بخروجه عن زمام سيطرته أم خوفا مسبقا بهزيمة نفسه التي ستبقى وحيدة بعد هجرها له، سيقبل عليها، سيحادثها علّها تحسم خوفه، ستهاجمه فيبدأ بخنقتها...

القدر فقط هو ما سيجعله يغير من طريقة قتله لها فملبسها الذي لم تكمل أرتدائه جعل نهدبها يطلا من فتحة قميصها وهنا غير رأيه هذا بعد أن فقدت الوعي...

ستستيقظ فتجد نفسها قد نُقلت من غرفة نومها إلى منتصف الصالة، عارية تماما مقيدة على كرسي، تستشعر الخطر، تسعى لفك قيدها فتخور قواها، ستأس فيختلط الهلع المطل من عينيها بتوسل وتضرع، سيغادرها متوجها للمطبخ عائد بالسكين المحبب لها والتي كانت دائمة الأستعمال له، ترى السكين معانقا راحة يده، فتحاول أن تصرخ بعين فاضت بكل رعب الدنيا إلا أن اللاصقة التي على فمها ستعيق صراخها، سيري الرعب في عينيها مطلا، تتابعه حدقتها أبا تحرك، يترك السكين على طاولة الطعام الملاصقة لظهره منحيا إليها مرتبا على كتفها طابعا على خدها قبلة أرادها حانية، تهدأ قليلاً ودون أن تري يده سيسحب سكينه ملتفا حولها نصف دورة فيصبح خلفها، سيسند ذقنه على رأسها بهدوء وسكينة، ستهدأ حركتها أكثر عندما يهمس لها قائلاً متخافيش وهنا يبدأ بالقطع...

سيعمل سكينه في نهدها الأيسر ببطء ورتابة، سينتفض جسدها مع كل ذهاب وإياب في لحم ثديها، سينفجر الدم شلالا متناثرا على وجهه ووجهها، بطرف كفه سيمسح قطرات الدم المتناثر على وجهه ووجهها، سينتهي، فيلتف مرة أخرى ليصبح أمامها، سيزيح اللاصقة من على فمها فتهم بالصراخ فيكتم فمها بشفتيه لاعتقا شفتيها برغبة وشوق، تستسلم تماما، فيجثو على ركبتيه بادئا في فك سراح يدها اليسري، يقف فيري العرق يغمر وجهها فيمسحه، يمر بيده على شعرها مساويا له مرجعا خصلاته خلف أذنيها، ينقل وقفته جوارها ماسكا يدها غامسا أجهما مكان ما جزه سكينه بادئا الكتابة على زجاج الطاولة..

" أرسم هذه العوالم وأعيش فيها كما أريد.. كل إختيارياتي صحيحة لكنها مع الأسف خاطئة "

سيحاول أن يوقظها حتى لا تفوتها تلك اللحظات التي لن تتكرر فتبوء محاولاته بالفشل، سيسك أنها قد ماتت إلا أنه سيحدث نفسه بأن لا جدوى من التأكد فما من شيء سيثنيه على إنهاء ما بدأه...

سيأخذ ما قطعه من صدرها للمطبخ وسيبدأ بطهيه مضيفا إليه كل ما طالته يدها من توابل..

ببطء ستفتح عينيها، وجهها صار شاحبا بشدة يميل لى الزرقة معلنا أن الحياة قد قاربت على مفارقتة. ستراه جالسا على الطاولة يأكل، يراها تنظر إليه بوهن شديد فينظرها متأملا مبتسما، يغرز قطعة لحم في شوكتة قائما إليها، سيضع

قطعة اللحم في فمها، سيساعدها على أغلاق فمها بوضع يده تحت ذقنها حتى تطبق فمها عليها، يتركها فتسقط قطعة اللحم في حجرها غائبة مرة أخرى عن الوعي..

سينهى ما بدأه، مكملا بتر نهدا الأيمن وبعد أن ينتهى سيضع السكين في فرجها...

سينتهى من طعامه، سيرجع إلى ورقه ناهيا روايته بخاتمة سخيقة هزلية أراد فيها أن يظهر هادئا خفيف الظل يشرح فيها ما تم متباها بفعلته متصلا بالشرطة...

هذا ما قرأته مريم وهذا ما جعلها تنتفض مع كل كلمة . كيف له أن يفعل ما فعل، وبأى صورة يرى نفسه، هل يري نفسه عرفة ذلك المخلوق الذي خلقه خياله، أم يري نفسه رفعت ذلك السيد الذي صنع شخوصا لا لشيء إلا لتدور في فلكه راضية غروره وكبره. لم قتل زوجته؟، هل لأنها خائنه؟، أم لأنها خرجت من قيده، وناطحته شعورا بشعور ورفضاً برفض...

خلف الباب تسمع خطوات ثقيلة تأتي كما الموت ثابتة وييدة . تقف الخطوات فيظهر من أسفل عقب الباب ظل فرض نفسه على الأرض، ترى مقبض الباب يتحرك بفعل أحدهم من الخارج فتتحرك روحها فيها وادة الهرب، يفتح الباب بطيئا، صارخا بصريه بأخر فرصة لها للهروب قبل المواجهة، تراه مصفدا في يد عسكري طمع في كل بؤس الدنيا وفقرها فنال بغيته...

ينظر رفعت إليها، يحدق في عينيها فلا تملك غير التحديق في عينه، كل شيء صار باهتا، ظلال يملك أركان المشهد فيغشي العين فيمل على الموقف قلقا زارعا في القلب خوف، تنهى عراك أصابعها ببعضها لتمسح براحتها صفحتي وجهها في محاولة لمسح القلق والخوف المنحوت فيه، يسحب العسكري مفتاحا من جيبه فاضا أغلاله، يخاطبها العسكري أنه بالخارج لو أرادت شيئا، لا تسمعه ولا تنظر إليه بل لا ترى شيئا حولها فكل شيء صار فراغا، كل شيء صار عين رفعت...

يظل واقفا لا يسقط عينيه من عليها، ترتبك فتبحث عن نجبا لنظرها حتى لا تنظر إليه، لا تدري سببا لخوفها رغم يقينها أنه لن يؤذيها، يظل على حاله واقفا لا يتقدم ولا تفارقها عينه تعصر راحتها براحتها فتكف ألما، تمتد يديها فتمسك روايته من على المنضدة..

أنتى مين.. هكذا أتاها صوته رخيما هادئا وكأنه جاء من أعماق الموت..

إنتهى..

الى اللقاء في الجزء الثانى.. **الإله**

أكمل الصاوي،،